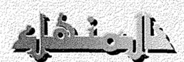

المنهل
AL MANHAL
مجلة العرب الأدبية
العدد (٥٧٤) المجلد (٦٣) العام [٦٧] الربيعان ١٤٢٢ هـ - مايو / يونيه ٢٠٠١ م
بواعث النهضة
الأدبية فى المملكة
من آداب
مجالس
العلماء
هل عقوبة
الحدود
الإسلامية
قاسية ؟!
الكتاب المدرسى
تفكير فى
اتجاه واحد
التصنيع الخليجي
لماذا .. وكيف ؟!

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

غلاف العدد





المركز الرئيسي

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥

رمز بريدي ٢١٤٦١ برقيا: المنهل

فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣ تليفون: ٦٤٢٧٨٣١

٦٤٢٩٧٦٥ - ٦٤٢٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧

الرياض ص.ب ٢٩٠ تليفون: ٤٥٤٢٤٣٢

مما قال

حرب العاشر من رمضان العبرة .. والعظة

كنت قبيل شبوب الحرب الرابعة التى قلبت موازين تطلعات دويلة اسرائيل وقوتها رأسا على عقب وجرعتها كأس الهزيمة المريرة الساحقة بعد ست سنوات من انتصارها المحموم. كنت في القاهرة مع أسرتي.

وفي العاشر من شهر رمضان فتحت المذياع فاذا به يذيع بلاغات عسكرية وجيزة مركزة بما للمقاتلين العرب وما عليهم، وتعين أرباحهم في الصراع الجبار الدائر وخسائرهم بدقة متناهية ولا تدع مجالا للتخبط في الرأي أو الادعاء الاجوف، وكان كل شيء مخططا له ومقدرا في نطاق مدروس، ومضت الاذاعة وزميلاتها في العالم العربي ترسل الينا أولا بأول عن كل شيء يحدث في الجبهة والجبهات التي تتصادم فيها قوة الايمان والكفر، وقوة الحق والجور، فاذا بنا نسمع من الاذاعة المصرية العربية وحدها، ومن الاذاعة السعودية بعدها نبأ عظيما اهتزت له ارواحنا طربا، وقد أيدته الاذاعات العالمية جميعا، ألا وهو اختراق الجيش العربي المصري الباسل استحكامات خط بارليف الحصين ووصولهم الى قلب سيناء بعد أن دمروا مئات الطائرات المعادية وفتكوا بمئات الدبابات التى تفتخر بها الدولة المعتدية الظالمة، وبعد أن أسروا العديد من ضباطه ونقبائه وعرفائه وجنوده، فأدركنا عندئذ حقيقة احراز العرب من يومئذ لأهم عوامل النصر. وهي ان نجعل ديدننا الرجوع الى الله تعالى في كل شيء، وان نحافظ على وحدتنا ، وعلى قوتنا المادية.

هذا وفي اطار التغيرات الجديدة في حكومة اسرائيل الاخيرة التى أوصلت السفاح المجرم مناحم بيجن الصهيوني الى منصة الحكم في دويلة اسرائيل، واستمر في مناداته اليائسة بالانتقام بامتشاق الحسام واستئناف الحرب الخامسة مع العرب تمثلت أمامي ذكرى الحرب السابقة وقلت في نفسي، لعل تدميرهم في تدبيرهم، ولعل الحرب العدوانية الخامسة اذا ما أعلنوها تكون وبالا عليهم والقاضية عليهم.

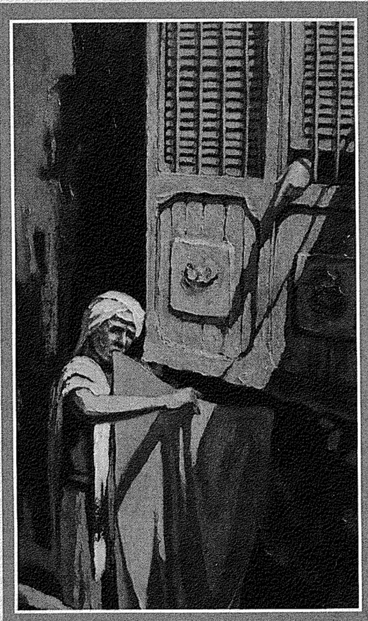
«عبدالقدوس الأنصاري»

رجب وشعبان ١٣٩٧هـ/ يوليو وأغسطس ١٩٧٧م

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم مصر ١٥٠ قرشاً - تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم - البحرين ٧٠٠ فلس موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

لقطة



«الدريشة» للفنان السعودي ضياء عزيز

صاحب المجلة
رئيس التحرير

نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير

أ.د / عبدالرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير
المدير العام

زهير بن نبيه الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

اشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

الاشتراكات

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤
قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ـ جدة
تليفون: ٦٣٩٦٠٦٠ ـ فاكس: ٦٣٩٤٠٩٥

فهرس العدد ٥٧٤ ـ المجلد: ٦٣ ـ العام: ٦٧

فقرات مستلة .. فقرات مستلة .. فقرات مستلة .. فقرات مستلة

□ **الحدود الشرعية عقوبة لمصلحة الجماعة.**

ص ٢٤

□ **ظنوا في الأولياء والصالحين قضاء حاجات العباد من دون الله سبحانه.**

ص ٤٠

□ **«من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقى في ذل الجهل أبدا».**

ص ٤٢

□ **اعتمدت النهضة الاصلاحية في المملكة على الكتاب والسنة.**

ص ٤٨

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ - وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ - الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ - الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ - شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ - دار الثقافة للطباعة/ الدوحة



غلاف السائح



غلاف هن

.. فقرات مستلة .. فقرات مستلة ..

☐ **الدعاء الخالص تحقيق لعبودية العبد.**

ص ٦٤

☐ **التعريب أحد أهم وسائل التنمية.**

ص ٨٢

☐ **الكتاب المدرسي تفكير في اتجاه واحد.. ينبغي اعادة النظر فيه.**

ص ١٠٦

أما بعد

الصباح والمساء، قطبان لدائرة بسعة الحياة ..

دائرة تنداح في الأفق البعيد، أفق لسنا ببالغيه..

ونحن في هذا المحيط المترامي الأطراف ندور ..

محيط دوراننا يتسع ويضيق باتساع وضيق ما في دواخلنا ..

الطير تغدو وتروح بفطرة للبقاء مغروزة فيه..

أما نحن البشر ففطرة الغدو والرواح فينا يمدها من ورائها عقل مدبر وحكمة ناضجة.. وبحسب نصيب كل واحد منا من هذه المعطيات يكون قدر سعادته، وانشراح نفسه، وانداح أساريره.

الحياة ليست فكرة هلامية غير ممسوكه.. بل هى عطاءات ميراث إنساني يزداد مع الأيام ارتفاعا وعمقا.

والتعامل مع هذا الميراث تحكمه ضوابط (الغدو والرواح) عند كل فرد منا، مقروءة ـ هذه الضوابط ـ مع منظومة حركة العقل الجمعي.

وهذا الأخير ، محكوم ـ الى حد كبير ـ بحيثيات البيئة ، ومقررات العرف، وثوابت الدين.. وهذا هو الأساس، وما دونه تبع له.. أو هكذا ينبغي.

وكل يغرد بتغريد سربه في داخل هذا الإطار.

الحياة، ليست أياما عابرة، تنقضي متناثرة في الهواء..

وليست أوراق شجر ما تكادُ تُحَاتّ، حتى تكتسي غيرها..

وليست نبتا طفيليا، لا يعيره الانسان بالا، ولا يعطيه اهتماما..

بل هي شيء مغاير.. لكل ذلك..

إنها (قيمة) ..

نعم ..

قيمة عطاء ..

في الخلق والسلوك، تجاه النفس والآخر..

قيمة .. في البذل والجهد.

ثم هي: قيمة في (الحب).

حب الناس، حب الحياة والأحياء..

كل هذا يأتى في قمته حب الخالق سبحانه..

الواهب لكل ذلك..

من هذه القيمة الجميلة (الحب) تكون كل منطلقات العطاء.. وكل منطلقات الأخذ.. وبهذا وحده.. تسمو الحياة عن أن تكون أي شيء آخر غير (الحب الخالص)..

السماني كمال الدين

٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – موسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

المملكة العربية السعودية وفلسطين علاقة التاريخ.. والمصير..

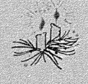
في دارة الملك عبد العزيز في مدينة الرياض، وبرعاية صاحب السمو الملكي الامير سلمان بن عبد العزيز امير مدينة الرياض، ورئيس مجلس ادارة الدارة، عقدت أعمال الندوة التوثيقية الكبرى التى تبحث في موضوع (فلسطين) أرضاً وشعباً وتاريخاً، والقضية الفلسطينية في كل أدوارها، والقدس الشريف ثالث الحرمين الشريفين، ومسرى سيدنا رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، كل ذلك في إطار الادوار العملية الفاعلة والخطوات الجادة والمواقف الثابتة التي قامت وتقوم بها المملكة العربية السعودية منذ الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود ـ عليه رحمة الله ـ ومروراً بكل الملوك والأمراء والمسئولين السعوديين الذين تعاقبوا على ادارة شئون البلاد والعباد، والى يومنا هذا، حيث يقوم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، واخوانه وجميع المسئولين في المملكة بأدوار فاعلة وجادة ومؤثرة في نصرة القضية الفلسطينية.

منذ أول خطوة عملت فيها حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين، على توطين اليهود في أرض فلسطين، كانت المملكة العربية السعودية بقيادة الملك عبد العزيز أشد صلابة ومتانة في موقفها الثابت الرافض كل الرفض لتوطين اليهود في ارض فلسطين، ذلك لأن فلسطين أرضاً ومقدسات وتاريخاً هي ملك خالص للمسلمين والعرب، وهذه ثوابت لا تفريط فيها.. وظل الملك عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ يقاوم كل وسائل الاغراء والضغط ـ على السواء ـ للموافقة على أمر هجرة اليهود لفلسطين.

وعلى ذات الموقف، وذات الثوابت ظل مَنْ بعده منْ أبنائه، وكل المسئولين في المملكة.

وفي صيغة واطار هذه الثوابت والقناعات عُقدَتْ هذه الندوة التاريخية التوثيقية.. وشارك في اعمال هذه الندوة جمهرة من المؤرخين والمهتمين بالشأن الفلسطيني والدارسين والباحثين، والدبلوماسيين من كثير من الدول العربية.. وكان من الموضوعات التى طرحت في هذه الندوة:

- الأصول الشرعية لاهتمام السعودية بفلسطين.
- اسهام السعودية في حرب ١٩٤٨م.
- مشاركة القوات السعودية في حروب ٤٨ ـ ٦٧ ـ ١٩٧٣م.
- العلاقة بين السعودية والقضية الفلسطينية من خلال منظمة اليونسكو.
- جهود السعودية في دعم القضية الفلسطينية في المجال الاقتصادي.
- جهود اللجنة السعودية لدعم انتفاضة القدس.
- موقف السعودية من حرق الصهاينة للمسجد الاقصى.





لقطات من إحدى الجلسات

ـ الاعلام السعودي والقضية الفلسطينية في عهد الملك عبد العزيز.

ـ موقف الملك عبد العزيز تجاه فلسطين.

ـ قضية فلسطين في الأدب السعودي.

ـ المساندة الشعبية السعودية من خلال هيئة الاغاثة الاسلامية العالمية.

ـ الابعاد الجيوستراتيجية في فكر الملك عبد العزيز تجاه القضية الفلسطينية.

ـ الثوابت القيادية للملك عبد العزيز في نصرة القضية الفلسطينية.

ـ جهود الملك سعود تجاه القضية الفلسطينية.

ـ دعم الملك فيصل للقضية الفلسطينية.

ـ جهود الملك خالد تجاه القضية الفلسطينية.

ـ الانتاج الفكري السعودي عن القضية الفلسطينية.

ـ موقف السعودية من الهجرة اليهودية وتقسيم فلسطين.

ـ دعم السعودية لفلسطين في المحافل العربية والدولية.

ـ جهود خادم الحرمين الشريفين تجاه قضية فلسطين.

استطلعت المنهل بعض الأدباء والمثقفين المتابعين لمسيرتها. وهو سلوك تقييمي وتقويمي اتبعته المنهل من قديم. ونشرنا في العدد السابق رأيي الاستاذين الفاضلين (عبد الله بن حمد الحقيل ومحمد صلاح الدين).

وننشر في هذا العدد ثلاثة آراء للأساتذة الأفاضل: (احمد سالم باعطب ومصطفى سيد عطار والدكتور أمين ساعاتي). ونشكر للجميع تواصلهم الأدبي والفكري مع مجلتهم المنهل. ونقدر لهم جميعاً ما جاء في كلماتهم من آراء ومقترحات.

المنهل

المنهل
ماضيا .. حاضرا .. ومستقبلا







الحديث عن مجلة المنهل الثقافية الأدبية العلمية يتطلب مني أن أتلمس الطريق بالرجوع سنوات عديدة تحمل في حناياها لذة البذل والتضحية في سبيل تحقيق الأحلام.

ولعل من المستحسن أن أعود أدراجي الى عام ١٣٥٥هـ بل قد يكون من الوصول الى الحقيقة أن أحط رحالي عند غرة شهر ذي الحجة من ذلك العام، ففي ذلك الشهر الكريم كان الشيخ عبد القدوس الأنصاري ينتظر بفارغ الصبر العدد البكر من مجلة المنهل بعد أن تكلفه مخاض ذلك المولود مشقة كبيرة، وعنتا عظيما. لقد كانت فترة طويلة مضنية استغرقت خمس سنوات ونيف، ومع ذلك فقد جاء المولود البكر «خديجا» أي ناقص النمو، ليس من حيث المدة، ولكن من حيث التكوين، يقول الشيخ عبد القدوس الأنصاري - رحمه الله - في ليلة تكريمه في دارة الشيخ الفاضل عبد المقصود محمد سعيد خوجه تاريخ ١٤٠٣/١/٢٢هـ: «بدأت عمليات الاستعداد لاصدار هذه المجلة في سنة ١٣٤٩هـ».

ثم يردف قوله بعد سرد مفصل منه عن الخطوات التي قطعها سعيا صادقا لانجاز الحلم الذي ظل يراوده منذ أن عشق الأدب، لا سيما الأدب الحديث الذي أخذ يتغنى به، وكان مما أفاض به في رحلته الكلامية عن ميلاد مجلة المنهل قوله: «بعد خمس سنوات منذ بداية التفكير والتصميم على طبع مجلة أدبية ثقافية علمية أي في عام ١٣٥٥هـ صدرت الموافقة على إصدار مجلة تحمل اسم [المنهل] يتولى مسئولية طباعتها وتوزيعها عبد القدوس الأنصاري» - تغمده الله برحمته -

لكن العقبات الصعبة ظلت مكشرة عن أنيابها، لم تلن قناتها، ولم تنفرج



بقلم :

أحمد سالم باعطب

– جـــدة –

الهـمـوم عن بكرة أبيـهـا كـمـا يـقـولون لكنه ظل صـامـدا يعـالج الأمـور بحكمـة ودراية حـتى استطاع تذليلها، وتمكن من تحقيق ما كان يحلم فقد شمر عن ساعديه واستعان ببعض المسئولين الذين وقفوا الى جانبه يدعمونه في سيره القويم للوصول الى ما رسمه في مخيلته ولعل من أولئك الشخصيات الأستاذ **فؤاد حمزة** الذى أثنى عليه الشيخ عبد القدوس ثناء عظيما ومنهم الاستاذ **احمد الخياري** الذي قام بدفع مبلغ الكفالة التي تنص عليها احدى فقرات الاجراءات الواجبة الأداء قبل القيام باصدار المجلة وهو مبلغ خمسين جنيها ذهبا، ولكن الأمور الصعبة لم تجد لها حلا جذريا يحول بينها وبين التأرجح في عرصات (ساحات) الحلول المستعصية لنقرأ ما قاله الشيخ عبد القدوس عن ذلك في ليلة تكريمه بدارة الشيخ **عبد المقصود خوجه**، لقد قال:

«ذهبت السكرة وجاءت الفكره» وهو مثل نستخدمه للاستشهاد به في أحاديثنا العامية، وصحته «ذهب بين الصحوة والسكرة» أي بين أن يعقل وبين أن لا يعقل، وهو يريد أن يبين لنا أن الطموحات التي يرسمها الإنسان في ذاكرته لا تعني أنها أصبحت حقيقة وقابلة للتنفيذ قبل أن تقوم الوسائل الثابتة المحققة فعلا لتلك الطموحات ولعل القواعد الاساسية والاعمدة الثابتة التي تقام عليها الجدران والاسقف هي ما تأنس إليه النفوس الطامحة، ولذلك يقول الشيخ عبد القدوس: «أين المطبعة؟ وأين الطابعون؟ وأين الورق؟ وأين الذين يكتبون؟ ويضيف إلي ذلك قوله: «لم يكن هناك من يعرف الصحافة فكلنا جهلة في هذا الميدان» هذا اعتراف بالحقيقة لا يحمل من العيب شروى نقير، ولكنه يفسح المجال للآخرين لتقديم المشاركة والمغامرة ولا سيما من أولئك الذين كانوا يحبذون هذا اللون من البذل والتضحيات. نعم لم تكن المدينة في تلك الفترة مهيأة للمنافسة في المجالات الأدبية إذا قورنت بمثيلاتها في مدينة مكة المكرمة. لكن الاصرار في كثير من الأوقات يحطم كل المعوقات والعقبات التي تعترض كل الحواجز ويقضى عليها.

يقول أمير الشعراء أحمد شوقي في احدى قصائده:

ومـا نيل المطالب بالتمني
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال
اذا الاقدام كان لهم ركابا

وهذا النهج هو الذى سلكه عبد القدوس ـ رحمه الله ـ حتى ظفر بتعاونه مع السيدين **على وعثمان حافظ** حيث تمخضت عن ولادة العدد الأول من مجلة (المنهل) والذى جاء كما قلت عنه «خديجا» ويعترف رئيس تحرير مجلة المنهل بقوله «هكذا صدر العدد الأول من مجلة المنهل مهلهلا ، وقد اعترض الناس على ذلك فقلنا لهم: «هذه بداية والبداية تكون عادة ضعيفة مثلها مثل الطفل الصغير، ولقد أعدت طباعة هذا العدد ثلاث مرات فلم يتقدم أحد لشرائه، فقمنا بتوزيعه هدايا لمن نعرفه ولمن لا نعرفه».

ولقد تعرضت مجلة المنهل لمنغصات اعترضت سبيل رحلتها ومن ذلك تنقلها من بلد الى آخر سعيا للحصول على وسيلة تحقق الطباعة الأنيقة فمن المدينة إلى مكة ثم الى جدة، ولم تكن الطباعة وحدها هي التي تفرض على رئيس التحرير التنقل من بلد الى آخر ولكن

العمل الوظيفي والتكليف الأميري ساهم أيضا في الانتقال.

ومما يجدر ذكره أن مجلة المنهل ظلت صامدة تسير في الطريق التي اختارها مؤسسها رغم قلة الموارد التي تحصل عليها إذا قيست بما تحصل عليه مجلات أخر، وإن دل هذا الأمر على شيء فإنما يدل على عصامية عبد القدوس الذى عُرف بين أنداده ومعارفه بصبره، وتحمله للمشاق في سبيل تحقيق طموحاته وكأني به يؤكد قول النابغة:

نفس عصام سودت عصاما
وعلمته الكر والإقداما

لذلك بذل الشيخ عبد القدوس - رحمه الله - جهدا كبيرا في سبيل أن تظل مجلة المنهل تؤدى رسالتها العلمية والفكرية والثقافية والأدبية - وهي صامدة - على النهج الذي اختاره لها رُبَّانها يصارع الظروف القاسية التي كثيرا ما تقف حجر عثرة ما بين أحلامه والمنغصات التي تحاول أن تنخر الحاجز الفولاذي (الايمان) الذي يلجأ إليه كلما حزبه أمر واستعصى عليه حله.

ولم تقف مجلة المنهل الوليدة حديثا عن الصدور منذ ولادتها في شهر ذي الحجة ١٣٥٥هـ إلا خمس سنوات تمثل فترة الحرب العالمية الثانية التي أكلت الأخضر واليابس وقلبت الموازين، وبعد هدوء العاصفة، وعودة المياه الى مجاريها كشفت المنهل عن وجهها المشرق عام ١٣٦٠هـ فشمرت عن ساعديها وأخذت تشق طريقها بكل قوة.

ولو تابعنا التطور الذي طرأ على رحلة المجلة منذ نشأتها حتى الوقت الحاضر لوجدنا بونا شاسعا بين ما كانت عليه، وما هي عليه الآن، ولعل الفضل في ذلك يرجع إلى العقل المدبر الذي يتولى قيادة الجهاز الاداري للمجلة وأعني به الشيخ عبد القدوس الانصاري - رحمه الله - فجهده في عملية التطوير بارز لكل ذي عقل وذي عينين، فرغم أن المجلة تعرضت خلال رحلتها الطويلة لمعوقات كثيرة فقد وقفت صامدة تتحدى كل الصعاب، وتصارع التيارات الجارفة في حين عجزت غيرها من المجلات التي استسلمت واغلقت أبوابها، وعجزت عن تأدية الرسالة التي التزمت بها، واستمرار صدور المجلة حتى في فصول الجدب والقحط برهان على الالتزام الأدبي والعلمي والثقافي الذي اتخذته المجلة منذ بداية رحلتها المعرفية شعارا لها وهو «مجلة للآداب والعلوم والثقافة».

وإذا حاولنا أن نسأل أنفسنا قبل أن نسأل المجلة عن الخطوات التي استخدمت لتحقيق طموحاتها، وتسليط الأضواء على الدروب التي بلغت بها من جذب الأنظار إليها، أقول لو حاولنا أن نسأل أنفسنا عن كل ذلك لوقفنا عاجزين نردد قول الشاعر الفحل حافظ ابراهيم حيث يقول:

وقف الخلقُ ينظرونَ جميعا
كيف أبني قواعد المجد وحدي

وكأنى بمجلة المنهل وهي تتخطى وتتجاوز كل الصعوبات التي تقف في طريقها تجهرُ بصوتها معلنة وقوفها صامدة تردد هذا البيت الشعري، وتتمثل به، وتتخذ منه سراجاً تستضيء به في لياليها المظلمة.

ولا يستطيع قارئ أو أديب أن ينكر الجهد الذي بذله رئيس تحرير المجلة ومن يقف بجانبه يدعمون خطاه، ويؤيدون خططه، ولن يخالطنى شك في أن عبد القدوس الأنصاري قد استقطب خلال زياراته للدول المجاورة الرجال المبدعين بها واستكتبهم لا سيما بعد أن عرفوا محتوياتها ومنزعها، وعرفوا اتجاهاتها وميولها، وتوثقت صلاتهم بمجلة المنهل، وازدادوا تعلقا بها بعد أن عرفوا أنها تميز الغث من السمين.

المنهل بعد الحرب العالمية الثانية:

في عام ١٩٤٥م وضعت الحرب أوزارها، وبدأت تتفتح ازهار الأمان والاطمئنان، وأخذت

ينابيع السلام دفاقة تغمر ساحات واسعة من العواصم والمدن، واستيقظت الثقافة من غفوتها بل من كبوتها على الأصح وكان للمنهل موكبٌ هزَّ وجدان الأدب السعودي حرَّك مشاعره فهبَّ يبحث عن ماضيه الذي تركه تحت ركام التراث يتلمس موقعه في عالمه الحديث، فكانت صيحات عشاق ذلك الجيل تطالب باتاحة الفرص لادباء الجزيرة بأن ينهلوا مما نهل منه أدباء بعض الدول المجاورة التي سبقتنا في ترويض حلبات الآداب الحديثة التي أخذت تغزونا بما عرفت واغترفت من كل منهج علمي أو أدبي يسعى بطموحات الشباب المتطلع للمستقبل، ومن هنا انطلق صوت صريح يدعو بجرأة إلى أن نضع بصماتنا على أدبنا خارج حدودنا.

ونلحظ تلك الدعوة يحمل لواءها نخبة من المتوثب لتأكيد رغبته في تثبيت أقدامه على أرض صلبة تمكنه من الوقوف جنباً إلى جنب مع أدباء الدول المجاورة التي كان لها السبق في الارتواء من كل المناهج التي تعتبر شموعاً مضيئة لنا في تطلعاتنا الى مستقبلنا. وبنظرة فاحصة ودقيقة نجد أن أدباءنا في بداية العام الأول من انقضاء فترة الحرب أي في عام ١٣٦٥هـ كانوا مصممين على أن يطرقوا بوابة تصدير الأدب السعودي إلى خارج حدوده، ولو تصفحنا أعداد مجلة المنهل خلال عام ١٣٦٥هـ لتبين لنا جليا عرض أدبائنا في مطلع النهضة الأدبية على وجوب السعي للقيام بما يؤيد الدعوة الى تصدير الأدب السعودي الى خارج النطاق المحلي.

وفيما يلي بيان بالمقالات التي خطتها أقلام طائفة من المتحمسين لتلك الدعوة وفيما يلي نورد عناوين تلك المقالات وأسماء كتابها واثبات تاريخ كل مقالة:

اسم الكاتب	عنوان المقالة	رقم المجلد	شهر المجلة	عام المجلة
محمد عمر توفيق	أدبنا هل يصلح للتصدير؟ أم لا؟	٦	صفر	١٣٦٥هـ
عبد الله الغاطي	أدبنا هل يصلح للتصدير؟ كيف ؟	٦	ربيع الأول	١٣٦٥هـ
أمين مدني	أدبنا هل يصلح للتصدير أم لا؟ وكيف يصلح؟	٦	ربيع الثاني	١٣٦٥هـ
عبد الله عبد الجبار	حول تصدير أدبنا وكيف يحيا	٦	جمادى الأولى	١٣٦٥هـ
عبد الله فدا	حول تصدير أدبنا	٦	جمادى الأولى	١٣٦٥هـ
محمد عمر عرب	حول تصدير أدبنا	٦	جمادى الثانية	١٣٦٥هـ
حسين عرب	حول تصدير أدبنا	٦	جمادى الثانية	١٣٦٥هـ
أحمد السباعي	حول تصدير أدبنا	٦	رجب	١٣٦٥هـ
أحمد عبد الغفور عطار	حول تصدير أدبنا	٦	شعبان	١٣٦٥هـ
على حافظ	حول تصدير أدبنا	٦	شعبان	١٣٦٥هـ
طاهر زمخشري	حول تصدير أدبنا	٦	شعبان	١٣٦٥هـ

ويستطيع القارىء أن يقف على ما يتضمنه هذا العنوان الموحد والذى تناولته هذه الكوكبة من الأدباء، وسلطت عليه أشعة أفكارها بالتحليل والنقد، وقد يصدقنى ظني إذا قلت إن هذا التوجه جاء بإيعاز من قائد السفينة ألا وهو رئيس تحرير المجلة ليستقطب أكبر عدد ممكن من الذين في قدرتهم اعطاء الموضوع حقه من النقاش الجاد عبر محاور متعدده، ومشارب متباينة وطرق مختلفة، وهذا التوجه ليس الوحيد - فيما أرى - الذى كان لرئيس تحرير المجلة فضل اختيار موضوع جدير بالبحث والمداولة بغية تلاقح الأفكار لاستخلاص نتائج فعالة تعود بالنفع على القراء ولا سيما الذين بدأوا يضعون أقدامهم على أول درجات سلم الأدب.

وبالرجوع إلى كشاف المجلة الجزء الأول المنتهى بعام ١٣٨٠هـ عثرت على موضوع مختار هو: «من حديث الشعر والنثر» تناول الإبحار فيه خلال عام ١٣٧٩هـ عدد كبير من رجالات القلم، نختار منهم:

الاستاذ نبيه عبد القدوس الأنصاري - صفر ١٣٧٩هـ.

الأستاذ محمد فؤاد على رضا - ربيع الثاني ١٣٧٩هـ

الاستاذ على محمد العمير - شعبان ١٣٧٩هـ.

الاستاذ ياسين أحمد الخيارى - شعبان ١٣٧٩هـ.

الاستاذ أحمد العامر - ذو الحجة ١٣٧٩هـ.

الاستاذ أحمد محمد الصائغ - شعبان ١٣٧٩هـ.

الاستاذ عبد الرحيم أبو بكر - شعبان ١٣٧٩هـ.

الاستاذ عبد الوهاب السنوسى - شعبان ١٣٧٩هـ.

الاستاذ هاشم عبده هاشم - ذو القعدة ١٣٧٩هـ.

الاستاذ حسين بن حامد - ذو القعدة ١٣٧٩هـ.

الاستاذ صالح سليمان الوشمي - ذو القعدة ١٣٧٩هـ.

الاستاذ عبد الكريم الخطيب - ذو القعدة ١٣٧٩هـ.

الاستاذ على عبد الرحمن العمرو - ذو القعدة ١٣٧٩هـ.

الاستاذ غازي حسين صابر - ذو القعدة ١٣٧٩هـ.

الاستاذ محمد الفوزان - ذو الحجة ١٣٧٩هـ.

الاستاذ أحمد حيدر مشيخ - ذو الحجة ١٣٧٩هـ.

وقد يستغرب القارىء أن الذين تناولوا الموضوعين بالتحليل والنقاش هم نخبة من الأدباء السعوديين ولكن الغرابة ستتلاشى إذا علمنا أن معالجة القضايا الفكرية والأدبية لم تأخذ طريقها الى النشر عبر الوسائل الحديثة من المجلات والجرائد، والمطبوع لا يصل إلا إلي قلة من طبقات المجتمع لا سيما تلك التي أدرك ابناؤها نصيبا من المعرفة، أما الغالبية العظمى فقد عاشوا يتلمسون كل السبل للتحصيل المعرفي والثقافي من خلال الاتصال بأبناء الأثرياء الذين أفاض الله عليهم من نعمه الكثيرة ما جعل للفقراء وسيلة إلى أن ينالهم شيء من تلك النعم، على اننا لا ننكر أن للصحافة المصرية واللبنانية فضلا في تزويد عشاق القراءة مما تجود به قرائح وابداعات المبدعين من تيارات الانهار الفياضة بالعلوم والمعارف في مصر والعراق ولبنان.

بعض صور التطور:

لعلي قد أشرت قبل عدة صفحات إلى أن الجهاز الاداري للمجلة قد أخذ يركز على معالجة موضوع بعينه يتولى مناقشته مجموعة من عشاق الأدب بحيث يتم التركيز على هذا الموضوع لمدة عام على أن يساهم في البحث أكبر عدد من أرباب القلم يغطون عناصر الموضوع فحصا وتمحيصا وتدقيقا، لكن الادارة وهي تسعى الى طموحات واسعة المدى تتقبل من

ذوي الألباب الذين وهب الله لهم رجاحة العقل، وسداد الرأي النصيحة الصادقة، والمشورة الحكيمة بالاضافة الى ما يتمتع به رئيس التحرير من حنكة ودراية وبما منحه الله من توفيق، وبما رزقه الله من ذرية صالحة، فطرق باب التحسين واختار درب التطور، فأعد العدد وجهز القوى، وشد العزم، فالتزم أو لنقل ألزم نفسه أن يقدم كل عام للقارىء العربي عددا أو عددين ينفرد كل منهما بموضوع يبحر فيه من يبحر في أعماقه فيفوز بالدر والجوهر، ويترك المحار لغيره. وهذه الأعداد المختارة أعطيت مسميات متنوعة فهذا عدد خاص، وهذا العدد الممتاز، وهذا العدد السنوي المتخصص، وهذا العدد السنوي الخاص. وكل هذه المسميات تدور في فلك واحد فكل منها يتناول موضوعاً مستقلا بذاته، وما اختلاف الأسماء وتباينها إلا وسيلة لجذب انتباه القارىء وايقاظ غريزة حب الاطلاع في نفسه، وما هذه الأعداد المتخصصة أو الممتازة، أو السنوية الخاصة إلا أسفار ملئت ثقافة وعلما وأدبا «شعرا ونثرا» وقصصا وروايات، وكل سفر منها يعتبر روضا تنوء أغصانه بالثمار اليانعة، وتظلل زائريها بما يأسرهم من نسمات عاطرة تحمل في أنفاسها ما يثير العواطف ويلهب الوجدان، ويحرك المشاعر.

ولقد رفعت الصفحة الثانية من العدد (٥٣٠) الصادر - شوال - القعدة عام ١٤١٦هـ عنوان «الصحافة - السلطة الرابعة» وتتضمن تلك الفكرة الأهداف النبيلة المتوخاة من اصدار الاعداد السنوية، وفيما يلى نبذة مما حملته تلك الفكرة «الاعداد السنوية الخاصة التي تصدرها المنهل، تأخذ منهجية العطاء المعرفي المتناغم المتسق، كلمة ومضمونا.. مما أكسبها خصوصيتها في طبيعة الطرح .. وخصوصيتها في المرجعية، لأنها غدت عملا فكريا ثبتا موثقا.

إذا كان الكتاب يمثل وجهة نظر كاتبه فحسب، فإن العدد الخاص - في موضوعه - يتسع لوجهات نظر عدة بعدد الكتاب المتناولين لجزئيات وتفاصيل الموضوع المطروح.. وهذه ميزة لا تتوفر للكتاب ذي النظرة الواحدة.. وهذا



أحمد السباعى

توجه أخذت به مجلة المنهل تبتغي به الاثراء الفكري والمعرفي».

ولم يقتصر تطوير مجلة المنهل على العناية بالأعداد الممتازة أو المتخصصة ولكنه ينصرف الى غير ذلك من وسائل التجديد والتطوير ولعل الشيخ عبد القدوس الأنصارى - رحمه الله - قد أشار الى ذلك بما كتبه كمقدمة للعدد ٤٧٣ الصادر شهر محرم ١٤١٠[١] حيث قال:

«إذا كان معنى التطور هو: التحرك الدائم من حسن إلى أحسن، وإذا كان معنى (التقدم) هو السير الرتيب الى الأمام فإن المنهل



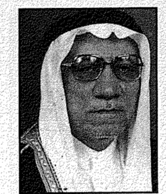
أحمد عبدالغفور عطار



أحمد ياسين الخياري



طاهر زمخشرى



حسين عرب



عبدالمقصود خوجة



د. هاشم عبده هاشم



عبدالقدوس الانصارى

ندوات المنهل جمعت فكر الرواد في الثقافة والادب

متطور ومتقدم.

إن تطور المنهل أريد له بادىء ذى بدء أن يكون ذاتيا نابعا من داخله أولا، ليفيض نور هذا التطور على خارجه ثانية، فيتفق الداخل والخارج في التطور والتقدم.

لقد تنوعت موضوعاته ودسمت، وقسمت إلى أبواب ثابته مركزة، ليجد كل قارىء ما يشتهي أن يقرأه، وأن يستفيد منه فيما تميل إليه طبيعته من بحوث وفنون».

ويلمس القارىء المتابع الخطوات الموفقة التي كان يخطوها رائد المنهل إبان رحلته الصحفية، والتى سار على نهجها ساعده الأيمن الأستاذ نبيه يعينه في إدارة دفة العمل ابنه الأستاذ زهير ونعم الشبل من ذاك الأسد.

والتطوير والتجديد لم يتوقف بل اخذ المنهل يزداد عطاء وارتقاء وسعيا لكل جديد، ولعل الجديد في رحلة مجلة المنهل هو استبدال شعارها الأول منذ تأسيسها وهو «مجلة الآداب والعلوم والثقافة» بشعار جديد هو: «مجلة العرب الأدبية» هذا الشعار تم اعتماده منذ بداية عام ١٤١٠هـ وفي رأيي - وهو مجرد رأي غير ملزم - أن هذا الشعار قد حصر توجهات المجلة في الأدب وترك الاهتمام بالمجالات الأخرى فالشعار الجديد استبعد الينابيع الفكرية والانسانية والثقافية والاجتماعية واكتفى بالنواحي الأدبية، وليس هذا نقدا ولا اعتراضا وانما ذلك مجرد رأي خاص فالمعروف أن الشعار يظل ملازما للشيء الذي اختير من أجله، واذا أرادت المؤسسة تغيير شعارها فلتعبر عن ذلك بشعار تقل كلماته ويتسع شأنه كأن نقول مثلا «مجلة الفكر والوجدان العربي» لان اقتصار المجلة على شعارها الجديد هضم لما كانت تتشح به في السابق[٢].

ولقد أعجبتني كلمة للشيخ عبد القدوس - رحمه الله - صُدِّر بها عدد المنهل رقم ٥١٥ ذو الحجة ١٤١٤هـ بعنوان (مما قل) جاء فيها قوله:

«نأمل أن تكون هذه المجلة: المنهل منهلا فياضا وصافيا دائما ينضح بالأدب الحي، وبالعلم النافع المنير.

وقد كان ومازال هذا هو الهدف الذي توخيناه، والذى نتوخاه، منذ صدر «المنهل» إلى اليوم، وفيما بعد اليوم أيضا، ومن أجل ذلك حافظنا - ما استطعنا - على خط سيره الأساسي في جميع أدوار حياته وتطوره وقد كان شعاره: الجمال والاعتدال؛ الجمال في المظهر، والاعتدال في المخبر، وبعبارة أخرى الجمال في الإخراج والاعتدال في الانتاج.

ولتوائم الشعار والهدف حرصنا على أن يكون فيه صفة الشمول، فيكون منهلا للجميع على قدر الامكان - يرده العالم الكبير، والمثقف الصغير، والاديب الواعي، والشباب الطامح،

والناشيء المتطلع، فيجد كل واحد من هؤلاء ضالته المنشودة فيه على الأقل».

وهذه الصفات المميزة تنطبق تمام الانطباق على **مضمون الشعار الأول** الذى خطه بيده الشيخ عبد القدوس ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ.

في ختام هذا البحث المتواضع الذى يتحدث عن مشروع جبار بل معلم بارز أنشأه ورعاه وتبناه أديب أخلص لأدبه وفكره ولغته ولوطنه وقدم في سبيل رفعته كل غال ونفيس، ولم يضن عليه بالجهد والوقت واستشهد على ذلك بنبذة من مقال للشيخ **عثمان الصالح** ـ أنسأله الله في عمره ـ حيث ورد ذلك في الصفحة ١٩٤ ـ ١٩٥ من العدد «اليوبيل الذهبي» الصادر في شهر المحرم وصفر عام ١٤٠٥هـ ما يلي:

«قبل سنوات وفي عهد الملك خالد ـ رحمه الله ـ زارني وشكا لي عوزاً وعجزا في المجلة وأنها كبلته بالديون، وأنه ناء كاهله بها، وأحدثت عنده هما وغما، فقلت ألا تقابل الملك خالد؟ فقال: إن في هذا تثقيلا.. ولا أريد ذلك. وكرر الشكوى لي وما يعانيه في ميزانية المنهل.. فقلت له اتركها وترتاح من هذا العناء الشاق وهذا الإرهاق. فقال: لا أحب أن أسمع هذا الكلام فسوف أكون معها حتى لو بعت بيتي وبذلت كل ما أملك، فعرفت أنه صاحب كلمة ورب مبدأ».

وفي العمود الأخير من المقال نقرأ هذه الفقرة:

«في الآونة الأخيرة ومنذ سنتين تقريبا قلّ توزيع المنهل وصارت لا تصل إلى مشتركيها مع أنها مطبوعة.. لأن الوكلاء الذين يتولون التوزيع ما كانوا يرغبونها ـ أولا ـ لأنها مجلة شهرية، وثانيا لأنها أدبية جامعة، والصحافة السيارة أيسر وأنفع في التوزيع وما في المجلة وتوزيعها مكاسب.. ثم صارت أحيانا لا تصدر إلا في الشهرين مرة واحدة».

وهذا القول في مجمله يُعطي الدليل الصريح على أن مجلة المنهل منذ ولادتها وهي تخطو صامدة وباصرار تتحدى ما يقف في طريقها من عوائق مالية، وتمزق السجف التي تتلبد في أفقها، ولطالما حاول البعض أن يقنعوا راعيها بالتخلي عنها لكنه يرفض كل الرفض أن ينحو هذا المنحى ويستسلم لهذه الرغبة التي ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب غير أنه يظل شاهرا اصراره ومقاومته ضد المغريات التي يروج لها اولئك الذين يبذلون قصارى جهدهم في تقديم النصيحة إليه، وهيهات هيهات أن يتخلى امرؤ عن حب تملك قلبه، واستوطن عواطفه، ومازج نبضه واحاسيسه.

ختاما هناك كلمة تهنئة نابعة من قلب يفيض حبا وتقديرا لرئيس التحرير **الاستاذ نبيه الانصاري** ولعضده وساعده **ابنه زهير** وللعاملين بالمؤسسة الصحفية المباركة وأعني بها مؤسسة المنهل داعيا الله أن يسدد خطاهم، وأن يوفقهم إلى تحقيق ما يطمحون إليه والله من وراء القصد.

الهوامش:

(١) تحت عنوان (مما قل) وهي كلمة مستلة من بعض كتابات الشيخ عبد القدوس الانصاري عمدت المنهل الى نشرها في بطن الغلاف الأول لكل أعدادها وبتاريخ نشرها السابق.. ذكرى وفاء وتقدير وعرفان لمؤسس هذه المجلة.. (المنهل).

(٢) استاذنا الشاعر الأديب احمد سالم باعطب من محبي المنهل، وكتابها وهو وفيّ لها أبدا.. نقدر له هذه اللفتة الذكية، ونؤكد له ان شعار المنهل الأول «مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة» لم يُلْغَ ولم يُستبْدل بغيره، بل نقل الى الداخل في بطن الغلاف الاول مواجهاً لكلمة الشيخ عبد القدوس الانصاري (مما قل).. أما العبارة الجديدة (مجلة العرب الادبية) المثبتة في الغلاف الأول فهي صيغة للتجديد اقتضتها مسيرة الحركة الفكرية.. ونؤكد ان المجلة باقية على شمولها في العطاء الفكري والعلمي والادبي والثقافي والمعرفي بعامة. ونكرر خالص الشكر للأستاذ المحب باعطب.. (المنهل).

الأنصاري والمنهل .. الريادة والتفوق

المنهل تمثل تاريخاً موثقاً لتطور البلاد وسجلا حافلا لروائع الأدب وابداعات المفكرين

وأنا أكتب كلمة بمناسبة دخول مجلة المنهل عامها ٦٧.. تلبية لدعوة كريمة من القائمين عليها، تدافع الى خاطري جهاد صاحب مجلة - المنهل - ورئيس تحريرها، شيخ الأدب الرائد العلامة الموسوعي الأستاذ الجليل عبد القدوس الانصارى - طيب الله ثراه وجعل جنات الفردوس الأعلى مثواه. فرأيت أن أقصر كتابتي على بعض انجازات المنهل ومبادرات صاحبها واصراره ومصابرته على استمرار المجلة لأداء رسالتها المعرفية والثقافية لذلك لم تلن قناته ، ولم تفتر عزيمته، ولم يداخله اليأس .. وظّف كل ما وهبه الله من خصال الخير ، ومكارم الأخلاق، فجمع لها كل ما ضمن لها النجاح من التمسك برسالتها المقدسة كواحدة من أفضل المجلات الثقافية التي صابرت وتغلبت على كل معوقات الاستمرار، والذيوع، والانتشار وكذلك جمعت حولها قلوبا كبيرة، ذات أقلام رصينة، وابداعات رائعة ذائعة، امتازت بغزارة العلم وعمق الثقافة وتنوع الاهتمامات الابداعية.. وتعدت الى اسهامات الأدباء والمفكرين العرب.. واستمرت تلك المشاركات وتطورت بجهود من خلفه على رعاية (المنهل)، واعداد السنوات القريبة شاهد بأن للمنهل أوليات أضفى عليها صاحبها ومؤسسها - رحمة الله عليه - من روحه وعلمه الغزير، وثقافته الواسعة وأفقه الواسع، فقد رأيناه يتابع كل أحداث التاريخ الاسلامي البارز، وكل المناشط الانسانية، والاجتماعية الوطنية باصدار اعداد ممتازة غدت سجلا وثائقيا لكثير من المناسبات الرائعة فضلا عن الاعداد السنوية الممتازة (وكل هذه الأوليات) بدأت من وقت مبكر من حياة المجلة.

والمنهل تكاد تكون المجلة الأولى في نشر بعض الاصدارات القيمة، وتعمل على اهدائها مع اعدادها مثل، المرصاد في النقد، التوأمان، النقوش والآثار في صخور الحجاز، شذرات الذهب، آثار المدينة المنورة، ودراسة ديوان الانصاريات، أحاسيس اللظى، من عبير الصحراء.

والمنهل - من المجلات الرائدة التى أنشأ صاحبها في دارته (ندوة فكرية) ساهم فيها كبار رجال الدولة وعلية القوم من الأدباء والمفكرين والمثقفين تبادلوا فيها موضوعات على جانب كبير من الأهمية وممن ساهم فيها **الأساتذة محمد سعيد العامودى ، عبد الله عبد الجبار، عبد**






الاعداد السنوية الممتازة سجل وثائقي في موضوعاتها

العزيز الرفاعي، الشيخ عبد الله خياط، احمد على، احمد عبد الغفور عطار، السيد هاشم الزواوي، ابراهيم فوده، حسين عرب، شكيب الأموي، وغيرهم..

وقد حياها السيد صالح شطا أحد علماء مكة المكرمة ونائب رئيس مجلس الشورى، في مقال افتتاحي نشر بعدد جمادى الثانية ١٣٦٧هـ مشيدا بها معتبراً (ندوة المنهل) تجددا لمجالس العلماء والأدباء مع مطلع هذا القرن.

وقد عمل استاذنا عبد القدوس بنشر وقائع كل الندوات بنصها في اعداد منهله الرائع وكانت تتناول مختلف الموضوعات الحيوية من أدبية ودينية، وعمرانية واقتصادية وملخص الحديث أن - المنهل - مجلة الثقافة والعلم والمعرفة بأعوامه السبعة والستين مثلت وتمثل تاريخا موثقا لتطور البلاد وسجلا حافلا لروائع الأدب وابداعات المفكرين، وأبحاث المؤرخين الثقاة.. وقد اتخذت المنهل مرجعا وحجة ضمن سلسلة المصادر الوثيقة في المراجع التاريخية وكتب التراجم وكتاب (الأعلام) للزركلي أحد المؤلفات التى اتخذت من المنهل مرجعاً في التوثيق.

حين حل الأجل بصاحب - المنهل الاستاذ الشيخ عبد القدوس - رحمه الله - نهض ابنه الأستاذ نبيه (وله من اسمه نصيب)، ليواصل المسيرة ويمضي في خطى التقدم والتطوير وابنه - زهير - لسان حاله يهتف بقول الشاعر:

نبني كما كانت أوائلنا تبنى
ونصنع مثل ما صنعوا

بل صنعوا فوق ما صنع الأولون ، فالمنهل اليوم حديقة فينانة طيبة ثمارها، شرقت وغربت واستقطبت البحاثين والمفكرين من أقصى المغرب والمشرق، وأساتذة الجامعات، فحق لنا أبناء هذه البلاد أن نفاخر - بالمنهل - خير رسول للصحافة السعودية، والمجلات الثقافية التي تقف مع رصيفاتها في عالمنا المعاصر في قمة العطاء الثقافي.



بقلم : **مصطفى حسين عطار**
- جدة -

الدور الجديد لمجلة المنهل حماية اللغة العربية من الحرب الالكترونية

تحتفل مجلة المنهل الغراء في هذه الأيام بمناسبة مرور سبعة وستين عاما على انشائها.

وإذا تصفحنا مجلدات هذه المجلة العريقة خلال الستين عاماً الماضية.. نجد أنها قامت **بدور رائد في مجال خدمة اللغة والفكر والثقافة والأدب،** وكانت ومازالت منارة من منارات اللغة العربية الخالدة، كما كانت (ومازالت) عنواناً بارزاً للأدب السعودي بصورة خاصة والأدب العربي والعالمي بصورة عامة.

وإذا كنا نقدر الدور الرائد الذي قامت به مجلة المنهل في خدمة اللغة والأدب على مدى الستين عاماً الماضية، فإننا نتمنى من مجلتنا الغراء أن تعني - من الآن فصاعدا - بقضية الحرب الالكترونية التي تشن في هذه الأيام - بضراوة - على اللغة العربية.

بمعنى أننا في عصر الانترنت والعولمة والفضائيات في أمس الحاجة أن تواصل مجلة المنهل دورها الهام في حماية لغتنا الخالدة، وكذلك أن تواصل دورها في وضع صيغ مقبولة للتعامل مع الثورة الالكترونية القادمة.

ونعرف جميعا أن الصراع العربي الاسرائيلي انتقل من الميادين التقليدية على الأرض.. الى حرب الكترونية واسعة في مواقع متعددة على شبكة الانترنت، حيث تشهد مواقع متعددة في هذه الأيام معارك ضارية لا تقل ضراوة عن الحروب العربية الاسرائيلية التقليدية في الميادين العسكرية والاقتصادية والسياسية.

وربما يستغرب البعض حينما نقول أن العرب يتعرضون في هذه الأيام لحرب هي الأشرس في تاريخهم القريب والبعيد، ومن هذه **الحروب الشرسة الحرب الالكترونية المعلنة على لغتنا العربية الجميلة.**

إن اللغة العربية هي لغة القرآن والعقيدة وهي رمز الوحدة والقاعدة الأساسية للهوية الثقافية، وهي النافذة التي نطل من خلالها على تكنولوجيا العصر من الفاكس والكمبيوتر حتى الإنترنت، وأهمية اللغة تكمن في أنها أسهل الوسائل التي يستخدمها الإنسان لفهم المعاني.

بمعنى أن اللغة العربية هي وقود الإنسان المسلم في مواجهة التحديات والأمم - في كل أطوار التاريخ - تبدأ مراحل اضمحلالها حينما يصل العدو الى مرابض اللغة والهوية، حينئذ يفقد الإنسان أهم عناصر وجوده.

إن قضية اللغة العربية في مواجهة تحديات العولمة وثورة المعلومات والقنوات الفضائية وثورة الهندسة الوراثية وغيرها من الطفرات العلمية الحديثة، وضعت اللغة العربية في ركن لا يحسد عليه، إذ يخشى أن تسود العالم لغة العلوم العصرية الإلكترونية بشكل غامر ولن تترك مكاناً للغات القومية (ومنها اللغة العربية).

إن التقنية المعاصرة لها دور كبير، بل

وخطير في سرعة الاتصال إلى ثقافة الفكر الآخر. ومن ملامح العصر الإلكتروني أن اللغات القومية سوف تختفي داخل الكمبيوتر وستصبح مرتبطة ارتباطا حميما بفهم اللغات الإلكترونية الجديدة.

وعلى المدى القصير سيشاهد الإنسان البرامج الذكية والغرف الذكية والملابس الذكية، ويستطيع المرء أن يتحدث إلى سيارته ويستطيع أن يخاطب أشياءه كلها من خلال شاشة صغيرة في جهاز صغير دقيق اسمه «الجوال» هذه الأشياء ستيسر عليك سبل حياتك، وستعلمك وستوفر لك المعلومات، وستنفذ لك أهم المهام التي تطلبها يوميا.

إن التكنولوجيا الحديثة سوف تفرض على الجنس البشري لغة عالمية واحدة، ولأننا نملك الآن هذه الرابطة الضخمة (من خلال الإنترنت والبريد الإلكتروني) فإن قوة هائلة تجذب العالم نحو لغة أو اثنتين عالميتين كبيرتين.

وإذا تمكن الغرب من تدمير اللغة العربية، فإنه ولا شك سوف يصل الى تدمير الذات العربية والهوية العربية، بمعنى أن الهوية العربية في الإنسان العربي معرضة للتدمير، وإذا ضاعت الهوية فسوف يضيع معها الكثير من كنوز أمتنا ابتداء من وحدتنا وحتى عقيدتنا.

إن دورنا الوظيفي لا ينحصر تحديداً في إطار حراسة فصاحة اللغة والسهر على نقائها فحسب. بل أن اهتماماتنا ومسؤولياتنا المعاصرة تكمن في العمل على حراسة علم الألسنية، والعلوم التي تتقاطع معه مثل علم النفس والسوسيولوجي والأنثروبولوجي والمعلوماتية في ظل منظومة تداخل العلوم الإنسانية والعملية على حد سواء.

إن الخطر الداهم على لغتنا العربية بات خطيرا وينبغي أن نتجنب أسلوب التعامل الفوقي أو السجالات والمماحكات المفتعلة، أي يجب أن نأخذ بعين الاعتبار الجانب التطبيقي للغة ومقاربتنا لمسائلها وبخاصة في صفوف ناشئتنا وطلابنا الجامعيين. ويجب أن لا تغيب معارف العصر المتداخلة التي ترى في اللغة وحدة هامة من وحدات بناء الصرح الإنساني.

ولا شك أن العرب في هذه الأيام في حالة انعدام وزن، فالحرب الإلكترونية تحاصرهم من كل مكان.. وللأسف مازالوا يكافحون ويحاربون بأسلحتهم التقليدية القديمة رغم أن هذه الأسلحة لم تعد صالحة إطلاقاً لرد ضربات الحرب الإلكترونية الشرسة.

نعم ، آخر الحروب التي يتلقاها العرب في هذه الأيام هي الحرب الإلكترونية المعلنة على اللغة العربية.

والسؤال: ما هو الحل؟

الحل هو أن نشارك مشاركة قوية وملموسة في الثورة التكنولوجية والإلكترونية والمعلوماتية التي تجتاح العالم، ونسعى بكل إصرار إلى وضع اللغة العربية جنبا الى جنب مع اللغات الحية التي تساهم في صناعة الثورة التكنولوجية الحديثة، كما أن الحل يتمثل في ضرورة تطوير اللغة وتمكينها من التعامل مع الثورة التكنولوجية العالمية بعيداً عن التعقيدات التي تزخر بها اللغة العربية بدون مبرر.



بقلم : **د . أمين ساعاتي**

- جدة -



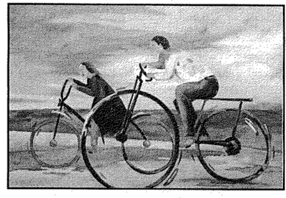
الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية

معرض الفنان السعودي/ عبد العظيم الضامن:

ضمن الاحتفالات بتتويج دولة الكويت عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠١م، ومرور أربعين عاما على استقلال دولة الكويت، ومرور أربعة وثلاثين عاما على تأسيس الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية، ومرور عشرة أعوام على تحرير الكويت.

استهلت الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية افتتاحية أنشطة وفعاليات العام ٢٠٠١ بإقامة معرض للفنان عبد العظيم الضامن من المملكة العربية السعودية ليقدم تجربته الفنية للجمهور من خلال ثمانية وأربعين عملا فنيا تشكيليا طوع فيها ريشته لتسجل التراث الخليجي القديم بأسلوب وتقنية حديثة.

افتتح المعرض الفريق م. عبد الحميد الحجي في صالة الفنون الجميلة بمقر الجمعية بحضور سعادة سفير المملكة العربية السعودية، ومدير المكتب الإعلامي السعودي، وأعضاء من السلك الدبلوماسي، ورجال الصحافة والإعلام والمهتمين بالحركة الفنية التشكيلية.



والجدير بالذكر أن الفنان السعودي من مواليد المنطقة الشرقية عام ١٩٦٣، حاصل على بكالوريوس تربية فنية من جامعة الملك سعود بالرياض ويعمل مدرسا للتربية الفنية ورئيس لجنة الفنون التشكيلية بنادي النور، شارك بالعديد من المعارض الفنية الجماعية داخل وخارج المملكة العربية السعودية، واقام العديد من المعارض الشخصية بالسعودية والبحرين والشارقة وتونس ومسقط. له العديد من الإسهامات في الصحافة المحلية والخليجية وله إصدارات ودراسات نقدية ومؤلفات عن الفن التشكيلي بصفة عامة وتجارب الفنانين السعوديين بصفة خاصة.

العلامة اللغوى المحقق الدكتور ابراهيم السامرائى .. في ذمة الله

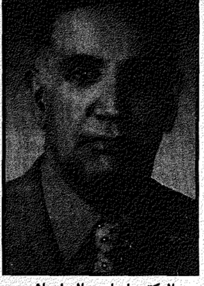
في صباح الاربعاء الاول من صفر ١٤٢٢هـ/ ٢٥ ابريل ٢٠٠١م. رحل عن دنيانا العلامة اللغوي والباحث المحقق الاستاذ الدكتور ابراهيم احمد السامرائى، وقد بلغ من العمر ثمانين عاما.. أفناها في خدمة اللغة العربية، تدريساً، وبحثاً، وتأليفاً وتحقيقاً.

وله جمهرة من المؤلفات في مجال اللغة العربية وآدابها، وفي مجال التحقيق والتوثيق منها:

نظرة في التنوين (١٩٥٩) وتعابير أوروبية في العربية الحديثة (١٩٥٩) والجمع في العربية (١٩٦٠) وفي تاريخ المشكلة اللغوية (جزآن ١٩٦٠ - ١٩٦٤) وبداية الفكر الجغرافي عند العرب (١٩٦٤) ودراسات في اللغة (١٩٦١) ومبدأ التطور في اللغة (١٩٦٤)، والجديد في اللغة والمعجم الحديث (١٩٦٥)، وابو سعيد السيراني وكتاب سيبويه (١٩٦٦) وغيرها.

كما حقق كتبا كثيرة، منها:

خلق الانسان لأبي اسحق الزجاج (١٩٦٢)، رسائل في اللغة (١٩٦٤)، نزهة الألباء في طبقات الادباء لابن الانباري (١٩٥٩)، الجبال والامكنة والمياه لمحمود بن عمر الزمخشري (١٩٦٨)، وشعر الاحوص (١٩٦٩) وغيرها كثير. وله مؤلفات في اللغات السامية.



الدكتور ابراهيم السامرائى

الدكتور ابراهيم السامرائي من مواليد ١٩٢١م في مدينة العمارة في جنوبي العراق. واسرته من مدينة سامراء في شمال العراق. درس اللغات السامية في السوربون.

وهو عضو في مجمع اللغة العربية في القاهرة، وفي المجمع اللغوي الاردني، وعضو في المجمع اللغوي الهندي. وعضو الجمعية اللغوية الباريسية..

لقد كان الدكتور السامرائي من محبي المنهل وكتابها البارزين.

رحمه الله رحمة واسعة.. واسكنه فسيح جناته.. وأحسن عزاء اهله وذويه وطلابه ومحبيه .. إنا لله وإنا اليه راجعون.



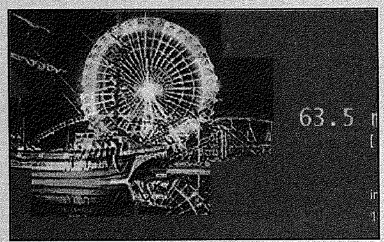
عين لندن

فكرة تراثيــة تحــولت الى مـشــروع تجــاري

تعد عين لندن London Eye رابع أكبر منشأ في مدينة لندن بعد كناري ورف Canar Wharf، Natwest Tower و Telecom Tower، ويعــد أكـبــر دولاب Wheel بالعالم من حيث الارتفاع والوزن متفوقا على دولاب Kobe في اليابان المنشأ عام ١٩٨١م.



اعداد : **وجدي ابو الريحة** - جامعة ويستمنستر - لندن



صورة رقم (١)



صورة رقم (٢)



صورة رقم (٣)

(صورة رقم١)، ودولاب Texas Star في الولايات المتحدة المنشأ عام ١٩٨٥م (صورة رقم٢) ، ودولاب Techno Cos-mos في Expoاليابان عام ١٩٨٥م أيضا (صورة رقم٣) حيث يبلغ ارتفاعه ١٣٥م أي ١٢٠ قدماً تقريبا أعلى من ساعة بيغ بن كما يبلغ قطره نصف عرض نهر التيمز ووزنه ٢١٠٠ طن.

وقد أطلقت عليه هذه التسميه لإمكان النظر على بعد ٢٥ ميلا تقريبا في كل اتجاه من أعلى نقطة فيه وقد أخذ دولاب لندن شكل دولاب الدراجه الهوائيه من حيث استعمال الأسلاك في التكوين الهيكلي حيث يوجد ٦٤ سلكا (Cables) من مركز الدولاب (hub) موزعة على محيطه و١٦ سلكا (Cables) من مركز الدولاب (hub) مرتبطة بالأرض، اما من الناحية الديناميكية لم تكن الفكرة جديدة العهد فقد اعتمد المهندسان المصممان (ديفيد ماركس ووجوليا بارفيلد) على فكرة من أقصى

وقد تم انجاز هذا المشروع وافتتاحه للعامة في شهر مارس ٢٠٠٠م.

يقع الدولاب في الضفة الجنوبية South Bank من نهر التيمز في قلب لندن حيث تقابله من الجهة الثانية من النهر ساعة بيغ بن الشهيرة، وقد صمم ليكون جميلا وممتعا يطل على مناظر مختلفة وله القدرة على امتصاص الرياح وحالات الطقس المتقلبة.



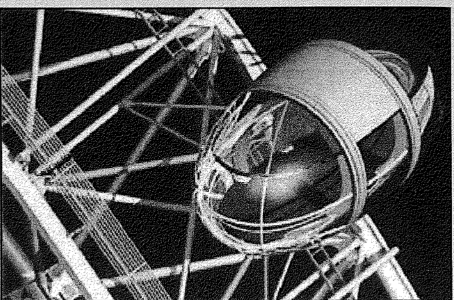
الحُجرة:

يحتوي الدولاب على ٣٢ حجرة تحمل كل واحدة ٢٥ راكبا، يبلغ وزن كل واحدة مع الركاب ٩٫٣ طن يحيطها شباك زجاجي يمكن من خلاله التمتع برؤية المناظر (صورة رقم ٦). والحُجرة مجهزة بمقاعد للجلوس وللركاب حرية الحركة داخلها يتم التحكم بها بواسطة محرك وهي مكيفة وأمينة.

صُممت الاضاءة من قبل فنان الاضاءة الأوروبي yann Kersale لتعطي شيئا من الجمال ليلا ونهارا بالاعتماد على عناصر الهواء، الأرض،

الشرق يعود تاريخها الى حوالي ٢٠٠٠ عام عندما استعمل الدولاب لأول مرة في العالم في رفع المياه والسقي (صورة رقم ٤، ٥).

وقد تبنت شركة الخطوط الجوية البريطانية (British Airways) مشروع انشاء هذا الدولاب عام ١٩٩٥م للاحتفال بقدوم الألفية الثالثة



صورة رقم (٦)

هل نجح المشروع تجاريا؟

تشير الاحصائيات المتوفرة من الخطوط الجوية البريطانية المتبنية لهذا المشروع ان عدد رواد هذا الدولاب سنويا يبلغ حوالي ٢ر٢ مليون راكب، والدخل السنوي ما يعادل ١٤ مليوناً استرلينيا، أي ان ثمن التذكرة للكبار ٤٥ر٧ جنيهاً استرلينيا وللصغار ٩٥ر٤ جنيها استرلينيا.

أما كلفة المشروع الكلية خلال مراحل الانشاء تقدر بحوالي ٦٥ مليون جنيهاً استرلينيا، وهذا يعني أنه خلال خمس سنوات تكون المبالغ الواردة قد غطت كلفة المشروع، هذا بغض النظر عن أن هذا المشروع اكسب لندن اهمية سياحية كبيرة يقصدها السياح من جميع ارجاء العالم حيث تم انشاء المطاعم والكافتريات (مقاصف) بجانب هذا الدولاب وعلى ضفاف نهر التيمز. ووفقا لتلك الاحصائيات يعد المشروع ناجحا تجاريا، فهل يستفيد المهندسون والمقاولون من البلدان العربية لتوظيف ما عندهم من أفكار في مشاريع تجارية ناجحة ويرون ان اصل فكرة (عين لندن) جاءت من أقصى الشرق؟.

الماء والوقت وعلى كثافة تغير الضوء ١٦ مرة بالدقيقة (معدل تنفس الانسان) حيث تعطي الحجرة بريقا خلال وقت الطيران الليلي.

كل حجرة مجهزة بكاميرا مرتبطة بغرفة في الأرض تقوم بالتقاط الصور للركاب.

للدولاب تصميم متميز يجعله يختلف عن باقي الدواليب في العالم للأسباب التالية:

١ ـ موقع الحجرة خارج هيكل الدولاب والتحكم بها بواسطة محرك كهربائي.

٢ ـ يستند الدولاب على عمودين مائلين من جانب واحد مما يجعل الدولاب عموديا على النهر.

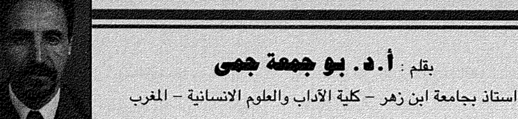
٣ ـ موقعه المتميز فوق نهر التيمز في مركز لندن.

هل عقوبة الحدود الإسلامية قاسية

ليس الهدف من هذا البحث الموجز دراسة العقوبات التي قررها الإسلام في جرائم الحدود، لأن الموضوع تعاوره العلماء والفقهاء بالدراسة المستفيضة، وإنما الهدف هو مقابلة عقوبات هذه الحدود بخصائص التربة الإسلامية التي تزرع فيها؛ لأنني أظن أنهم لم يتعرضوا لهذه المقابلة التي بإمكانها الكشف عن مسوغات أخرى تجعل القلب والعقل أكثر اقتناعا بعدالتها وشجاعتها على محاربة ما قررت بسببه.

قسم العلماء جرائم الحدود الى الزنى، والقذف، والشرب، والسرقة، والحرابة، والردة، والبغي.

وعرف الحد بقول أحدهم: «والحد هو العقوبة المقررة لمصلحة الجماعة»[١]. وما دام الحد حق الله تعالى فانه لا أثر فيه للعفو بعد أن يبلغ الإمام أو القاضي، وتتميز عقوبة الحدود بكونها غير قابلة للسلطة التقديرية للقاضي الذي لا يجوز له مخالفة العقوبة المنصوص عليها في مصادر الشريعة الإسلامية ما عدا إذا كان هناك سبب شرعي يمنع من تطبيقها. وسنكتفي بمقابلة عقوبة الحدود في الزنى، والسرقة، وشرب الخمر، مع السلوكات العامة التي يؤصلها تطبيق التعاليم الإسلامية في المجتمع الاسلامي، وعلى ضوئها قررت تلك العقوبات، وهو الجانب الدقيق الذي لم تتطرق إليه الدراسات المهتمة بهذا الموضوع، ذلك أنها نكرت أن هذه العقوبات وضعت لتأديب الجاني وكفه هو وغيره عن الجريمة، وأنها وضعت على أساس متين من علم النفس، وأن الرأفة بالمجرمين تشجع على الإجرام، في حين يكون العذاب الذي يصحب العقوبة كفيلا بتأديب المجرم، وزجر من لم يرتكب الجريمة[٢]، لكنها لم تشخص هذه المقابلة.



بقلم : أ.د. بو جمعة جمي

استاذ بجامعة ابن زهر - كلية الآداب والعلوم الانسانية - المغرب

إن الحاقدين على الإسلام أو الجاهلين لدلالة مقاصده يتخذون بعض الحدود في الشريعة الإسلامية ذريعة لاتهامه بقساوة أحكامه، كالحكم بقطع يد السارق الوارد في قوله تعالى: {فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا}.

يقول الزمخشري في قوله تعالى: {فاقطعوا أيديهما}: «ودخول الفاء لتضمنها معنى الشرط، لأن المعنى الذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله تعالى»[٣]. والاسم يضمن معنى الشرط، ويقول «وأريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم، والسارق في الشريعة الإسلامية من سرق من الحرز»[٤].

ومن مواعظ الحسن البصري: «احذر من قطع يدك في درهم»[٥].

فإذا ثبت هذا الحد على المسلم لا يسقط، لأن في إقامته صلاحا للمؤمنين والحياة لقوله تعالى: {ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون}[٦]، وحديث عائشة رضي الله عنها: أن أسامة كلّم النبي {صلى الله عليه وسلم} في امرأة فقال: «إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع، ويتركون الشريف، والذي نفسي بيده لو فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها»[٧]، ونهى النبي {صلى الله عليه وسلم} عن السرقة في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في رهط فقال أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا ولا تقتلوا أولادكم»[٨].

وقد استوقفني قول صاحب حاشية صحيح البخاري: «ولا تسرقوا» وقد زاد في نسخة «ولا تزنوا» فظننت أن عطف «لا تزنوا» على «لا تسرقوا» لدليل على اعتبار **الزنا ضربا من السرقة، سرقة الشرف الذي يمثل قمة الكرامة الآدمية، وما سرقة ممتلكات الناس إلا انتهاكا لحرية الإنسان الذي كرمه الله بها.**

إن قطع يد السارق يعتبر ردعا لكل من سولت له نفسه سرقة أموال الناس، كما أن القصاص يردع كل مقدم على قتل آدمي بغير حق، لأن ردع من طاوعته نفسه على القتل يتحقق بالقصاص، كما أن المقدم على السرقة سيرتدع عندما يكون متيقنا من حتمية تطبيق حد قطع اليد عليه.

لكن ما هي الشروط العامة التي يعتبرها الإسلام مسوغا شرعيا لمعاقبة السارق بقطع اليد؟ وهو عقاب قاس في رأي من يحقد على الاسلام، أو لم يفهم المنهج الذي يتبعه في تنظيم حياة المسلمين، والحكمة من ذلك، وكذا تنظيم علاقتهم مع غيرهم.

إن الشروط العامة **والمسوغات الشرعية لعقوبات الحدود ترتبط بتسيير شؤون المسلمين على جميع المستويات**، ذلك أن النظام الإسلامي يتوخى سيادة العدل في المجتمع سيادة تنطلق من كون الناس سواسية، لا فضل لأحد على الآخر إلا بالتقوى، بحيث تبنى على استحضار المسلم عظمة الله عز وجل وعقابه

الشديد قبل الإقدام على أي سلوك، مما يجعل أهل الحل والعقد يشرعون قوانين تدبير الشأن العام طبقا للتعاليم الإسلامية المتضمنة لثوابت ومتغيرات يبلور قوانينها اجتهاد المتخصصين كل حسب تخصصه، مع مراعاة التقيد بالثوابت التي يتضمنها النص، لأنه لا اجتهاد مع النص، فيؤدي تنفيذ مقتضيات النصوص وكذا الاجتهاد الى **خلق توازن في المجتمع**، بحيث يشعر من حرم من القدرات الجسدية التامة أنه يأخذ حقه من ثروات بلده مكرما، دون أن يحس بمرارة مد اليد لأخذ شيء لم يبذل فيه أي مجهود، بسبب موانع حقيقية تحول بينه وبين العمل ـ عدا الإرث الشرعي أو الوصية ـ وغيرهما، كل ذلك في إطار التكافل الاجتماعي، اعتمادا على قوله تعالى في إحدى صفات المتقين {وفي أموالهم حق للسائل والمحروم}[٩]. فالسائل هو الذي يستجدي لكونه لا يملك ما يقتات به، أما المحروم فهو الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة بمفهومها الإسلامي، لتعففه وعدم قدرته على أن يسأل الناس إلحافا، لكن لا ينبغي أن يفهم من الصدقة أنها التي تكون بالطريقة التي ألفناها، وهي مد المتسولين بالقليل القليل من المال، مما يجعلهم يحسون بالذل. **إن طريقة توزيع ثروات البلد على أهلها، السائدة في المجتمعات الإسلامية تسببت في تكدس الثروات في يد فئة محظوظة وحرمان معظم أفراد الأمة من حقوقها بإكراهات مختلفة تمت إقامتها على الظلم والديماغوجية السياسية المتضمنة لوعود كاذبة**، بالإضافة إلى أن هذه الفئة الثرية لا تخرج حتى الزكاة الواجبة شرعا؛ وإنما تفضل تبذير أضعاف النصيب الواجب إخراجه زكاة وإنفاقه في الشهوات المحرمة، والإسراف في التمتع بالملذات إسرافا ينهى عنه الإسلام عوض تسليم أنصبة الزكاة خاصة إلى مستحقيها.

وعليه، فان المجتمع الذي ينسب نفسه الى الاسلام، وتسود فيه هذه الوضعية المناقضة لتعاليمه الربانية، من الطبيعي أن تستشري فيه آفات اجتماعية من بينها جريمة السرقة، مما يجعل تطبيق حد السرقة كما شرعه الله عز وجل في النص القرآني يبدو للبعض قاسيا، بسبب انعدام الشروط التي تستخلص من النظام الاقتصادي والاجتماعي في الإسلام، ذلك أن الشخص الذي حرم من حقه في ثروات بلاده، وسدت أمامه أبواب كسب الرزق، سواء كان قادرا على العمل وراغبا فيه، أو عاجزا عن ممارسة أي عمل، فإنه سيتربى فيه الحقد على مجتمعه الذي يرى فيه الظالم المعتدي على حقوقه، فتنشأ فيه عقدة الحقد والسخط، الى أن يصبح في حالة يكون فيها لسان حاله «عليّ وعلى أعدائي» فيستسلم للانحرافات التي تتصدرها السرقة، لكونها تعتبر سبيلا للعيش عند هذه الفئة التي لم يسهم المجتمع في تربيتها تربية إسلامية تقيها من آفات الانحراف، ولم تهيىء لها نظم تسيير شؤون الدولة سبل العيش الكريم، بل كرست تفقيرها وإذلالها، لكونها وجهت اهتماماتها لصالح ذوي النفوذ، ومن يحمونه من الأغنياء الذين لا يفكرون أصلا في هذه الطبقة المحرومة من حقوقها، بل إنها تتمادى في الاستحواذ على كل ثروات البلد.

إن المجتمع الذي تعامل فيه شريحة عريضة محرومة بهذه المعاملة التي لا تقرها الدول التي تعتبر نفسها ديموقراطية، وبالأحرى الإسلام الذي له قوانينه

العادلة في تسيير شؤون الناس، وتوزيع ثروات بلدانهم؛ الإسلام الذي لا يقبل تجزيء تعاليمه المتلاحمة سواء على مستوى العبادات أو المعاملات، وبالتالي لا ينبغي أن يطالب البعض بتطبيق الحدود التي فرضها الإسلام على أولئك المنحرفين الذين تربوا تربية غير إسلامية **فمادامت الشروط التي توفرها التعاليم الإسلامية** - مثل العدالة في المجال الاقتصادي والاجتماعي والقضائي - **منعدمة** في مجتمع ينسب نفسه للإسلام على الرغم من كونه لا يطبق منه إلا تعاليم قليلة معرضا عما هو أهم، **فإنه من الصعب الإقدام على تطبيق بعض أحكامه**؛ مثل قطع يد السارق، مما يجعل تطبيق الحدود الشرعية يصطدم بوضع لا تتوفر فيه الشروط التي توجب تطبيقها. **إن حدود الإسلام حدود عادلة تحقق التوازن في حياة المسلمين،** كما تحقق الأمن والطمأنينة في الوسط الاجتماعي، ومن هذا المنطلق يمكن تكوين تصورين متضادين:

أحدهما: وجود فكر يفصل الإسلام عما تحققه مقتضيات شريعته من عدالة حقيقية في كافة مجالات الحياة، فيقصر نظره على المطالبة بتطبيق العقوبات التي قررتها الشريعة الإسلامية في وضع لا يحمل من مؤثرات الإسلام إلا بعض المظاهر، ناسيا أو جاهلا أن التعاليم الإسلامية كل لا يتجزأ، بحيث يكون السلوك الروحي منبعا لكل خطوة يخطوها الشخص على المستوى المادي والمعنوي، إذ ليس لكل جزاء شرط مقتصر على الفعل أو الترك فحسب، ولكن يضاف إليه وجوب تحقق أثر التعاليم الإسلامية في الواقع المادي. وليس معنى هذا المطالبة بتطبيق التعاليم الإسلامية بحذافيرها لأنه مبتغى يعز تحققه بعد انقضاء الصدر الأول من الإسلام، ولكن يجب تحقيق أهم ما تؤسس عليه شروط تطبيق تلك الحدود.

والثاني: وجود فكر يتجه رأسا إلى طبيعة الحدود في الإسلام؛ مثل قطع يد السارق، أو قتل الزاني المحصن رجما، أو جلد شارب الخمر، فيتهمها بالقساوة الفظيعة، وينعتها بنعوت سيئة تفوح منها رائحة كره للإسلام، وحقده على من يؤمن به ويحاول تطبيقه.

> * **الحدود الشرعية عقوبة مقررة لمصلحة الجماعة.**
>
> * **المسوغات الشرعية لعقوبات الحدود مرتبطة بتسيير شئون المسلمين على جميع المستويات.**

ولعل مصدر انطباعه هذا هو مقابلته بين أنواع الظلم السائد في المجتمعات الإسلامية، وبين تلك الأحكام الشرعية التي تبدو قاسية عندما تطبق في هذه المجتمعات التي تنسب نفسها للإسلام نسبا يقوم على فصل السياسة العامة المسيرة لشؤونهم عن تعاليم الإسلام في مجال العبادات.

وعليه؛ فإن كل من يدعي قساوة الحدود في أحكام الشريعة الإسلامية أن لا يقف

عند {ويل للمصلين}؛ فإما أن يطبق مقتضيات الثوابت في الإسلام، ومقتضيات ما وصل إليه الاجتهاد في المتغيرات، فيكون تطبيق الحدود التي شرعها الله عز وجل وبينها بتفصيل نبيه {صلى الله عليه وسلم} تطبيقا عادلا تتجلى لعقل المسلم مظاهره، وترتاح له نفسه؛ لأنه يؤمن بالتلاحم والتكامل في مجال الشريعة الإسلامية.

وإما أن يكون المجتمع مبتعدا عن تطبيق التعاليم الإسلامية، ففي هذه الحالة لا يسأل الإسلام عن أحواله، إذ له أن يطبق ما شاء من القوانين لأن شريعة الله - وهو على هذه الحال - بريئة منه. وهو أمر ينطبق على حد الزنى الذي تنقسم عقوبته الى القتل رجما؛ أو الجلد بمائة جلدة وتغريب عام؛ اعتمادا على قوله عز وجل: {الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين}[١٠]. وقول النبي {صلى الله عليه وسلم} في حديث روته عائشة رضي الله عنها: «لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا بإحدى ثلاث رجل زنى بعد إحصان، فإنه يرجم، ورجل خرج محاربا الله ورسوله فإنه يقتل، أو يصلب، أو ينفي من الأرض، أو يقتل نفسا فيقتل بها»[١١].

وقد قيدت السنة النبوية الجلد بمائة جلدة، وقرنته بالتغريب؛ كما ورد في حديث رواه أبو هريرة وابن خالد الجهني، أن رجلين اختصما الى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، فقال أحدهما يا رسول الله، اقض بيننا بكتاب الله، وائذن لي في أن أتكلم فقال: «تكلم» فقال: إن ابني كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته، فأخبروني أن على ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاة وبجارية لي، ثم إني سألت أهل العلم فأخبروني أنما علي ابني جلد مائة وتغريب عام، وإنما الرجم على امرأته، فقال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «أما والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله، أما غنمك وجاريتك فرد عليك» وجلد ابنه مائة، وغربه عاما، وأمر أنيسا الأسلمي أن يأتي امرأة الآخر، فان اعترفت رجمها، فاعترفت. فرجمها.

قال مالك: والعسيف الأجير[١٢]، وهو حد مبني على حكم إلهية؛ الظاهر منها أن المحصن الذي يعاقب بالرجم إذا ثبت الزنى في حقه ثبوتا شرعيا، لا عذر له في ارتكاب هذا الذنب الكبير؛ لأن الإسلام مكنه من الاقتران بامرأة تلبي له رغباته، ويلبي لها رغباتها في إطار تحكمه قيود شرعية، فإذا كان للزوج قدرات كافية على تعدد الزوجات، شرط تقيده بشروط الإسلام في هذا الباب فله ذلك. أهمها ما يفهم من قوله تعالى: {فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم} النساء الآية/٠٣. كما أن الشريعة الإسلامية أباحت له الطلاق إذا كان في عشرته لزوجته ما يدفعه للزنى وهو الحق الذي خول للزوجة التي يحق لها أن تطلب الطلاق إذا تعرضت للضرر نفسه، ولعل الحكمة في تخفيف عقوبة الزنى على غير المحصن هي رأفة الله تعالى بعبده الذي تغلبه رغبته الجنسية فتأتي لحظات يعجز فيها عن مقاومتها، وهي رأفة لا ينبغي أن يفهم منها أن الإسلام يتساهل في ممارسة الزنى لغير المحصن الذي إذا كرر ارتكاب هذا الذنب فان جلده مئات المرات سيسبب له آلاما شديدة قد تؤدي إلى موته فيلتحق بالزاني المحصن الذي أقيم عليه حد الرجم.

فلماذا تشدد الإسلام في عقوبة الزنى؟

من مسوغات هذا التشدد ـ إضافة الى ما ذكر ـ أن المسلم يفترض فيه أن يخلق فيه الإيمان مجاهدة النفس، والشعور بخطورة الاعتداء علي شرف امرأة، وأن من مقاصد الشريعة الإسلامية المحافظة على النسب الشرعي ووقاية الذكر والأنثى من الأمراض الخطيرة التي تصيبهما جراء هذه الممارسة غير الشرعية، وهو ما أثبته العلم الحديث الذي سبقه الإسلام الى إرشاد العقل إليه. إلا أن هذا العلم لم يؤثر في قوانين الدول المتحضرة والمتقدمة بأبحاثه وتقنياته لكونها لم تشدد عقوبة الزنى تشديدا يتناسب مع ما يجلب للمجتمعات البشرية من أمراض يعجز العلم السريع التطور عن معالجتها، بل إنها مستمرة في إغراق العالم في المغريات باستغلالها للتكنولوجية، ووسائل الإعلام، وخاصة المرأة، وتمريرها في كافة قنوات الخطاب المكتوبة والمسموعة والمرئية يسهم الإعلام المتطور في إذكائها وتقديمها في صور يختفي في البعض منها ما تتضمنه من أخطار، لكن آثارها السيئة تتحقق بتكرار التعامل معها، منها ما ألبس لباس تمتيع المرأة بحريتها.

إن التعاليم الإسلامية تدعو إلى تنقية المجتمع من كل ما يغري على ممارسة الزنى، كما ينص عليه قوله تعالى: {قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم}[١٣]، لأن النظرة تثير الشهوة في النفس، فعليهم أن يصونوا فروجهم عن الزنى وعن الإبداء والكشف، يقول الشاعر:

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها
فتك السهام بلا قوس ولا وتر

ويقول عز وجل في حق المؤمنات: {وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن}[١٤].

عندما يتراءى للحاقدين على الإسلام أو الجاهلين لمقاصده أن إعدام الزاني المحصن حكم قاس، عليهم أن يمعنوا النظر في هذه التربية الإسلامية التي تربي المؤمن والمؤمنة على التحكم في غرائزه؛ وذلك بسد منافذ الإغراءات التى تكون مصدر الجرائم والسلوكات السيئة التي استشرت في المجتمعات الغربية ومن اقتدى بها، لأن من أسس الحضارة الغربية صنع مختلف الإغراءات وتمكين الناس من الارتماء في أحضانها بدعوى الحداثة، والتحرر من القيود الدينية المتضمنة للقيم الإنسانية، وخلق الرواج الاقتصادي، وفتح المجال أمام البحوث العلمية.. فالإسلام له طرقه

*** العدل بين الناس يقيم موازين الحق بينهم.**

*** ما دامت الشروط التى توفرها التعاليم الاسلامية منعدمة فانه من الصعب تطبيق بعض الاحكام.**

*** الاسلام كُلٌّ لا يتجزأ.**

التربوية القادرة على محاربة تلك الإغراءات؛ منها هذا المشهد الذي يصوره لنا حديث ابن أم مكتوم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت كنت عند رسول الله [صلى الله عليه وسلم]، وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم - وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب - فدخل علينا فقال احتجبا، فقلنا يا رسول الله: أليس أعمى لا يبصر؟ قال: «أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟»[١٥].

إن الإسلام حرص على التنبيه لجزئيات في سلوك المرأة قد تكون مفتاحا لإثارة شهوة الرجل فينصاع لما يتلوها من الإغراءات؛ منها قوله تعالى: {ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون}.

يقول الزمخشري: «كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليتقعقع خلخالها، فيعلم أنها ذات خلخال، ويقول وإذا نهين عن إظهار صوت الحلي بعد ما نهين عن إظهار الحلي، علم بذلك أن النهي عن إظهار مواضع الحلي أبلغ وأبلغ. فأين تبرج المرأة المعاصرة وممارستها لمختلف الإغراءات من هذه الأوامر والنواحي الإلهية في كل مجالات لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها، وإن ضبط نفسه واجتهد، ولا يخلو من تقصير يقع منه، فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار»[١٦].

إن المجتمع الذي ينشأ فيه الفرد تنشئة تراعي مثل هذه الجزئيات التي أصبحت غريبة حتى في المجتمعات الإسلامية لا يمكن أن تسود فيه تلك الإغراءات التي عجزت المجتمعات الغربية عن مقاومتها فأصبحت مصدر أمراض فتاكة وجرائم خطيرة، فإذا كانت التربية الإسلامية تحرص هذا الحرص الشديد على تقويم سلوك المسلم، بتهييئها لسيادة جو نقي خال من مختلف الأوبئة المادية والغريزية، فان الحدود التي وضعها التشريع الإسلامي لا يمكن للعاقل المنصف أن يصفها بالقساوة لأن الفئة التي تهم بالإقدام على ارتكاب جرائم عقوبتها صارمة ستكون قليلة، ووجودها يعتبر طبيعيا لأن في الجنس البشري من لا يتعظ فلا يخشى المهالك التي يراها بأم عينيه، لذلك عمد الإسلام الى حماية المجتمع منه، فيكون عبرة لمن يتعظ وعلى الرغم من صرامة الشريعة الإسلامية في حدودها فإنها في الوقت نفسه رؤوفة بالإنسان شديدة الاحتياط في تطبيقها مخافة أن يخطىء القاضي في أحكامه الشرعية، استنادا الى حديث عائشة رضي الله عنها التي قالت قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: «ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فان كان له مخرج فخلوا سبيله؛ فان الإمام يخطىء في العقوبة»[١٧]، كما أن الشريعة الإسلامية تشترط في إثبات جرائم الحدود والقصاص عددا معينا من الشهود؛ إذا لم يكن دليل إلا الشهادة،

*** الاسلام لا يقيم عقوبة على أحد اذا لم تتوفر شروطها ومسوغاتها.**

*** مَن ارتكب جرماً يؤخذ به، وإلا أصبح المجتمع همجاً.**

ذلك أن جريمة الزنى لا تثبت إلا بشهادة أربعة شهود عدول يقرون بشهادتهم الجريمة وقت وقوعها حقيقيا، في حين تثبت بقية جرائم الحدود والقصاص بشهادة شاهدين عدلين على الأقل. لكن ينبغي أن ننتبه لشهادة الزور الصادرة من أناس ينسبون أنفسهم للاسلام وهو بريء من سلوكاتهم العديدة، مما يطرح علامة استفهام عن مدى عدالة بعض الاحكام القضائية التي تبنى حجيتها على شهادة هذا النوع من الشهود الذين يتخذون الشهادة حرفة، ويجعلونها رهن إشارة من يزودهم بالمال مقابل شهادة الزور. فهل هناك قانون وضعي أعدل وأكثر رأفة من شريعة الله عز وجل؟!

إن المجتمع الذي يباح فيه شرب الخمر ينظر فيه إلى عقوبة شربها على أنها عقوبة قاسية، وتكون بالجلد ثمانين جلدة، أو أربعين جلدة عند الشافعي الذي لم يعتبر الأربعين الأخرى من الحد، وإنما هي تعزير، وهي نظرة تبدو منطقية، لأن الإسلام لما قررها اعتمد طبيعة تشريعاته التي تحرم صناعة الخمر وما يتلوها من طرق تداولها، لحكمة أدرك العلم المعاصر جزءا منها، وهو بعض أضرارها المادية والمعنوية، فما دام في تحريمها مصلحة كبيرة للمجتمع؛ على مستوى الفرد والجماعة، فإن قساوة عقوبتها المزعومة تنتفي لتصبح حكما عادلا يقي المجتمع من أضرارها الخطيرة المنتشرة في مجتمعات تتعاطى شربها.

وعليه؛ فإنه لو طبقت تعاليم الإسلام في المجتمعات التي تنسب نفسها للإسلام لقضي على ما تعاني منه من أسباب التخلف، وما يهدد أمنها وطمأنينتها، ومن تعدد اتجاهاتها السياسية، والفكرية، والعلمية تعددا يؤدي الى ضعفها فتتكالب عليها الدول التي تحقد على الإسلام ساعية الى استعمارها استعمارا مباشرا أو غير مباشر للقضاء على مقوماتها واستغلال الإمكانيات التي تملكها.

الهوامش :

(١) التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، تأليف عبد القادر عودة ٦٣٤/١ ـ ٦٣٥ الطبعة الرابعة ١٩٨٥، دار احياء التراث العربي، بيروت.

(٢) نفسه ٦٣٥/١.

(٣) سورة المائدة الآية ٣٨.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ٦٣٢/١، رتبه وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد، طبعة ١٩٨٦، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٥) نفسه ٦٣٢/١.

(٦) سورة البقرة، الآية ١٧٩.

(٧) البخاري بشرح السندي للعلامة أبي عبد الله البخاري ١٧٣/٤ طبعة ١٩٧٨، دار المعارف، بيروت. وللحديث رواية أخرى ذكرت فيها المرأة المخزومية التي سرقت وأهمت قريشا، نفسه ١٧٣/٤.

(٨) نفسه ١٧٤/٤.

(٩) سورة الذاريات، الآية ١٩.

(١٠) سورة النور، الآية ٢.

(١١) سنن أبي دواود رقم الحديث ٣٧٨٩.

(١٢) الموطأ للإمام مالك بن أنس ١٨/٢، رواية أبي مصعب الزهري المدني، حققه وعلق عليه د. بشار عواد معروف، ومحمود محمد خليل، الطبعة الثانية ١٩٩٣، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(١٣) سورة النور. الآية ٣٠.

(١٤) سورة النور ، الآية ٣١.

(١٥) الكشاف ٢٣٣/٣.

(١٦) نفسه ٢٣٣/٣.

(١٧) رواه الترمذي في سننه، رقم الحديث ١٣٤٤.

بعض المبادىء التربوية في خواتيم سورة البقـرة

يقول الحق تبارك وتعالى:

{آمن الرسـول بما أنزل اليـه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقـالوا سـمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير * لا يكلف الله نفساً إلا وسـعهـا لهـا مـا كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تُحَمِّلنا مـالا طـاقـة لنا به واعف عنا واغفـر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين} (البقرة/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦).

مع هاتين الآيتين العظيمتين بما اشتملتا عليه من معان عظيمة ومبادىء كريمة جعلتهما خير ختام لسورة البقرة التي تعد أطول سور القرآن الكريم على الاطلاق نطوف طوافاً سريعاً لنتعرف على بعض المبادىء التربوية القرآنية التي وصفها الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي بقوله: «المبادىء التربوية هي تلك الأحكام والنظم والقيم التي أرساها ودعا اليها القرآن الكريم مما يقوم عليه تهذيب الفرد وترقيته في الخلق والسلوك»[١].

ومن هذه المبادىء التربوية التي يمكن استنباطها من هاتين الآيتين الكريمتين ما يلي:

١ ـ أن التربية الإسلامية تقوم على أصول عظيمة لا يمكن أن تتحـقق إلا بالإيمان الكامل بهـا وهي ممثلة في قوله تعالى: {كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله}.

وهذا يعني أن الإيمان الشامل الذى جاء به هذا الدين هو القاعدة العظيمة لكل جزئية في حياة المسلم وتربيته، وهو المنطلق الأساسي لكل سلوك من سلوكياته قولا وعملا، سراً وعلناً، أمراً ونهياً.. الخ. وفي هذا الشأن يقول سيد قطب: «والإيمان بالله في الإسلام قاعدة التصور. وقاعدة المنهج الذي يحكم الحياة. وقاعدة الخلق والاقتصاد. وقاعدة كل حركة يتحركها المؤمن هنا أو هناك»[٢].

٢ ـ تربية المؤمنين على الالتزام التام بجميع ما جاء به معلم الناس الخير {صلى الله عليه وسلم} من الكتاب والسُنه المطهرة، وامتثالهم إياه وقبولهم له قبول إذعان وطاعة «وقالوا سمعنا وأطعنا».

٣ ـ في قوله تعالى: {غفرانك ربنا واليك المصير}



بقلم : **د. صالح أبو عرَّاد الشهري** - أبها

تربية للمؤمنين على طلب المغفرة من الله سبحانه والتضرع اليه جل في علاه بعد أن تم إعلان السمع والطاعة والامتثال منهم لما جاء من عند الله تعالى لأنهم على يقين تام أن مصيرهم اليه في كل حال وحين، كما أن في ذلك إقرار من المؤمنين وإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان التي سبق الحديث عنها في صدر الآية. وفي هذا الشأن يقول سيد قطب:

«إنها الوحدة الكبرى، طابع العقيدة الإسلامية، ترسمه هذه الآية القصيرة: الإيمان بالله وملائكته، والإيمان بجميع كتبه ورسله، بلا تفريق بين الرسل، والسمع والطاعة والإنابة الى الله، واليقين بيوم الحساب»[٣].

٤ - أن التربية الإسلامية تقوم على مجموعة من القواعد الرئيسة؛ ومن هذه القواعد ما جاء في قوله تعالى: {لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تُحَمِّلْنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا}. وقد أشار الشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي إلى بعض تلك القواعد بقوله: «ويؤخذ من هذه الآية قاعدتان هما:

أ - قاعدة التيسير ونفي الحرج في أمور الدين كلها.

ب - قاعدة العفو عن النسيان والخطأ في العبادات وفي حقوق الله تعالى[٤].

ويضاف الى ذلك قاعدة أخرى هي:

جـ - قاعدة العفو عن حديث النفس وخواطرها ما لم يترجم ذلك الى قول أو عمل.

والخلاصة أن تربية الإنسان المؤمن بالله سبحانه تقوم على ما أشار اليه سيد قطب بقوله: «وهذا هو قوام الأمر في حس المؤمن: عمل بكل ما في الوسع، وشعور مع ذلك بالتقصير والعجز، ورجاء - بعد ذلك - في الله لا ينقطع، وتطلع الى العفو والمغفرة والسماح[٥].

وختاماً هذه بعض المبادىء التربوية التي يمكن استخلاصها من هاتين الآيتين الكريمتين سائلا المولى عز وجل أن لا يؤاخذنا إن نسينا أو اخطأنا والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

(١) محمد سعيد رمضان البوطي (١٤٠٥هـ) منهج تربوي فريد في القرآن، بيروت: مؤسسة الرسالة، ص ١٧.

(٢) سيد قطب (١٤٠٦هـ) في ظلال القرآن، جده: دار العلم للطباعة والنشر، ط ١٢، المجلد ١، ص ٣٣٥.

(٣) سيد قطب، المرجع السابق، ص ٣٣٨.

(٤) عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٤١٧هـ) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٣، ص (١٠١).

(٥) سيد قطب، مرجع سابق، ص ٣٤١.

الإعجاز في قصة آدم (عليه السلام)

٦٨

الناظر والمتأمل في تاريخ اللغة العربية وآدابها، يتضح له أنها تدين في تجددها وابتكارها وحيويتها واستمرارها للبلاغة النبوية وفصاحتها، بفضل ما تستلهمه منها، وما تشعه عليها بالكثير، فتنهل وتقتبس وتغترف، فينمو الأسلوب، وتزدهر المفردات والجمل، وتتزين العبارات وتعذب، وتتشقق المعانى ويؤنس الغريب في مختلف الدراسات ومصطلحات العلوم.

ونحاول أن ننظر في أسلوب قصة آدم - عليه السلام - من خلال الأسلوب، وهو ما تعارف عليه القدماء والمحدثون باللفظ والمعنى، أو الصور والأفكار، أو الشكل والمحتوى، مما يجرى علي ألسنة المتذوقين والدارسين للنصوص الأدبية في ضوء ما تعطيه اللغة العربية وتراثها.

والأسلوب له جانبان: الأول جانب المعنى أو الفكرة أو المحتوى، والثاني جانب اللفظ أو الصورة، أو الشكل.

في الجانب الأول، يتجلى الإعجاز في القصص النبوى عن آدم - عليه السلام - في أمور عدة:

١ - إحاطة النبي {صلى الله عليه وسلم} - بأخبار آدم - عليه السلام - بهذه الدقة وبهذا التفصيل والاستقصاء، وهو الأمى الذى لا يقرأ ولا يكتب، والذى لم يختلف إلى معلم أو كاهن، أو يختلف الى أهل دين سابق من أهل الكتاب أو غيرهم. فهو كما قال الحق - تبارك وتعالى -: {وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا، وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم}[١] وقوله - تعالى: **{وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك، إذا لارتاب المبطلون}**[٢] وقوله - سبحانه وتعالى - **{ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون}**[٣]، وقوله تعالى **{تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا، فاصبر، إن العاقبة للمتقين}**[٤] وقوله - جل ذكره - **{ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون}**[٥]، وقوله تعالى **{ولقد جاءك من نبأ المرسلين}**[٦]، وقوله تعالى **{كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق، وقد آتيناك من لدنا ذكرا}**[٧] الى غير ذلك من الآيات.

فالقصص النبوي المفصل عن آدم - عليه السلام - آية من آيات الإعجاز، وهو معنى جدير بالتدبر والتفكر، وموطن إعجاز لكل ذي عقل ولب.

٢ - تكشف قصة آدم - من خلال تتبع القصص النبوي - أن الإسلام دين الفطرة الذى ارتضاه الله للناس جميعا منذ آدم - عليه السلام - إلى رسالة محمد {صلى الله عليه وسلم} قال الله العظيم: **{شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب}**[٨]، وقوله تعالى: **{فأقم وجهك للدين حنيفا، فطرة الله التى فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون}**[٩]، وقوله: **{إن الدين عند الله الإسلام}**[١٠]، وقوله **{ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه}**[١١].

ونجد في القصص النبوى عن آدم - عليه السلام - أن الله تعالى أمر آدم بأمور، وكلفه بفعل أشياء، هى أيضا باقية على من أتى من بعده من الأنبياء والمرسلين، ثم آلت إلى دين الإسلام **{وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتك من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، قال**



بقلم: أ.د. عبدالباسط أحمد حمودة - مصـــر

أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى، قالوا أقررنا، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين}[١٢].

وعند بعض علماء الإسلام: أن شرع من قبلنا شرع لنا إن لم يكن في شرعنا ما ينسخه، وذلك واضح جلي فيما نجده من شرائع النبيين في ديننا وبخاصة آدم وإبراهيم - عليهما السلام - وما نريد أن نشير إليه هنا من دلائل الإعجاز في قصة آدم، من أهمية أمور في دين الإسلام ارتبطت بآدم، منها على سبيل المثال:

قداسة يوم الجمعة وعصرها وآخر ساعة من هذا اليوم المبارك (٠٠ وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة٠٠ في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة) و(٠٠ وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة٠٠).

وتعظيم شأن السلام وتشميت العاطس في الإسلام، وفي قصة آدم (٠٠ثم قال له اذهب فسلم على أولئك من الملائكة٠٠ تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم) (٠٠ وكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه، فعطس، فقال: الحمد لله٠٠).

ولا يتسع المجال لاستعراض ما جاء في القرآن والسنة من أن هذا المنهج هو منهج الله الذي يريده لعباده وقد هدانا الله إليه وأضل عنه اليهود والنصارى، قال تعالى: **{كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم}**[١٣].

وفي صحيح البخاري[١٤] عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أنه سمع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يقول: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع: اليهود غدا، والنصارى بعد غد».

قال ابن كثير في تفسير[١٥] قوله تعالى: **{فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه}**

فاختلفوا في يوم الجمعة، فاتخذ اليهود يوم السبت، والنصارى يوم الأحد، فهدى الله أمة محمد {صلى الله عليه وسلم} ليوم الجمعة.

واختلفوا في القبلة فاستقبلت النصارى المشرق، واليهود بيت المقدس، فهدى الله أمة محمد للقبلة.

واختلفوا في الصلاة، فمنهم من يركع ولا يسجد، ومنهم من يسجد ولا يركع، ومنهم من يصلى وهو يتكلم، ومنهم من يصلي وهو يمشي، فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك.

واختلفوا في الصيام، فمنهم من يصوم بعض النهار، ومنهم من يصوم عن بعض الطعام، فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك.

واختلفوا في ابراهيم - عليه السلام - فقالت اليهود: كان يهوديا، وقالت النصارى: كان نصرانيا، وجعله الله حنيفا مسلما، فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك.

واختلفوا في عيسى - عليه السلام - فكذبت به اليهود وقالوا لأمه بهتانا عظيما، وجعلته النصارى إلها وولدا، وجعله الله روحه وكلمته، فهدى الله أمة محمد {صلى الله عليه وسلم} للحق من ذلك.

فالشرع واحد من عند الله كلف به الأنبياء من آدم إلى محمد {صلى الله عليه وسلم} لما روى عن أبي هريرة[١٦] - رضي الله عنه - أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال: {نحن معاشر الأنبياء إخوة لعَلات، ديننا واحد}.

٣ - ومن الجانب الأسلوبى في المعنى القصصي في قصة آدم - عليه السلام - ما جاء في القصص النبوى عن خلق آدم من قبضة من جميع الأرض (٠٠ فجاء بنو آدم على قدر الأرض٠٠ الأبيض والأحمر والاسود ٠٠ والخبيث والطيب، والسهل والحزن) وقد

أثبت العلم أن جسم الإنسان مركب من عناصر تربة الأرض وأنه مادة وروح، وخلق له خصائصه ومميزاته، وليس كما يزعم الملحدون أن أصله قرد، ثم ترقى بسبب عوامل مجهولة. ففي القصص النبوي: (خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه) و(لما خلق الله - تبارك وتعالى - آدم ونفخ فيه الروح عطس، فقال: الحمد لله..) وأن في طبيعة الإنسان العَجَل كما في قوله تعالى: (خلق الإنسان من عَجَل).

٤ - ويتضح في أسلوب القصص النبوي فكرة القضاء والقدر، وهي دعامة راسخة في عقيدة الإسلام. كما في رواية أخذ الميثاق على الذرية قبل خلقها (.. آدم ينظر إليهم، فرأى الغني والفقير، وحسن الصورة ودون ذلك..) وفي محاجة آدم وموسى (.. تلومني على أمر قد سبق من الله - عز وجل - القضاء به قبل؟..) و(.. أتلومني على أمر قدره الله قبل أن يخلقني بأربعين سنة..) و(.. أليس تجد فيها أن قد قدره الله عليّ قبل أن يخلقني؟..).

٥ - وتبدو علامات مناسك الحج في قصة آدم - عليه السلام وتنقله وحواء في المزدلفة وعرفات ومكة، ونزول الحجر الأسود معه، وسفره من الهند لأداء الحج (لما أهبط الله آدم الى الأرض، قام وجاء الكعبة، فصلى ركعتين) و(بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فأمرهما ببناء الكعبة.. ثم أمر بالطواف) و(إن لي بيتا في مكة فأته..) و(لما أسكن الله آدم البيت) وحج آدم من الهند إلى مكة أربعين حجة، كما ذكر ابن سعد في الطبقات.

٦ - وعداوة الشيطان لآدم، وهي واضحة في القرآن الكريم ومبسوطة في قصة آدم التى نحن بصددها في مواطن مختلفة من قبل أن يخلق آدم، ثم بعد خلقه، ثم في الجنة ثم بعد هبوطه الى الأرض، ثم في ذريته من بعده الى يوم الدين.. فعن ابن عباس قال: تسلط عليهما في الجنة فقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين مثله، يعني مثل الله - عز وجل - فلم يصدقاه حتى دخل في جوف الحية فكلمهما[١٧] (.. فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته..) و (ولما ذاق آدم من الشجرة فر هاربا..)[١٨]، و (إن الشيطان قعد لابن آدم..).

ومما يؤسف له أن الأدب العصري الذى ينهل منه الناس في عالمنا الإسلامي، يحاول إيجاد ألفة بين الإنسان والشيطان، ويجعل من آراء الشيطان لسان حال أفكاره، وهو موضع إعجاب (وقد كان الرومانتيكيون أول من أكثروا الحديث عن روح الشر أو الشيطان في أدبهم، وصوروا فيه جانبا هاما من ذات أنفسهم، فهو حامل آرائهم فيما يعتورهم من قلق وشك وضيق بالخليقة. فهم يعبرون على لسانه عن أفكارهم في عالم الغيب وصلة الإنسان به، ويصورونه غالبا في صورة تستثير العطف، أو توحي بشيء من الإعجاب. وفي الشيطان مشابه منهم، فقد حاجَّ اللهَ ليقف على سر الخليقة، ووجود الشر فيها، فأُقْصِي عن رحمة الله دون أن يرتكب سوى ذلك ذنبا)[١٩] والرومانتيكية هي التي تهيمن - منذ أكثر من قرن - على أدبنا العربي ويحاكم إليها.

٧ - ويبرز أسلوب القصص النبوى موضوع الذنوب والمعاصي، وأثرها على الرزق وتيسير أمر الحياة الدنيا، ثم ما لها من عاقبة في الآخرة، وان المرء يحرم الرزق بسبب الذنوب.

فآدم - عليه السلام - كان في الجنة في رغد العيش، طوالا كالنخلة السحوق، ستين ذراعا، موارى العورة، فلما عصى الله زالت منه كل هذه النعم، وخرج من الجنة (.. فلما أصاب الخطيئة في الجنة خرج هاربا..)، قال تعالى: **{فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى}**[٢٠]، وفي القصة (.. وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم) فأكل من الشجرة فبدت لهما سوآتهما، وحصلا في حكم الذنب، فدخل في جوف الشجرة، فناداه ربه أين أنت... قال اهبط إلى الأرض التى خلقت منها، ولعنت الحية.. (فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟..) (.. يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة..)، (.. اخرج من جوارى، فبعزتى لا يساكنني فيها من عصاني..) وكان عناء آدم وحواء، وهى سنة ماضية.

٨ - وتبدو في الأسلوب التوبة ومكفرات الذنوب، حيث يتجه آدم إلى ربه مباشرة لطلب العفو والصفح عن مخالفته، وهذا المعنى راسخ في الإسلام، حيث إن الله يقبل التوبة ويعفو عن السيئات، على خلاف الذين يزعمون أن خطيئة آدم بقيت على الإنسانية، ولم تكفر إلا بصلب عيسى - عليه السلام - كبرت كلمة تخرج من أفواههم. وعندهم غفران الذنب بالاعتراف لرجال الدين (وإذا زنت امرأة أحدهم بيّتها عند القس ليطيبها له، فإذا انصرفت من عنده وأخبرت زوجها أن القس طيبها قبل ذلك منها وتبرك به!!)[٢١].

لكن دين الفطرة كما في القصص النبوي عن آدم (.. فلما أصاب الخطيئة.. فالتفت فقال: يارب العفو..) وقول الله تعالى: **{قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين}** وفي القصص النبوي أيضا (.. قال آدم .. أفرأيت إن تبت هل أنت راجعي الى الجنة؟ قال: نعم) وفيه أيضا (.. عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت خير الغافرين.. فتب علي إنك أنت التواب الرحيم) و(لما أهبط الله آدم الى الأرض، قام وجاء الكعبة فصلى ركعتين) و(.. فأوحى الله إليه: إني قد غفرت لك إذا طفت به.. وأما التى فضلٌ منى عليك فتستغفرني فأغفر لك، وأنا الغفور الرحيم). وفي القرآن الكريم {فتاب عليه وهدى}.

٩ - يؤكد الأسلوب في القصص النبوى على علاقة الرجل والمرأة، وهى المحبة والمودة والرحمة والشفقة، وأن الرجل والمرأة يتعاونان في جلب السعادة لهما معا، لأن المرأة جزء من الرجل ومتممة له، وهو يحنو عليها ويسعى لخيرها واستقرارها (عن ابن عباس قال: خلقت المرأة من الرجل..) و(.. قالوا: أتحبها يا آدم؟ قال: نعم..) و(.. قعد يبكى، فقال: يا حواء قد آذانى الحر، فجاء جبريل بقطن، وأمرها أن تغزل وعلمها وأمر آدم بالحياكة وعلمه، وأمره ينسج..) و(.. أنزل معهما ذهبا وفضة، فسلكه ينابيع في الأرض.. وجعل ذلك صداقا لحواء، فلا ينبغى لأحد أن يتزوج إلا بصداق) و(استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء).

والموضوعات في أسلوب القصص النبوي كثيرة، وأكثرها مناسك ومعالم عبادات وقربات وعادات وتقاليد عند أهل الإسلام، فليتأملها من يريد المزيد.

وفي الجانب الثاني من الأسلوب، جانب اللفظ أو الصورة أو الشكل. وهذا الجانب شاهد صدق على الإعجاز البلاغى لرسول الله {صلى الله عليه وسلم} حيث تتجلى روعة البيان وجمال التعبير في أوجز عبارة وأقصرها، وتلك هي البلاغة التي قصدها العرب، وحاموا حولها فلم يبلغوا فيها ما بلغه رسول الله {صلى الله عليه وسلم}.

فالبلاغة عند العرب: (إيجاز الكلام، وحذف الفضول، وتقريب البعيد) وهى (ليست بخفة اللسان وكثرة الهذيان، ولكنها بإصابة المعنى والقصد الى الحجة).

قال الجاحظ عن بلاغة النبي {صلى الله عليه وسلم}[٢٢] هو الكلام الذى قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف.. فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشد بالتأييد، ويسر بالتوفيق، وهذا الكلام الذى ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول، وجمع بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام).

ومن صور ذلك ما جاء في قوله {صلى الله عليه وسلم} (.. يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة) في هذا الإيجاز يكشف عن أكثر حياة آدم - عليه السلام - إلى هبوطه من الجنة. وقوله {صلى الله عليه وسلم} «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض»، وفي رواية: «إن الله خلق آدم بيده، من قبضة قبضها من جميع الأرض، من السهل والجبل» وفي هذا ما يتكلم الناس عنه في علم الأجناس والوراثة وغيرهما. قد أجمله في كلمات قليلة، وذلك كله راجع الى الأرض حيث يقول {صلى الله عليه وسلم}: «الناس معادن

خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»٠

ويجمل القصص النبوي قصة آدم من قبل أن يخلق وعداوة الشيطان له، وتفقده قبل أن ينفخ الله فيه الروح، واصراره على التسلط عليه قبل أن يكون شيئا مذكورا (لما صور الله آدم في الجنة، تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به)٠

ويصور القصص النبوي العلاقة بين آدم وبين محمد {صلى الله عليه وسلم} حيث كشف الله لآدم ـ عليه السلام ـ عن ذريته، وما يكون منها وفيها، وعلمه الاسماء كلها، وذلك في كلمات موجزة (مثلت لي أمتي في الماء والطين، وعلمت الأسماء كلها، كما علم آدم الأسماء كلها)٠

وترتبط الإنسانية من أولها إلى آخرها، في عالمها الأزلي إلى عالمها الأبدى بدين واحد ورسالة واحدة من رب واحد، يسوق ذلك القصص النبوي في سطرين من صفحة كتاب عادي (يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم٠٠ على حسن يوسف، وعلى ميلاد عيسى٠٠ وعلى لسان محمد {صلى الله عليه وسلم}٠

ويوقفنا الإعجاز النبوى على مصير الإنس والجن والشيطان بأبلغ إيجاز وأقصر عبارة فيقول: (إن الله أمر آدم بالسجود فسجد، فقال: لك الجنة ولمن سجد من ولدك، وأمر إبليس بالسجود فأبى أن يسجد، فقال:٠٠٠)٠

ومن روائع البلاغة النبوية، وجوامع الكلم الذى عناه النبي {صلى الله عليه وسلم} بقوله: (بعثت بجوامع الكلم) و(٠٠ أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه) و(٠٠اختصر لي الكلام اختصارا)[٢٣]، نقول إن ذلك يتبين من عرضه {صلى الله عليه وسلم} لقصة آدم في جملة واحدة (خلقت الملائكة من نور، وخلق إبليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)٠

وفي بعض المواطن يظهر القصص النبوي العبرة والعظة في قصة آدم، عليه السلام، فيكتفى بالتركيز عليها (إن الله خلق آدم رجلا طوالا٠٠ فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه، فأول ما بدا منه عورته٠٠) و(لما ذاق آدم من الشجرة فر هاربا٠٠ اخرج من جوارى، فبعزتي لا يساكنني فيها من عصاني٠٠)٠

ونجد كثيرا في القصص النبوي ما يشوق وما يثير، للفت الأنظار وشد الانتباه الى أمر مهم في حياة المؤمنين، ومع ذلك يعرض لها في إيجاز واختصار حتى تحقق النتيجة والفائدة، والعظة والعبرة من القصص الحق (لو أن بكاء داود، وبكاء أهل الأرض يعدل ببكاء آدم ما عدله) وفي رواية (٠٠ مكث آدم بالهند مائة سنة باكيا على خطيئته ٠٠ فما هذا البكاء؟ قال:٠٠)

وفي القصص النبوي يكون الحوار والسرد، وفيه عالم الغيب، وفيه أخذ المواثيق، وإشهاد الخلق على أنفسهم، وإشهاد السموات والأرض على بنى آدم، وإشهاد أبيهم آدم عليهم، وغير ذلك من العجائب والآيات التي لا يقدر على قصها إلا المعصوم٠ ومع ذلك فالقصة موجزة ومختصرة في سطور قليلة، كما في رواية الإمام أحمد عن أبي بن كعب، في قول الله ـ تعالى ـ {وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم} (الآية) قال: جمعهم فجعلهم أرواحا٠٠٠ الخ٠

وفي القصص النبوي قصص الأنبياء وإثبات نبوتهم في كلمات قليلة تبلغ المعنى المراد وتوقف السامع على قدر كبير من العلم والمعرفة التى تصحح عقيدته وترسخ إيمانه (النبيون مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي، والمرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر، وآدم نبي مكلم) و(نبيء آدم، وبينه وبين نوح عشرة قرون، والرسل ثلاثمائة وخمسة عشر) و(أول الأنبياء آدم، ثم نوح، وبينهما عشرة آباء)٠

ونقف على قصة لآدم في القصص النبوي يظهر فيها الإيجاز بالحذف، وترك عبارات وجمل يفهمها السامع، ولا يحتاج إليها المقام ولا يختل المعنى، على الرغم من سقوط واختصار أمور في الكلام كان من الممكن إيرادها ولكن الحذف أبلغ، ونرى هذه الطريقة موجودة في القصص القرآنى، في مواضع وسور شتى، مثل قصص ابراهيم ـ عليه السلام ـ مع أبيه وقومه، وموسى وهارون مع فرعون وسحرته وغير ذلك٠

جاء في رواية البخارى عن أبي هريرة، عن النبي

{صلى الله عليه وسلم} قال: (خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا، ثم قال: اذهب فسلم على أولئك من الملائكة، فاستمع ما يحيونك، تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن).

والحذف والاختصار واضح مثل قوله (اذهب فسلم..) فلما ذهب إلى الملائكة وسلم عليهم ردوا عليه التحية بقولهم.. فقال له: هذه التحية تحيتك وتحية ذريتك.. والحذف أيضا في قوله (فكل من يدخل..) والخلق عندما يدخلون الجنة يكونون على صورة آدم، طولهم ستون ذراعا..

ولكن البلاغة النبوية توحي اليك بفهم ما حذف دون خلل في المعنى والمبنى، ومن هنا (كان منطقه {صلى الله عليه وسلم} على أتم ما يتفق في طبيعة اللغة، ويتهيأ لها إحكام الضبط، وإتقان الأداء، لفظ مشبع، ولسان بليل، وتجويد فخم، ومنطق عذب، وفصاحة متأدية، ونظم متساوق، وطبع يجمع ذلك كله، ومع تثبت وتحفظ وتبيين وترتيل. وقد قالت عائشة - رضي الله عنها - ما كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يسرُدُ كسردكم هذا، ولكن كان يتكلم بكلام بيِّن فصل، يحفظه من جلس إليه، وفي رواية أخرى عنها أيضا: كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يحدث حديثا لو عده العادُّ لأحصاه[٢٤].

وفي هذا المقام نجمل - بتصرف - ما قاله الجاحظ في مسألة إيجاز كلامه[٢٥] {صلى الله عليه وسلم} فمما روى عنه: (إننا معشر الأنبياء بكاء) والبكء: القلة، فقد جعل صفة الأنبياء قلة الكلام، ولم يجعله من إيثار الصمت ومن التحصيل وقلة الفضول.. وهو القائل: (إياي والتشادق) و(أبغضكم إليَّ الثرثارون المتفيهقون) ثم رأوه في جميع دهره في غاية التسديد والصواب التام، والعصمة الفاضلة، والتأييد الكريم. علموا أن ذلك من ثمرة الحكمة، ونتاج التوفيق، وأن تلك الحكمة من ثمرة التقوى، ونتاج الإخلاص.. وأنه {صلى الله عليه وسلم} صرف تلك القوى وتلك الاستطاعة إلى ما هو أزكى بالنبوة، وأشبه بمرتبة الرسالة، وكان إذا احتاج إلى البلاغة كان أبلغ البلغاء، وإذا احتاج الى الخطابة كان أخطب الخطباء.

الهوامش :

(١) سورة الشورى آية ٥٢.
(٢) سورة العنكبوت آية ٤٨.
(٣) سورة آل عمران آية ٤٤.
(٤) سورة هود آية ٤٩.
(٥) سورة يوسف آية ١٠٢.
(٦) سورة الأنعام آية ٣٤.
(٧) سورة طه آية ٩٩.
(٨) سورة الشورى آية ١٣.
(٩) سورة الروم آية ٣٠.
(١٠) سورة آل عمران آية ١٩.
(١١) سورة آل عمران آية ٨٥.
(١٢) سورة آل عمران آية ٨١.
(١٣) سورة البقرة آية ٢١٣.
(١٤) فتح البارى جـ ٢ ص ٣٥٤.
(١٥) جـ ١ ص ٣٢٧.
(١٦) تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ٩٣.
(١٧) فتح القدير جـ ٢ ص ٢٤٥.
(١٨) تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ١٠٩.
(١٩) د. محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية ص ١٤٧.
(٢٠) سورة طه آية ١١٧.
(٢١) ابن قيم الجوزية: هداية الحيارى ص ٢٧٥.
(٢٢) الرافعى: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٣١٤.
(٢٣) كتابنا: الإعجاز في البيان النبوي ص ٥.
(٢٤) الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٣٢٩.
(٢٥) البيان والتبيين جـ ٤ ص ٢٧ وما بعدها.

الحالة الدينية في نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

تختلف المصادر في وصفها للحالة الدينية في نجد قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فالمصادر المتحمسة للدعوة الإصلاحية تعطي صورة قاتمة لتلك الحالة إذ يصدر «ابن غنام» حكما عاما على أهل نجد بأنهم كانوا يأتون كل أبواب الشرك.. أما «ابن بشر» فيقول: إن الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر فشا في نجد، ثم يضرب أمثلة لما كان شائعا من ذلك الشرك، ويسمى «ابن غنام» تلك الفترة بالجاهلية، إلا أن (الدكتور عبد الله العثيمين) لا يتفق مع من يقول بأن النجديين في تلك الفترة قد خلعوا ربقة الإسلام ولا مع القائل بأن كل أثر للإسلام قد اختفى من نجد.. ويضيف قائلا «ومع كل ذلك فإن نجداً كانت في حاجة الى دعوة إصلاح دينية توضح للجهال من الناس ما خفي عليهم من أمور الدين وأحكامه وتقضي على كل ما من شأنه أن يخل بعقائد المسلمين، وتلزم من لم يكونوا يؤدون أركان الإسلام من صلاة وزكاة وصوم وحج بأدائها».

ورغم ما أبدته المصادر من وصف قاتم للحالة الدينية - ولعل سبب ذلك تحمسها لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من جهة وقربها في ذلك الوقت من الأحداث في نجد من جهة أخرى - إلا أننا سوف نأتي على ذكر بعض من البدع والشركيات التي كانت سائدة قبيل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومنها:

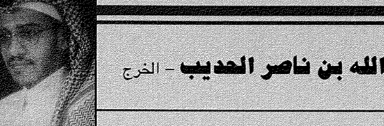
١ - فحل الفحول: كان في بعض البلدات ذكر النخيل المعروف بالفحّال، يقصده الرجال والنساء ويفعلون عنده اقبح الأفعال، ويتبركون به ويعتقدون فيه فكانت تأتيه المرأة إذا تأخرت عن الزواج ترجو أن يفرج عنها كربها، وتقول: «يا فحل الفحول أريد زوجاً قبل الحول» وكان الرجل المضيق عليه في الرزق والمكروب والمريض يطلبون إلى «الفحال» أن يوسع الرزق ويفرج الكرب ويشفي المرض.

٢ - شجرة الطرفية: لقد قدّس الكثير من الجهال في تلك الفترة شجرة الطرفية تقديساً كبيراً، فإذا ولدت المرأة ذكراً علقت حبلا أو قطعة من نسيج رجاء أن تطيل الطرفية عمره فكان الرائي إذا أبصرها لا يكاد يبصر الأغصان والأوراق والساق، بل يظن الرائي أول وهلة أن ما يرى ليس إلا كومة من الحبال وقطع النسيج لكثرتها.

٣ - غار بنت الأمير: وفي أسفل الدرعية غار كبير يزعمون أن الله تعالى خلقه في الجبل لامرأة تسمى «بنت الأمير»، أراد بعض الفسقة أن يظلمها، فصاحت، ودعت الله، فانغلق لها الغار بإذن العلي الكبير، فأجارها من ذلك السوء، فكانوا يرسلون الى ذلك الغار اللحم والخبز ويبعثون بصنوف الهدايا، وقد نسوا قوله تعالى: {أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعلمون}[١].

٤ - الشيخ تاج الأعمي: ويروى أنه كان أنذاك رجل من الأولياء اسمه «تاج» سلكوا فيه سبيل الطواغيت، فصرفوا إليه النذور وتوجهوا إليه بالدعاء، واعتقدوا فيه النفع والضر، وكانوا يأتونه لقضاء شؤونهم أفواجاً، وكان هو يأتي إليهم من بلدة «الخرج» الى الدرعية لتحصيل ما تجمع من النذور والخراج، وكان أهل البلاد المجاورة يعتقدون فيه اعتقاداً عظيماً، فخافه الحكام، وهاب الناس أعوانه وحاشيته، فلا يتعرضون لهم بما يكرهون، ويدعون فيهم دعاوى فظيعة، وينسبون إليهم حكايات قبيحة، وكانوا - لكثرة ما تناقلوها وأذاعوها - يصدقون ما فيها من كذب وزور، فزعموا أنه أعمى وأنه يأتي من بلدة «الخرج» من غير قائد يقوده، وغير ذلك من الحكايات والاعتقادات التي ضلوا بسببها عن الصراط المستقيم.

٥ - التوسل بقبور الصالحين والأولياء: لقد كان التوسل والتضرع الى قبور الأولياء والصالحين هو سمة من سمات الحالة الدينية قبل ظهور دعوة الشيخ محمد



بقلم : **عبدالله بن ناصر الحديب** - الخرج

بن عبد الوهاب، ومن ذلك ما كان يفعله الجهّال عند قبّة «أبي طالب» وهم يعلمون أنه حاكم متعد غاصب كان يخرج الى بلدان نجد ويضع عليهم خراجاً من المال، فإن أعطي ما أراد انصرف وإلا عاداهم وحاربهم، فصاروا يأتون قبره يستغيثون به عند حلول المصائب ونزول الكوارث.

وكان في بلدة «الجبيلة» قبر يعتقد أنه «لزيد بن الخطاب»:[٢]، يتبرك به الجهال من العامة ويقدمون له النذور، وعندما قدم الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى العيينة كان من أبرز أعماله هدم القباب المبنية على القبور ومنها القبة التي كانت على قبر «زيد بن الخطاب» في الجبيلة وذلك بمساعدة من أمير العيينة «عثمان بن معمر» الذي سار بنحو ستمائة رجل فأراد أهل الجبيلة أن يمنعوهم من هدمها فلما رأوا عثمان وأنه عزم على حربهم إن لم يتركوه يهدمها كفوا وخلوا بينهم، فهدم فيها الشيخ بيده لما تهيب هدمها الذين معه، وكان بعض الجهلة يعتقدون أن الشيخ سيناله أذى بسبب هدمها، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث.

وحول التوسل بقبور الصالحين والأولياء في ذلك الوقت نسوق هذه الحادثة وملخصها أن بدوياً ضاعت ناقته، فبحث عنها، ولم يجدها، فلجأ إلى قبر معروف في البادية وأخذ يبكي ويصرخ ويصيح ثلاثة أيام متوالية من الصباح حتى المساء، وهو يردد قائلا: يا سعد يا سعد! هات لي ناقتي! وظل على هذه الحال يومان وفي اليوم الثالث جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وسأل البدوي قائلا: ما هي مشكلتك؟ فقال له البدوي: لقد فقدت ناقتي! فجئت الى قبر شيخي، وأن الشيخ سعد لابد وأن يجدها لي! فسأله الشيخ محمد بن عبد الوهاب قائلا: ومن هو شيخك؟ فقال البدوي: هذا الذي يرقد في هذا القبر. فقال له محمد بن عبد الوهاب: يا هذا إنك أنت، وأنت حيّ، تعجز أن تجد ناقتك! فما بالك بشيخك وهو ميت؟! كيف يستطيع الخروج من قبره، ليجد لك ما تعجز أنت في العثور عليه، دعك من هذا الميت، واطلب العون والمدد من الله بدلا من أن تطلب المدد من هذا المدفون تحت الحجارة، وقد أصبح مجموعة عظام. لا تطلب ناقتك من سعد بل اطلبها من رب سعد. لا تقل: يا سعد، بل قل: يارب سعد، فإن القادر على أن يجد لك ناقتك ليس سعدا وإنما رب سعد، ذلك لأنه الله عز وجل هو القادر على كل شيء.

لهذا يتضح لنا ما كان عليه الناس من بدع وخرافات وشركيات كانت سائدة قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، هذا من جهة ومن جهة أخرى يبرز لنا مقدار ما بذله الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في دعوته الإصلاحية المباركة التي أنارت للناس طريق الهداية والصراط القويم.

الهوامش:

(١) سورة الصافات، آية ٩٥، ٩٦.

(٢) هو أخ الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، ويقال بأنه استشهد في المعركة التي دارت بين المسلمين ومسيلمة الكذاب وقومه.

*** كان الناس أشبه بعبدة الأوثان.**

*** في تلك الفترة كثر الدجل والشعوذة.**

*** الناس كانوا في جهل ديني دامس.**

*** ظنوا في الاولياء والصالحين قضاء حاجات العباد من دون الله سبحانه.**

آداب مجالس العلماء

تعددت المجالس وتنوعت في حياة الناس منذ الجاهلية وخلال التاريخ الاسلامي وتنوعت الرسوم المتبعة في تلك المجالس فكانت للقبائل انديتها أو مجالسها التي تجتمع فيها لمدارسة شؤونها او لتزجية الوقت بالحديث أو سماع القصص أو الشعر.

وكانت للناس مجالس في الاسلام تنوعت ايضا بتنوع الناس، منها المجالس العامة في المساجد لسماع الخلفاء أو الولاة او الوعاظ أو الدروس عندما اصبح للمشايخ اماكن مخصصة داخل المساجد يلقون فيها دروسهم تفسيرا أو حديثا او لغة. كما كانت هناك مجالس خاصة في دور الخلفاء والولاة يدخلها الناس بعد طلب الاذن ويتبعون الرسوم المقررة فيها. والتى تعقدت كلما اوغلت الدولة في مضمار الحضارة. فكانت رسوم الدولة الاموية غير رسوم الدولة العباسية.

وكانت للادباء رسوم وآدام في مجالسهم غير رسوم اهل الفقه والحديث وحتى الادباء لم يكونوا سواء في مجالسهم فالعلية منهم وهم الامراء والوزراء وكبار الشعراء والادباء الظرفاء من أهل اليسار كانت لهم مجالس تأنقوا فيها سواء كان ذلك في لباسهم او سلوكهم او لفظهم وكلامهم امثال مجالس ابن الزيات، وابراهيم بن المهدي ومن على شاكلتهم. وهناك مجالس الادباء ممن هم دونهم في المستوى الاخلاقي كابي نواس وأضرابه من العابثين أو أمثال جحظة البرمكي.

ولكثرة هذه المجالس واختلاف الرسوم المتبعة فيها، واختلاف آداب المسلمين بها سنتناول بالبحث منها آداب مجالس أهل الحديث.

ونود الاشارة الى ان انتشار الاسلام ما بين الصين شرقا والاندلس غربا جعل هذه البلاد كلها اسلامية تخضع لدولة واحدة وتتفيىء الدين الحنيف.

وكانت قراءة القرآن والحديث النبوي الشريف محركين لهمم المسلمين لاكتساب العلوم والمعرفة، وهكذا منذ القرن الاول للهجرة تعددت مراكز التعليم والتعلم فكانت المساجد في أي بلد من بلاد المسلمين المكان الاول لتعليم الصغار والكبار ثم افردت للصغار الكتاتيب، ثم انشأت المكتبات سواء في قصور الحكام أو التي اوقفها (حبسها) أهل العلم لطالبيه فضلا عن الربط والتكايا التي كانت تأوي اهل السياحة من الصوفية وطلبة العلم ممن كان

بقلم : **د. بدري محمد فهد** - أستاذ التاريخ الاسلامي والحضارة العربية الاسلامية - الاردن

تجواله ما بين المشرق والمغرب أمراً مألوفا والتي زودت بالمكتبات أو أوقفت بها كتب العلماء. ثم بنيت المدارس في القرن الرابع للهجرة في خراسان والشام، ثم عمت المشرق زمن الوزير نظام الملك والتي سميت باسمه.

وكان نصيب الربط والمساجد بالمغرب والاندلس، وان لم يظهر اسم المدرسة إلا في العهد المريني، كمثيلاتها في المشرق وتؤدي الوظيفة العلمية نفسها.

وقد تولدت مع هذه المراكز العلمية آداب كانت موضع رعاية أهل العلم في مجالسهم اينما حلو وحيثما ذهبوا في ديار الاسلام ولم يكن يتخطاها الا الجاهل بها او الغريب عنها. ونظرا لاهميتها الف فيها بعض أهل الحديث كالخطيب البغدادي في بعض مؤلفاته مثل (تقييد العلم) و(شرف أهل الحديث)، وكالسمعاني الذي الف كتاب (أدب الاملاء والاستملاء) وكتاب (طراز الذهب من آدب الطلب) وهو كتاب يبدو انه اكبر حجما من الكتاب الاول إذ كثيرا ما أحال السمعاني عليه.

وننوه هنا الى ان مجالس أهل الحديث لم تكن على شاكلة واحدة فمنها العامة على شكل محاضرة يسمعها الناس في المساجد، ومنها مجالس اكثر خصوصية باهل الحديث وهي مجالس الاملاء للحديث.

وصورة هذه المجالس المخصصة للاملاء تظهر كالتالي: يكون يوم المجلس معلوما لطالبي الحديث، والشيخ الذي يدرس الحديث املاء يكون معروفا ايضا، وقبل ان يبدأ المجلس يكون الشيخ قد استعد له فلبس أحسن ثيابه وسوى عمامته ثم يدخل بسمته ووقاره. واذا دخل المجلس فلا يتنخم أو يعبث بشيء من لحيته حتى يفرغ من القراءة إعظاما للحديث النبوي. وهذا ما كان يصنعه الامام مالك بن أنس.

ثم يتخذ الشيخ مكانه سواء على الارض امام طلبته اذا كانوا قليلي العدد بحيث يرون وجهه. أو على تخت أو دكة أو منبر اذا كان عددهم كبيرا. فاذا استتم المجلس قام المستملي (الذي يردد كلام الشيخ بعده ليسمعه لجميع طلابه) بافتتاح المجلس

*** مجالس العلماء كانت لها هيبتها. ولها وقارها.**

*** مجالس العلماء يفد اليها الآلاف من مريدي العلم وطلابه.**

* الشيخ المحدِّث، قبل الدرس يرتدي أحسن ثيابه ويتعطر بأحسن ما عنده من عطر.

* بعض العلماء كان لهم سبعة مستملين يبلغ كل واحد منهم الآخر لكثرة عدد الحاضرين للدرس.

بقراءة سورة من القرآن يقرأ البسملة والتحميد، ويدعو للشيخ ويترضى عنه وعن والديه وعن جميع المسلمين.

ويكون المستملي قريبا من مجلس الشيخ فيبدأه بقوله «من حدثك رحمك الله؟» أو من «ذكرت رضى الله عنك؟» فيبدأ الشيخ الملي بذكر اسناده «أخبرنا فلان عن فلان ويروى الحديث» ويذكره كلمة كلمة ويحاكيه المستملي ويرفع صوته بما يذكره ويمليه.

ويستحب للمستملي ان لا يخالف لفظ الشيخ في التبليغ عنه بل يلزمه ذلك خاصة اذا كان الراوى من أهل الدراية والمعرفة باحكام الرواية.

فكان واجب المستملي ان يرفع صوته كلما كثر الزحام في حلقة الشيخ ليسمع كل واحد في المجلس.

ويكون المستملي قائما على رجليه ليسمع الطلبة الجلوس امام الشيخ وهذا ما ورد عن المستملي اسماعيل بن علية في مجلس الامام مالك بن أنس، وما ورد عن المستملي آدم بن أبي إياس العسقلاني في استملائه على شعبة بن الحجاج.

اما الارقام التي قدمت عن عدد طلبة العلم ومن يحضر تلك المجالس فكانت كبيرة تستوقف القارىء وتجعله يتحير في قبولها ولولا انها وردت في ازمان مختلفة وعن بلدان متباعدة ومن قبل علماء ومؤلفين موثوقين لا يتطرق الشك الى صدقهم ودينهم لتركناها، ولكن ايرادها ان لم نكن نقصد الارقام كما هي فلإعطاء فكرة وتصور عن العدد الكبير لطلبة الحديث ومن يحضر تلك المجالس والذي لا يخلو من المبالغة.

جاء عن مجلس يزيد بن هارون ببغداد انه كان يضم سبعين الف مستمع وفي رواية عن الخليفة المعتصم بالله العباسي انه سمع بكثرة عدد حضور مجالس عاصم بن على بن عاصم في رحبة النخل في جامع الرصافة في الجانب الشرقي من بغداد، فاراد معرفة عددهم لكثرتهم التي اضطرت المستملي ان يركب نخلة معوجة ويستملي عليها. فأرسل الخليفة الى بعض من يقدر عددهم، فقدروا المجلس بمائة وعشرين الفا.

ومثل هذه الارقام الكبيرة وردت عن مجلس محمد بن اسماعيل ببغداد، وجعفر الفريابي.

ومثل هذه الارقام الكبيرة وردت عن مجالس علماء البصرة فقد جاء عن مجلس عمرو بن مرزوق انه كان يضم عشرة آلاف رجل.

اما المدن الاسلامية في المشرق كنيسابور. ومرو فلم تكن اقل عددا في مجالس علمائها فقد جاء عن ابي مسلم الكجي انه أملى الحديث في رحبة غسان في مسجد نيسابور وكان في مجلسه سبعة مستملين يبلغ كل واحد منهم صاحبه الذى يليه. وكتب الناس قياما بايديهم المحابر، ثم مسحت الرحبة وحسب من حضر بمحبرة فبلغ ذلك نيفا وأربعين الف محبرة سوى النظارة، وكانت المجالس تختم بالحكايات والنوادر أحيانا أو بانشاد الشعر، وذلك كراهية املال السامع واضجاره بطول املاء المملي وإكثاره، واذا فرغ الطلبة من الكتابة يقرأ المستملي الاملاء والطلبة يعارضون كتابهم. واذا فات بعض الطلبة شيء من المجلس فانه يعمد الى استعارة ما كتب من بعض من حضر حتى ينسخه منه.

لهذا كان المشايخ يتخيرون المستملي من أفصح الحاضرين لسانا واوضحهم بيانا واحسنهم عبارة واجودهم أداء.

فاذات عرف المستملي بالاجادة فقد يطلب من المشايخ ان يحضر مجالسهم لهذا ورد عن بعضهم انه استملى لاكثر من شيخ واحد؛ فقد كان الحسن بن اسحاق بن ابراهيم البرجي ابو الفتح المستملي قد استملى لعلي الطبراني، ولابن الجعابي وغيرهما.

ومن الاخلاق التي يجب ان يتحلى بها طلبة الحديث ان يتميزوا عن العوام في عامة أمورهم وذلك باتخاذهم الرسول [صلى الله عليه وسلم] قدوتهم واسوتهم الحسنة فيتبعون آثاره ما أمكنهم ذلك. وتوظيف السنن على انفسهم.

ومن الآداب المرعية ان يتواضع طلبة الحديث لشيوخهم وان يداري الشيخ المملي ويرفق به ويحتمله. وقد كانت هذه الصفة تنطبق على كل طالب علم أو ادب فعن الاصمعي انه كان يقول «من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل ابدا».

وعن عبد الله بن المعتز انه قال «المتواضع في طلب العلم اكثرهم علما». وقد جاء عن شريك انه كان في مجلسه فأتاه بعض ولد الخليفة المهدي فاستند الى الحائط وسأله عن حديث، فلم يلتفت اليه، فأعاد المسألة فلم يعبأ به شريك. فقال: كأنك تستخف بأولاد الخلفاء. فقال له شريك لا ولكن العلم أجل عند أهله من أن يضيِّعوه. قال فجثا على ركبتيه، ثم سأل فقال له شريك هكذا يطلب العلم.

واذا خاطب الطالب الشيخ المملي أو راجعه في شيء، عظّمه في خطابه مثل ان يقول له «أيها الاستاذ، أو

> *** العلاقة بين طلاب العلم وشيخهم كانت علاقة احترام كامل مع السمع والطاعة.**
>
> *** «من لم يحتمل ذلّ التعلم ساعة، بقي في ذلِّ الجهل أبدا».**

أيها العالم، أو أيها الحافظ ونحو ذلك»٠

ومن الآداب الموصَى بها ان على طالب الحديث ان لا يأتي الشيخ شتاء بالغداة (الفجر) ولكن اذا انبسطت الشمس٠ فلو كان الشيخ في جحر لخرج اليهم٠ ويبدو هذا الشرط لمن يزور شيخه في منزله، أما اذا كان مجلس الشيخ في المسجد فمن المتوقع ان يتجمع طالبو العلم منذ الفجر٠

واذا أسرع طالب الحديث في المشي ليلحق المجلس ولكي لا يسبقه أحد الى المحدث جاز ذلك٠ وفي هذا المعنى قال الحنيني «ثلاثة أشياء لا يستغنى عنها أصحاب الحديث سرعة المشي، وسرعة الاكل، وسرعة الخط» وذلك ان المشي السريع والأكل السريع يجعل طالب الحديث متفرغا لدرسه مستفيدا من وقته، اما اذا اراد جماعة من الطلبة الدخول الى دار المحدث أو حضور مجلسه فعليهم ان يستأذنوا في الدخول، وان يقدموا أسفهم ويدخلوه أمامهم فان ذلك من السنة، واذا اراد أحد الطلبة الانصراف قبل أهل المجلس سلم عليهم فانه من السنة ايضا، ويكره ان يجلس طالب الحديث بين اثنين من المجلس بغير اذنهما ويستحب لمن كان جالسا في الحلقة ان يوسع للداخل ويتزحزح له عن مكانه٠

ويكره القعود في موضع من قام من المجلس وهو يريد العودة اليه٠ وكان يكره ان يزاحم طالب الحديث غيره ليتصدر، انما يجلس حيث انتهى المجلس لهذا رأينا عيينة المهلبي مؤدب الامير عبد الله بن طاهر (والي خراسان) ويكنى ابا المنهال يقول «كان يقال لا يتصدر الا فائق أو مائق»٠

ويستحب المشي على بساط المملي حافيا لانه من التواضع وحسن الادب واذا كان المجلس غاصا باهله فعلى طالب العلم الا يتخطى الرقاب، الا اذا استدناه المملي فعند ذاك يجوز له ذلك٠ واذا دخل الطالب على الشيخ فوجد عنده جماعة فيستحب ان يعمهم بالسلام٠

ويستحب لطلبة الحديث عدم الضحك أو رفع الصوت لان بعض الشيوخ كان يرفض مواصلة الدرس ان حصل ذلك إذ يعده استهانة بالدرس، ورد عن محمد بن رافع انه كان في مجلسه في داره

> * «المتواضع في طلب العلم اكثرهم علما»٠
>
> * «العلم أجل عند أهله من أن يُضيعوه»٠
>
> * «ثلاثة أشياء لا يستغنى عنها أصحاب الحديث ـ سرعة المشي وسرعة الأكل وسرعة الخط»٠

تحت شجرة يستند اليها ويقرأ على طلبته فشاءت الصدف ان يقع ذرق طائر على يدي طالب فاصاب قلمه وكتابه فضحك خادم من خدم (الامير طاهر بن عبد الله والي خراسان) وكان يصحب أولاد الامير فنظر اليه الشيخ ثم وضع الكتاب من يده وانهى المجلس فوصل الخبر الى الامير، فخاف الخادم على نفسه فجاء بهدية الى الشيخ وهي (حصيرة من صنع خراسان) وطلب اليه ان لا يذكر من ضحك في المجلس. فلما استوضح الامير عن المسألة وسأل الشيخ انكر معرفته بمن ضحك رأفة بالخادم. وقد لقب الشيخ على أثره بالحصري.

وهناك من المشايخ من لا يسمح في مجلسه ان يأتي طالب الحديث من دون ان يحضر قلما مبريا، او ان يحدث صاحبا له، جاء عن عبد الرحمن بن مهدي انه كان لا يتحدث في مجلسه، ولا يُبْرَى فيه قلم، ولا يبتسم أحد. فاذا تحدث شخص أو برى طالب قلمه وسمعه الشيخ صاح به ولبس نعله ودخل داره.

وان احترام الشيخ عادة لا ينتهي بانتهاء الدراسة عليه وأخذ ما عنده من علم او أدب بل يبقى الاحترام قائما والطالب مهما كبر يبقى معترفا بفضل استاذه وفي هذا المعنى حدثنا المؤرخ المشهور ابن تغري بردي في تاريخه (النجوم الزاهرة) في أثناء ترجمة أحد الامراء وكان قد أساء العشرة مع أقرانه وأخذ بالتكبر قائلا «وأنا أتعجب غاية العجب من وضيع يترأس ثم يأخذ في التكبر على أرباب البيوت وأصحاب الرئاسة الضخمة. فما عساه يقول في نفسه، والله العظيم انني كنت اذا دخل عليّ الفقيه الذي يقرئني القرآن في صغري، أستحي ان اتكلم بين يديه بفضيلة أو علم من العلوم، لكونه كان يعرفني صغيرا لا فقيرا فكيف حال هؤلاء مع الناس».

اما كيفية الكتابة في تلك المجالس فكان على الطالب ان يكتب بأعلى الصفحة البسملة يكتب اسم الشيخ الذي يحضر مجلسه، ثم ما يمليه الشيخ بعد ذلك، ولا ينبغي للطالب ان يكتب خطا دقيقا الا في حال العذر مثل ان يكون فقيرا لا يجد من الكاغد كفايته، أو يكون مسافرا فيدق خطه ليخف حمل كتابه عليه، وان أولى الاشياء بالضبط أسماء الناس لانه شيء لا يدخله القياس ولا قبله شيء يدل عليه، واذا أكمل وجه الورقة واراد ان يقلبها فعليه ان يضع ورقة بينها وبين التى تليها لكي لا تنطمس الكتابة أو تتشوش أو ان ينشر عليها نخالة الساج أو غيره من الخشب.

وعليه ان يكتب الحديث بالسواد (أي بالمداد) ثم بالحبر لان السواد أصبغ الالوان، والحبر أبقاها على مر الدهور.

هكذا كانت مجالس العلم، لها رسومها وتقاليدها المتبعة والتي أثمرت مؤلفات ليس لها حصر.



الملك عبد العزيز وبواعث النهضة الأدبية في المملكة

على الرغم من استغراق الملك عبد العزيز في مهامه السياسية داخلياً وخارجياً وتدبير الشؤون الاقتصادية والمعيشية لمجتمعه، فقد كان - يرحمه الله - يولي اهتماماً خاصاً بالأدب والأدباء وذلك لإيمانه العميق بالدور الرائد للأدب في بناء فكر الأمة، وأثره الذي لا ينكر في تقدمها على جميع المستويات، ولكي ينهض أدب أمة ما فلابد من أن يتمتع الأدباء في تلك الأمة بمجموعة من العوامل الأساسية التي تهيء لهم المناخ الملائم لإنتاج أدب فيه مقومات النهضة من أهمها: الأمن والأمان، والزاد المعرفي، وتوافر وسائل نشر الأدب ونقده، وقد حرص الملك عبد العزيز على أن يتمتع الأدباء في بلاده بتلك العوامل التي كانت من ثمار جهده الكبير الذي بذله هو وآله سياسياً واجتماعياً وثقافياً، فالأمن والأمان يرجعان الى ما بذله سياسياً واجتماعياً، والزاد المعرفي، وتوافر وسائل النشر يرجعان الى تشجيعه المعنوي ودعمه المادي لإرساء دعائم الثقافة في مجتمعه ولبيان ذلك نتناول كل واحد من تلك العوامل وموقف الملك عبد العزيز منها على النحو الآتي:

أولا: جهود الملك عبد العزيز في استتباب الأمن والأمان:

في سبيل تحقيق الأمن والأمان للأدباء ولبقية طبقات المجتمع بذل الملك عبد العزيز جهوداً جبارة وخاض معارك كثيرة بداية من فتحه الرياض سنة ١٣١٩هـ، ومروراً بفتوحاته جميع مناطق المملكة شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً وانتهاء بتتويج ذلك الجهد وتلك الحروب بتكوين الكيان الكبير المتمثل في قيام المملكة العربية السعودية في جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ.

ولم يكن تحقق الأمن والأمان بالشيء الهين على الملك عبد العزيز فلقد سبقته أيام عصيبة من الجهاد الطويل والمشقة البالغة التي استمرت أكثر من ربع قرن



بقلم : **د. عزت محمود عليّ الدين**

استاذ الأدب والنقد المساعد فى كلية التربية للبنات بالقصيم

من الزمان ضد الظلم والطغيان والعابثين بالأمن والأمان ذاق فيه عبد العزيز كؤوساً من الحرمان وألوانا من العذاب؛ فقد كانت تناصبه العداء أكثر من جهة داخلياً وخارجياً؛ ففي الداخل أعداؤه في نجد وفي الحجاز وفي الاحساء وفي بقية المناطق وفي الخارج هناك تركيا والانجليز الذين كانوا يناصبونه العداء في كل مكان يتواجدون فيه، ويقول الملك عبد العزيز في المرحلة التي سبقت ذلك النصر العظيم الذي توج بتكوين المملكة وكان سبباً في استتباب الأمن والأمان: «عشت خمسة وعشرين عاماً في الفيافي والقفار، ولقيت من شظف العيش ومرارة الحياة شيئاً كثيراً، ونالني من طعنات السيف والسنان ما جعل الحياة في نظري لا تساوي شيئاً مذكوراً بالنسبة لإعلاء كلمة الحق ورفع راية الاستقلال»[١].

ولا يخفى حال الجزيرة الأمني قبل الملك عبد العزيز، فقد كانت تعيش في حالة من الاضطرابات والفوضى سنين عديدة؛ فقد كانت القبائل تغزو بعضها بعضاً من أجل الثأر مرة، ومن أجل الحصول على الرزق مرة أخرى، وقبائل البوادي وسكان الحواضر كانوا يستوون في ذلك، فما سلمت المدن كثيراً من الإغارة والسطو على السكان في بيوتهم من أجل السرقة والسلب الصريح، وأكثرنا يذكر أحاديث الأجداد من الحجاج عن مخاوف الرحلة لأداء فريضة الحج في مطالع هذا القرن (العشرين)، فقد كانوا يسيرون في قوافل يحرسها رجال أشداء أقوياء مسلحون لمواجهة أولئك الأعراب الذين يرتزقون من سلب ونهب أموال الحجاج، ولتفادي حوادث القتل التي كان يتعرض لها من يحاول مقاومة هؤلاء الأعراب، وكثيراً ما كانوا يقتلون الحجاج من الفقراء لاستلاب ما معهم، وفي كثير من الأحيان كانت «تعود قوافل الحجاج الى مكة المكرمة دون أن تستطيع الوصول إلي المدينة المنورة»[٢].

وبقي حال الجزيرة على هذه الصورة بين السلب والنهب والغارات والقتل حتى أذن الله بميلاد عهد جديد بعد أن توحدت أقاليمها تحت راية واحدة هي راية الحق راية «لا إله إلا الله محمد رسول الله» لتكون شعاراً للكيان الكبير الذي انطلق القائمون على أمره لبث روح الإسلام الحقيقية التي كانت سائدة في عهد النبي محمد [صلى الله عليه وسلم] وصحبه الكرام رضي الله عنهم أجمعين، والتي حاول الشيخ محمد بن عبد الوهاب إحياءها من بعد ذلك بقرون عديدة فصادفت حماة لها من أبناء آل سعود منذ عهد الإمام الأول محمد بن سعود وحتى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - يرحمه الله - وأبنائه الكرام، «وقد تم للملك عبد العزيز بفضل سياسة الحزم والعزم والشدة التي يسير عليها في إدارة بلاده وأقطاره الواسعة إقرار الأمن على منوال غير معروف في أعظم البلاد رقياً وحضارة فاطمأن الناس على أرواحهم وأحوالهم في غدوهم

*** عنى الملك عبد العزيز باستتباب الأمن في أرجاء المملكة بعد أن كانت تعج بالفوضى والنهب والقتل.**

* الاستقرار الأمني يعني الاستقرار الاقتصادي ومن ثم النهضة الأدبية العلمية الشاملة.

* حرص الملك عبد العزيز على توافر الـزاد المعرفي وتوافر وسائل النشر.

* اعتمدت النهضة الاصلاحية في عهد المؤسس الأول على الكتاب والسنة.

ورواحهم حتى ندر وقوع الحوادث العادية، والفضل في ذلك يرجع الى يقظته الزائدة وأخذه بالشدة المجرمين وقاطعي الطريق والعابثين بالأمن العام فلا يرحمهم ولا يشفق عليهم ولا تنفع عندهم فيهم شفاعة»[٣].

وبهذا عنى الملك عبد العزيز باستتباب الأمن في أرجاء المملكة وتوطيد الاستقرار الذي يكفل للإنسان أن يحيا حياة مجدية لصالح الفرد ولصالح الشعب كله بما في ذلك الأدباء بطبيعة الحال وفي مثل هذا يقول الملك عبد العزيز: (إن البلاد لا يصلحها إلا الأمن والسكون، لذلك أطلب من الجميع أن يخلد للراحة والطمأنينة، وإني أحذر الجميع من نزغات الشياطين والاسترسال وراء الأهواء التي ينتج عنها إفساد الأمن في هذه الديار، فإني لا أراعي في هذا الباب صغيراً ولا كبيرا، وليحذر كل إنسان أن تكون العظة فيه لغيره)[٤]، وكانت العظة حقاً لمن وجهت إليهم ولغيرهم كذلك، فتمتع السعوديون بالأمن والاستقرار بفضل الله ثم بفضل الملك عبد العزيز الذي أعاد للجزيرة العربية مجدها وعزتها التي بُنيت على دعائم من العلم والإيمان وأسس من العدل وتحكيم الشريعة الغراء «فوحد الجزيرة وأمن مسالكها وربوعها وحمى حدودها ووفر لقاطنيها مصادر العيش الكريم وأوردهم مناهل العلم والعرفان، وضرب على أيدي العابثين بالأمن وأقام حكم الله بين الناس بالعدل»[٥] وبذلك اجتثت جذور الفتن والمآثم وأخمدت نيرانها، ونعم الأدباء مع المجتمع بالأمن والاستقرار في ظل تطبيق شريعة غراء لا يزيغ عنها إلا هالك.

وكان من عوامل استتباب الأمن والأمان لدى الأدباء أيضاً الاستقرار الاقتصادي والرخاء المعيشي، وقد كان الأدباء قبل عهد الملك عبد العزيز يعانون كثيراً من الضيق الكارب الذي ألجأ بعضاً من الناس إلي ترك البلاد لحين انفراج هذا الضيق.. وتعود أسبابه الى عدم نشاط الصناعة وانحصار التجارة في الاستيراد «وقد نشأ من فقدان الصناعة تهافت الشباب على التوظف حتى تضخمت بهم المكاتب الحكومية والأهلية، وليس في هذا أي فخر لو أن البلاد ناشطة في الصناعات أو ميالة إلى تفضيلها على غيرها الأمر الداعي للأسف»[٦]، ولم ينفرج هذا الضيق إلا على يد الملك الذي بذل ما بذل في التنقيب عن منابع النفط حتى تفجرت تلك المنابع في سنة ١٩٣٨م، وغني عن البيان ما وصل إليه المجتمع السعودي من رخاء معيشي وازدهار اقتصادي فاض عليهم وعلى غيرهم من الشعوب الأخرى منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا الأمر الذي أدى بكثير من فئات هذا المجتمع الى الإفادة الحق من هذا المناخ الجديد.

وهكذا عاش الأدباء في ذلك المناخ السياسي والاجتماعي الجديد الذي هيأه الملك عبد العزيز فأحسوا بالأمن والأمان، ونعموا بالرخاء والاستقرار؛ فأنتجوا ما أنتجوه من أدب وفكر ونفوسهم راضية وعقولهم صافية وقلوبهم مطمئنة، وتأثروا أيضاً بموجبات التأثر في ذلك المناخ، كما تجاوزوا حدود

بلدهم التي نعمت بهذا الاستقرار فتأثروا بالقضايا الاجتماعية والوطنية والانسانية عند الشعوب الأخرى في الأقطار العربية والإسلامية والأجنبية على السواء.

ثانيا: حرص الملك عبد العزيز على توافر الزاد المعرفي وتوافر وسائل النشر:

يتمثل الزاد المعرفي وتوافر وسائل النشر في مظاهر الحياة الثقافية علمية كانت أو أدبية تلك التي جدت في عهد الملك عبد العزيز وهي كثيرة نذكر منها الأهم تأثيرا في نهضة الأدب والأدباء، ومن ذلك ما يلي:

١ ـ تبنيه دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الاصلاحية:

معروف أن الجزيرة العربية كانت قد شغلت مدة غير قليلة عن أمر الثقافة ولم تتمكن من عوامل نهضتها إلا في عهد الملك عبد العزيز يرحمه الله، وذلك بعد أن واصل ما بدأه أباؤه وأجداده من احتضان لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية فتبناها بتشجيع القائمين عليها والدعوة إليها والعمل على نشر مبادئها والدفاع عنها، وبقي الملك عبد العزيز على موقفه هذا من تلك الدعوة حتى أثمرت نوعاً من اليقظة الفكرية نتيجة الخلاف بين مؤيديها ورافضيها، ولا شك أن العرب بكل طوائفهم كانوا في أمس الحاجة الى مثل هذه الدعوة التي أخرجت العقل العربي في تلك البقعة من طور الجمود الفكري الذي ران عليه دهرا طويلا الى آفاق أرحب من الإدراك والوعي الحضاري البناء.

ومن أهم مباديء هذه الدعوة منع البدع والزيادة في أمور الدين، والدعوة الى إطراح التقليد والأخذ بمبدأ الاجتهاد، والنهي عن التوسل بالصالحين، ومنع شد الرحال الى القبور والإيمان بالجهاد لتحقيق أهداف الدعوة إذا عجزت الوسائل الإقناعية، وكانوا يعتمدون في فقههم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وفي مذهبهم العقدي كانوا يعتمدون على مذهب أهل السنة والجماعة، «وكانت هذه الدعوة غيثا مريعاً وشمساً ساطعة الضياء نافذة الشعاع هتكت حجبا كثيفة من الجهالة وسدفا متراكمة من الظلام»[٧]، أما أثرها المباشر على نهضة الأدب فقد أثرت في خصائص الشعر شكلا ومضموناً، كما أثرت في تعدد ألوان الكتابة وارتباطها بالدعوة نفسها من حيث ارتباطها بالمضامين الإسلامية والفكر الملتزم، وكان لها تأثير كذلك في إحداث اليقظة الفكرية في الجزيرة ـ كما سبق أن ذكرنا ـ والإسهام في إحداث يقظة مماثلة في بقية الأقطار العربية «والخلاصة أن دعوة الإصلاح التي تضافرت جهود علماء الدعوة وحكام آل سعود في مدى أدوار حكمهم الثلاثة على قيامها واستمرارها كان لها أثر بيِّن على الأدب شعره ونثره في نهضته وازدهاره وفي توجيه مضامينه»[٨].

٢ ـ اهتمامه بأمور التعليم وارسال البعثات:

من مظاهر اهتمام الملك عبد العزيز بعوامل النهضة الأدبية اهتمامه بأمور التعليم ففي أوائل عهده ـ يرحمه الله ـ قامت حركة تعليمية لا بأس بها، ثم لم يلبس أن أرسى ـ فيما بعد ـ دعائمها التي نقلتها من الاعتماد على الطرائق القديمة في الدرس والتحصيل الى طرق أخرى جديدة تواكب ركب التقدم العلمي في الأقطار العربية الأخرى، وقد تحقق لهذا العاهل العربي في وقت قصير نشر الثقافة عن طريق التعليم في مختلف ربوع الجزيرة، ومبعث ذلك هو إيمانه القوي بأهمية العلم والتعلم في رفعة شؤون المجتمع بكل طوائفه «وقد استطاع في هذه المدة الوجيزة أن يخلق في البلاد جوا علميا حديثاً يغبط عليه المجتمع في ذلك الوقت»[٩].

* دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب أثمرت نوعا من اليقظة الفكرية والوعي الحضاري البناء.

* عمل الملك عبد العزيز على تشجيع البعثات التعليمية الى خارج البلاد.

وقد أدى اكتشاف النفط وتدفقه على السعوديين الى مزيد من الاهتمام بالتعليم، فقد أخذ يتقدم إلى الأمام جنبا الى جنب انتعاش الأحوال الاقتصادية في البلاد، فبدأ الملك يتوسع في التعليم النظامي، فأنشأ جهازاً إدارياً يشرف على التعليم وتنظيم شؤونه وتوفير مطالبه واحتياجاته، كما أنشأ دار التوحيد بالطائف سنة ١٣٦٣هـ لإعداد المدرسين الأكفاء والدارسين المتخصصين في العلوم الشرعية والعربية وغيرها من العلوم الإنسانية، وبعد هذا فتحت كلية الشريعة بمكة المكرمة سنة ١٣٦٩هـ بأمر من جلالته وذلك لإعداد وتخريج القضاة والمدرسين، كما فتح المعهد العلمي في الرياض سنة ١٣٧٠هـ ثم في مدن المملكة لتدريس العلوم الشرعية وعلوم اللغة والاجتماع، كما فتحت في سنة ١٣٧٣هـ كلية الشريعة في الرياض على غرار الشريعة في مكة وفتحت بعد ذلك بعام كلية اللغة العربية في الرياض أيضاً، وجلب المدرسون والكفاءات من خارج المملكة للتدريس في هذه الكليات «وحين اتسع التعليم وكثر المتخرجون والموظفون وانتشرت المدارس في كل آفاق المملكة اقتضى ذلك إنشاء وزارة المعارف تتولى إدارة هذا المرفق المهم، وجاء إنشاؤها عام ١٣٧٣هـ بداية توسع مكّن الدولة من تعميم المدارس وإقامة المباني وتوفير المكتبات وفتح إدارات للتعليم تباشر التوجيه والإشراف، وانصب اهتمام الوزارة على إعداد المدرس المناسب ففتحت المعاهد والمراكز والكليات المتوسطة، واهتمت بالكتاب فجاء وفق أحدث الأساليب التربوية، والتوسع في التعليم العام دفع إلى التوسع في التعليم الجامعي، فأنشئت جامعة الملك سعود رحمه الله عام ١٣٧٧هـ في الرياض، ثم تتابع فتح الجامعات المماثلة في أماكن متعددة من المملكة، وقد روعي في كل ذلك انسجامها مع حاجة الدولة الإسلامية في عصر تعددت فيه المطالب وتعقدت أمور الحياة»[١٠].

أما اهتمامه يرحمه الله بإرسال البعثات فقد حرص مع القائمين على الأمر على طلب المزيد من رفعة شؤون التعليم فعمل معهم على تشجيع البعثات التعليمية الى خارج البلاد «ويرجع تاريخ أول بعثة أرسلت من الحجاز الى الخارج بقصد التعليم الى عام ١٣٤٦ - ١٩٢٧م بيد أن موالاة الابتعاث لم تبدأ بصورة منتظمة إلا في سنة ١٣٥٩ - ١٩٤٠»[١١]، «وفي سنة ١٩٤٢ أوفدت الحكومة بعثة ثالثة، وبعد ذلك انتظمت البعثات سنة بعد أخرى إلى جامعة الأزهر في القاهرة ليدرس بعضهم في كلية الشريعة وبعضهم في كلية اللغة العربية وأوفدت فريقاً منهم الى كلية أصول الدين وآخر للقسم العام، وأوفدت كذلك الى جامعة فؤاد الأول بالقاهرة عشرات الطلاب ليدرسوا في الكليات التي تتألف منها هذه الجامعة»[١٢].

وهكذا كانت النهضة التعليمية في المملكة العربية السعودية تلك التي أرسى قواعدها الملك عبد العزيز على أسس متينة وقوية والتي حمل لواءها من بعده أبناؤه الكرام فبلغوا بها القمة وواكبوا بها ركب التقدم الحضاري في كل بلدان العالم، وجهود خادم الحرمين

الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز يحفظه الله في هذا المضمار لا تحتاج إلي بيان فهي تتحدث عن نفسها منذ أن أنيطت بسموه وزارة المعارف وحتي اليوم، ولا يخفى أثر التعليم المباشر على النهضة الأدبية والثقافية في أي أمة من الأمم من تهيئة المناخ لأسباب تلك النهضة.

٢- تشجيعه للطباعة والمكتبات ودور النشر:

عملت حكومة الملك عبد العزيز على تشجيع الطباعة الأهلية وذلك بإعفاء أصحابها من الضرائب والتأمين، كما عملت على تيسير استيراد لوازم الطباعة من أوراق وأحبار وآلات، وشجعت كذلك إيفاد البعثات للخارج للتخصص في فنون الطباعة المختلفة، وأول مطبعة جلبت الى الحجاز كان في سنة ١٣٠٠هـ ثم المطبعة الأميرية، وفي عهد الملك عبد العزيز زاد الاهتمام بأمر المطابع التي كانت موجودة وأنشأ مطابع أخرى جديدة من بينها الشركة العربية للطبع والنشر بمكة، مطبعة جريدة المدينة المنورة في المدينة، ومؤسسة الطباعة والصحافة والنشر في جدة هذا إلى جانب المطبعة الحكومية في مكة التي تحول اسمها من مطبعة الحسين إلى أم القرى ثم مطبعة الحكومة أخيراً، هذا وقد توالي إنشاء المطابع الأهلية بفضل التشجيع الحكومي لها على النحو الذي ذكرناه، «وقد ساعدت المطبعة السعودية على نشر الإنتاج الوطني. وإذاعة الثقافة ونهضة البلاد.. إن الحكومة ساهرة على ما تنجزه المطابع مراقبة لكل ما يتم فيها، وقد سنت القوانين التي تنظم شؤونها وتكفل سيرها وتقدمها وتحرص في الوقت نفسه على أن تظل هذه المطابع ضمن الدائرة التي رسمتها لها لتضمن لأصحابها الربح ولنفسها الهدوء وراحة البال»[١٣]، وهكذا كان للطباعة مكان في ركب التطور الشامل في المملكة فأدت - ومازالت تؤدي - خدمات جليلة في نشر الأدب والثقافة على اختلاف أنواعها.

أما عن تشجيعه يرحمه الله للمكتبات فأقول: كان المستوى المعيشي للعربي في الجزيرة قبل قيام المملكة سببا في تدهور الثقافة في هذه البلاد في ذلك الزمن فقد أدى ضيق العيش ببعض التجار الى أن ينقل ذخائر المكتبات ونفائسها الخطية لبيعها في الأسواق خارج البلاد «وكان بعض تجار المخطوطات ينقلون من المدينة آلاف المخطوطات الى بلدان أسيا وأوروبا ويبيعونها هناك بأبخس الأثمان»[١٤]، وحين توافرت أسباب النهضة الاقتصادية وشعر الملك عبد العزيز بأهمية المكتبة باعتبارها المصدر الرئيسي للزاد الثقافي للمثقفين في أي أمة، وباعتبار ما تحويه من النفائس يشكل عاملا من عوامل ارتقاء الفكر والأدب وازدهار الثقافة، أولى المكتبات التي كانت قائمة مزيدا من الرعاية والاهتمام. كما شجع على إنشاء المكتبات العامة والخاصة، فأنشأ الأمير مساعد بن عبد الرحمن أخو الملك عبد العزيز أول مكتبة عامة في الرياض، وقد ضمت قدرا كبيرا من الكتب كما خصص للمطالعة جناحاً مستقلا في قصره وفتحها لكل زائر يريد الانتفاع بها، كما أسس المفتى محمد بن ابراهيم المكتبة السعودية في الرياض أيضاً وضمنها الآلاف المؤلفة من الكتب المطبوعة والعشرات من المخطوطات النادرة، وبعد ذلك توالي إنشاء المكتبات العامة في أحياء أخرى من العاصمة وفي عواصم المناطق السعودية، هذا بالإضافة الى المكتبات الشهيرة في مدن الحجاز.

كما ألحقت بالكليات الجامعية والمعاهد الدراسية والمدارس المنتشرة في ربوع المملكة مكتبات تدعمها الحكومة وتهتم بتنميتها لما لها من عظيم الفائدة في ارتقاء المستوى الفكري والأدبي للمتعلمين وبما تحفظه لهم وللأجيال بعدهم من مصادر التراث العربي العام في العلوم العربية والإسلامية.

أما المكتبات الخاصة فقد كانت كثيرة لا يكاد

يخلو منها بيت أديب أو عالم «ومهما يكن دافع إنشاء المكتبات الخاصة، فلابد من الاعتراف بأثرها في رفع مستوى ثقافة ذويها، ولا مندوحة عن الإشادة بفضل الذين وضعوا خزائن كتبهم الخاصة بين أيدي سائر الناس، وفتحوا لهم أبوابها، ولم يضنوا على أحد باستعمال ما فيها والإفادة منها»[١٥]، ودور الملك عبد العزيز في إنشاء المكتبات العامة واضح جلي أما دوره في انتشار المكتبات الخاصة فهو دور الباعث على الاستقرار الاقتصادي والرخاء المعيشي الذي مكن هؤلاء من شراء الكتب الكثيرة التي كونت مكتباتهم على النحو المذكور، وقد سلف الحديث عن حال العربي في الجزيرة قبل قيام المملكة وما كان يفعله من بيع للكتب والمخطوطات ليسد رمقه ويذهب ضيقه الكارب، وعلى أي حال كان للملك عبد العزيز الدور المبرز في إنشاء المكتبات العامة والخاصة التي احتوت الكتب المؤلفة باللغة العربية وفي علومها الدينية والأدبية والاجتماعية والوافدة من أكثر البلدان العربية. «والكتاب السعودي راح يشق طريقه وسط هذا الحشد الكبير من الكتب الوافدة، ويأخذ مكانه في رفوف المكتبات المختلفة ولقد صار قسم كبير من المؤلفات السعودية يطبع في داخل البلاد بعد أن كان يتم ذلك في الخارج»[١٦] والسبب في ذلك هو ازدهار الطباعة وانتشارها على النحو الذي عرفناه منذ قليل.

وفي ظل هذه النقلة الهائلة تعددت دور النشر في مختلف مدن المملكة ومن ذلك الشركة العربية للطباعة والنشر التي تأسست في مكة سنة ١٣٥٥هـ، ومؤسسة الطباعة والصحافة والنشر في جدة سنة ١٣٧٢هـ وغيرهما من دور النشر الحكومية والأهلية التي أنشئت في عهد الملك عبد العزيز وبتشجيع منه، وقد تدفق على تلك الدور طوفان من الكتب الأدبية والعلمية لتشكل حلقة جديدة من حلقات الارتقاء والتطور في الحياة الأدبية.

٤ ـ مباركته للصحافة والعمل على تقويتها:

عرفت الجزيرة العربية الصحافة بمفهومها الحديث في العهد العثماني في إقليم الحجاز خاصة، وقد صدرت فيه خمس صحف هي حجاز، شمس الحقيقة، والإصلاح الحجازي، والرقيب، وصفا الحجاز ولقد امتد أجل صحيفة حجاز الى سبع سنوات، أما الصحف الأربع الباقية فقد تراوح عمرها بين عدة أشهر ويوم واحد. «ولم يكن لهذه الصحف أية قيمة أدبية أو سياسية أو أي أثر في تكوين الوعي أو توجيه الفكر»[١٧].

وفي العهد الهاشمي ظهرت بمكة جريدة القبلة سنة ١٣٣٤هـ، كما صدرت في عام ١٣٣٨هـ جريدة الفلاح بعد أن انتقلت من سوريا الى الحجاز بعد احتلال سوريا، وفي عام ١٣٤٣هـ صدرت في جدة جريدة أسبوعية هي بريد الحجاز، وكانت آخر صحيفة تظهر في العهد الهاشمي، ولم تستمر طويلا حيث لم يصدر منها سوى اثنين وخمسين عددا فقط، وكانت جريدة وطنية تدعو إلى القوة والتماسك والكفاح والنضال لبقاء الحكم الهاشمي في الحجاز، ويتضح من هذا أن المدة التي صدرت فيها هذه الصحف لم تتجاوز تسع سنوات، وهي مدة قليلة في عمر الزمن لتكوين نهضة أدبية متأثرة بالصحافة، وذلك إذا روعيت الظروف السياسية التي كانت تحيط بتلك الصحف، ومدة كهذه في غير تلك الظروف كفيلة بتحقيق نهضة أدبية شاملة، والمثال على هذا ما أحدثته صحيفة صوت الحجاز من نهضة أدبية في العهد السعودي الحالي وهي جريدة لم يتجاوز عمرها أحد عشر عاماً تقريباً قبل أن تتحول الى البلاد السعودية ثم الى البلاد أخيرا، وما ذلك إلا لاختلاف المناخ السياسي والاجتماعي في العهدين، والذي يجدر الإشارة إليه أثر جريدة القبلة دون غيرها في احداث بوادر النهضة الأدبية في الحجاز، غير أنها أيضاً «كانت عديمة

الحرية راسفة بقيود الحكومة الهاشمية مقيدة بأغلالها»[١٨].

وبعد توحيد البلاد واستقرار نظام الحكم للملك عبد العزيز أخذت الصحافة في الارتقاء والتطور وبتشجيع من الملك عبد العزيز، وقد مرت الصحافة في المملكة العربية السعودية بعهدين: عهد الصحافة الفردية وعهد صحافة المؤسسات، والعهد الأول هو العهد الذي عاصره الملك عبد العزيز وفي هذا العهد صدر ثلاث وثلاثون صحيفة ومجلة في أرجاء المملكة[١٩]، وهذا العدد يدل دلالة قاطعة على تشجيع الملك عبد العزيز للصحافة في بلاده ومباركته إياها والعمل على تقويتها.

ومن تلك الصحف أم القرى التي كانت بديلا عن القبلة التي توقفت وهي الجريدة الرسمية للملكة في حينها، ومنها أيضاً مجلة الإصلاح، وصوت الحجاز، والمنهل، والمدينة، والحج، والرياض، واليمامة، وقافلة الزيت، وغيرها كثير، وتلك الصحف منها الجريدة اليومية والأسبوعية، ومنها المجلة الأسبوعية والشهرية، ومنها ما يختص بالأدب، ومنها ما يجمع بين السياسة والاجتماع والأدب، وأبرز مجلة اهتمت بالأدب هي مجلة المنهل ولا زالت تصدر حتى اليوم، وأبرز صحيفة اهتمت بالأدب كانت صحيفة صوت الحجاز، ولكي نعرف الفرق بين الصحافة في عهد الملك عبد العزيز، والصحافة في العهدين اللذين كانا قبله نقطتف من افتتاحية صوت الحجاز في عددها الأول الصادر في ١٣٥٠/١١/٢٧هـ هذه السطور «.. يدفعنا الواجب الوطني المقدس إلى أن نرفع صوتنا بهذه الصحيفة جهورياً كي نحدث العالم عن حياتنا نحن الأمة الحجازية وعن حياة بلادنا ولنعرض على بساط البحث آلامنا وآمالنا لنستأصل جذور الأولى ونتعهد غراس الأخرى حتى تثمر لنا ثمرا جنياً من السعادة، ولئن مُنينا بالماضي المظلم الذي غشينا بكوارثه وأرهقنا بفادح آلامه والتي كان يظن فيه أنه أتى علينا الموت الأبدي.. فإن لنا في المستقبل القريب والبعيد ما يضاعف نشاطنا ووقتنا ووحدتنا، وما يهون علينا كل مالاقيناه وما سنلاقيه من مصاعب ومتاعب دون بلوغ الغاية وتسنم غارب المجد والعلا.

*** أنشأ الأمير مساعد بن عبد الرحمن أول مكتبة عامة في الرياض.**

وبعد :

فليس لرجالنا اليوم عذر ولا لأدبائنا مندوحة عن أداء الواجب الوطني والقومي بإبراز ما تكنه ضمائرهم من حب الخير والمنفعة لهذه البلاد والأخذ بيد الأمة الى ما يرفع مستواها العلمي والأدبي والسياسي فباب القول والعمل قد فتح على مصراعيه وميدانهما رحيب لمن يريد الاقتحام، وهذه صحيفتنا إنما أنشأناها صحيفة الأمة والوطن وأنها بعد عنايتها الخاصة بأحوال بلادنا الداخلية وعلاقاتها الخارجية ستعني بالبلاد العربية والإسلامية بل والشرقية عامة، فكلنا على ما يقولون (في الهم شرق) وأنها ستنشر ما يوافق مبدأها الإسلامي الأدبي وستنافح عن إسلاميتها وعروبتها وأنها ستعرض للحوادث الداخلية وما يجري في الدوائر الرسمية بحرية تامة يحوطها الإخلاص والحكمة والنزاهة[٢٠]، هكذا رأى الأدباء في عهد الملك عبد العزيز المناخ الملائم والظروف المواتية لاستئصال جذور الآلام السابقة في ماضيهم المظلم الذي غشيهم بكوارثه وأرهقهم بفوادحه حتى خيل أن الموت الأبدي أحاط بهم، كما رأوا في عهده الأرض الخصبة التي يتعهدون فيها غراس الآمال لتثمر ثمراً جنياً من السعادة في المستقبل القريب، وتجعلهم يتسنمون غارب

* تمتعت الصحافة في عهد الملك عبد العزيز بالحرية التامة إلا ما تعارض مع عُرف أو تقليد أو دين.

* للإذاعة قدر كبير في الاسهام في نهضة الحياة الأدبية في عهد الملك عبد العزيز.

المجد والعلا، وما ذلك إلا لأن الملك عبد العزيز - يرحمه الله - قد فتح لهم أبواب القول والعمل على مصراعيه ليعملوا ويقولوا وينشروا في حرية تامة وإخلاص وحكمة ونزاهة.

وهكذا تمتعت الصحافة في عهد الملك عبد العزيز بالحرية التامة فنشرت فيها جميع الآراء إلا ما تعارض مع أمر من أمور الدين أو خالف عرفاً أو تقليدا لهذه البلاد، وإلا فكيف نفسر معنى الحرية التامة في العبارة الأخيرة من كلمات واحد من رجالات الصحافة في افتتاحية صوت الحجاز المذكورة آنفا؟ أو كيف نفسر دعوة الملك عبد العزيز نفسه قادة الأمة وكبراءها وغيرهم من رجال الفكر والقلم في بلاده لكي يوجهوا ويرشدوا من يضل في حرية تامة ولو كان هو شخصيا؟ يقول الملك عبد العزيز في ذلك: «يجب عليكم أن.. ترشدوني إذا رأيتموني ضللت عن طريق الحق وإذا لم تفعلوا فأنتم المسؤولون، وإني أطلب منكم ومن غيركم أن من رأى منّي شيئاً مخالفا فليوضحه لي ويرشدني الى طريق الحق، فوالله إذا رأيت الحق أتبعه لأنني مسترشد ولست بمستنكف، ومن رأى شيئا وكتمه فعليه لعنة الله والناس أجمعين[٢١]، وعلى هذا لم تكن الصحافة في عهد الملك عبد العزيز «وسيلة لنشر الفضيلة والحق وتوعية المواطن ومشاركة الحكومة في التوجيه الى ما فيه خيري الدنيا والدين، فضلا على مشاركتها الفعلية بالنشر والتوجيه النقدي لأصحاب النتاج الأدبي»[٢٢]، كما لم يقف دورها عند حد الإعلام والتوصيل فقط بل كانت عاملا مهما في تطور وارتقاء الأدب موضوعياً وفنياً[٢٣]، «وبكلمة موجزة فإن هذه الصحافة قامت مقام الكتاب الأدبي والديوان الشعري مدة غير قصيرة قبل أن ينتقل الكتاب والشعراء الى مرحلة نشر نتاجهم في كتب ودواوين خاصة»[٢٤]، والخلاصة أن للصحافة دوراً كبيراً في عهد الملك عبد العزيز يتمثل في ازدهار النشاط الثقافي ونهضة الأدب في المملكة فكادت تكون الوسيلة الوحيدة لنشر ونقد النتاج الأدبي للسعوديين وإليها يرجع الفضل في التعريف بكثير من الشعراء والأدباء في المملكة.

٥- ترحيبه بافتتاح الإذاعة المسموعة.

لم يدرك الملك عبد العزيز - يرحمه الله - زمان الاذاعة المرئية، لكنه أدرك الإذاعة المسموعة، فتيقن بأنها من العناصر الإعلامية القوية التأثير والتوجيه الى جانب الصحافة، كما تيقن أنها وسيلة فعالة في نشر نتاج الأدباء، فأصدر أوامره بإنشائها، وقد تم ذلك في سنة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، واقتصرت الإذاعة في أول أمرها على الأمور الجدية، ولم تحفل بمظاهر التسلية والترفيه، فإلى جانب اهتمامها بتلاوة القرآن الكريم وإذاعة الأحاديث الدينية والتاريخية والاجتماعية والنشرات الإخبارية والبرامج الخاصة كان اهتمامها بالأدب كبيرا، فقد خصصت ركنا ثابتاً للأدب كان

يسمى «عالم الأدب»، وفيه كان يقوم بعض الأدباء بإذاعة الأحاديث الأدبية، ومن ذلك ما كان يفعله أحمد السباعي في أحاديثه «دعونا نمش» أو الأحاديث الأدبية والثقافية لمحمد حسن عواد وأحمد محمد جمال وعبد السلام هاشم حافظ وأحمد عبد الغفور عطار، كما اهتمت الإذاعة أيضا بنشر المسرحيات كمسرحية «العم سحتوت» لعبد الله عبد الجبار واهتمت كذلك بإذاعة ألوان من القصائد والقصص لكثير من الشعراء والقصاصين وبهذا طارت شهرة هؤلاء الأدباء في الآفاق فكان ذلك دافعا الى تجويد نتاجهم[٢٥] والخلاصة أن للإذاعة كما للصحافة قدراً كبيراً في الإسهام في نهضة الحياة الأدبية في عهد الملك عبد العزيز، وكان ذلك بنشر الأعمال الأدبية على الهواء أو نقدها بالتفسير والتوجيه من كبار النقاد، بالإضافة الى تمكين الأدباء من الزاد الثقافي والأدبي المتمثل في الأحاديث التي كان يلقيها كبار الأدباء في الملكة.

٦ـ تمكينه للسعوديين من الاحتكاك المباشر بالثقافات الأخرى:

سبق قبل ذلك الحديث عن اهتمام الملك عبد العزيز بأمور التعليم والبعثات، فقد كان يرحمه الله مهتماً بجلب المعلمين الأكفاء من الأقطار العربية الشقيقة كمصر وسوريا والمغرب، ومن خلال هؤلاء الأكفاء تمكن السعوديون وبخاصة الأدباء من الاحتكاك بهؤلاء المعلمين احتكاكاً مباشراً تمثل في مناقشتهم والإفادة من أفكارهم والاطلاع على النتاج الأدبي لبعضهم ممن كانت لديهم الموهبة الأدبية، والاطلاع كذلك على ما جلبوه معهم من كتب أدبية ونقدية لأدباء ونقاد بلادهم مما لم يتوافر في المملكة لسبب أو لآخر.

ومما اهتم به الملك عبد العزيز أيضاً وسبق الإشارة إليه إيفاد الطلبة المتفوقين إلى بعثات تعليمية الى خارج الملكة، ومما لا شك فيه أن هؤلاء المتفوقين وبخاصة الأدباء منهم كانوا يفيدون من أفكار أدباء تلك البلدان التي سافروا إليها سواء بالاحتكاك المباشر معهم في اللقاءات الأدبية الحية في الجمعيات والهيئات والروابط الأدبية والثقافية أو بالاطلاع على نتاجهم المنشور أو مدارسته في المعاهد والجامعات التي ابتعثوا إليها، كما تيسر لهم الإطلاع على النتاج الأدبي العالمي من خلال ما ترجم منه في تلك الأقطار.

هذا وقد تسلم الراية بعد الملك عبد العزيز أبناؤه الكرام فساروا على نهجه وأكملوا ما بدأه فلمسنا في عهودهم بواعث جديدة للنهضة الأدبية تشكل مع البواعث السابقة حلقة من حلقات الارتقاء والتطور وبرهانا قويا على الرغبة الأكيدة لآل سعود في النهوض بمجتمعهم الى قمم التقدم والوعي الحضاري المنطلق على أصول وتقاليد إسلامية وعربية راسخة في أعماق تراثنا التليد، ومما تشهده هذه الأيام في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز يحفظه الله وولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني يرعاهما الله إقامة الندوات والمهرجانات الثقافية وازدهار الأنشطة الأدبية، ومن أبرز ما تشهده المملكة في هذا العهد الزاهر مهرجان الجنادرية للتراث والثقافة الذي يقام كل عام ويحضره نخبة من أدباء ومثقفي العالم، وأكثرنا يلمس عن قرب النشاط الأدبي المزدهر في الأندية الأدبية في السنوات الأخيرة وانتشارها في كل ربوع المملكة.

ومن بواعث النهضة الأدبية أيضاً في هذا العهد الزاخر تقدير خادم الحرمين الشريفين وحكومته الرشيدة للثقافة وتشجيع المبدعين برصد الجوائز والمكافآت فكلنا يذكر جائزة الدولة التقديرية التي تصرف للفائزين بها مدى الحياة، والمسابقات الأدبية التي تطرح من خلال الأندية الأدبية، أما جائزة الملك

فيصل العالمية التي أنشأها أبناء الملك فيصل الأوفياء وتحظى برعاية خادم الحرمين الشريفين فلا تحتاج إلى بيان.

وبعد:

فكل ما مضى كان من بواعث النهضة الأدبية التي جد في تحقيقها المغفور له جلالة الملك عبد العزيز يرحمه الله، وبقي أن نعرف الآثار المباشرة أو الثمرة التي جنى جناها الأدب والأدباء في المملكة من تلك البواعث وعن ذلك أقول:

بعد أن مكن الله للملك عبد العزيز من أسباب استقرار دولته وشيوع الرخاء بين أهليها وانتشار التعليم بمختلف مراحله وأنواعه والاكثار من المكتبات وسهولة النشر، وبعد أن اطلع الأدباء بسبب ذلك كله على كتب التراث، وبعد ازدهار حركة التأليف وتعدد الصحف والمجلات على يد هذا الملك، وبعد أن أدت الإذاعة دورها، بعد هذا كله وبتأثيره قامت النهضة الأدبية في المملكة العربية السعودية، وقد أدى هذا الى آثار طيبة مازال الأدباء السعوديون يتمتعون بنتائجها المحمودة، ومن هذه الآثار العظيمة لتلك النهضة المباركة ما يلي:

أولا: ارتفاع المستوى اللغوي والبياني حتى صار الأسلوب محاكياً أساليب القدماء في البلاغة والبيان والنصاعة، فلقد حرص شعراء المملكة على سلامة اللغة وفصاحة الألفاظ وجزالة التعبير والأداء وفخامة التراكيب، كما حرصوا على الابتعاد عن العامية والابتذال واللحن..

ثانيا: ظهور طبقات كثيرة من الأدباء والكتاب والشعراء من بينهم شيوخ الأدب والشباب الذين ظهروا في المجال الأدبي في البلاد.

ثالثا: كثرة النتاج الأدبي شعرا ونثرا ومقالة ونقداً ودراسة أدبية وتحقيقا للتراث الأدبي وترجمة لآداب الآخرين، كما ظهرت المسرحية والقصة وأدب التراجم لأعلام الأدب والأدباء والنثر الفني الذي يمثل خواطر النفوس ومشاعر الأدباء ويصور حياتهم تصويراً كاملا.

رابعا: تعدد طوائف الشعراء من حيث مصادر الثقافة والتأثر بها فظهرت طائفة تقف نفسها على قراءة الشعر القديم والنسج على منواله ولم يحيدوا عن ذلك قيد أنملة، وطائفة أخرى أمعنوا في قراءة التراث واستوعبوه، ولكنهم لم يغضوا النظر عما حولهم في مجتمعهم من مخترعات وأفكار حديثة.

خامسا: تعدد الصور والأخيلة في القصيدة الواحدة وتعدد أغراض الشعر، ومن ذلك كتابتهم في أغراض قديمة وأخرى جديدة، كما استحدثت أنواع جديدة كالشعر السياسي والاجتماعي.

سادسا: التطلع الى الآداب الأخرى المعاصرة، فقد كان لظاهر النهضة الأدبية الأثر الكبير في غرس الشعور بالرغبة في التطوير الذي يجاري نتاج الآخرين ليواكب روح العصر ومظاهر الحضارة؛ فتطلع الأدباء السعوديون الى الأدب المصري الحديث وأدب المهاجر، كما تطلعوا الى الآداب الغربية المترجمة، وقد استوعبوا كل ذلك وأقبلوا عليه بالدراسة والتذوق وبدا أثر ذلك على أدبهم شكلا ومضموناً.

سابعاً: الارتقاء بالمستوى الاجتماعي للأدباء، فقد لقي الأدباء في المملكة ترحيباً كبيراً في أعمالها ومرافقها، بل استطاع كثير من الكتاب والشعراء أن يتولى مناصب مهمة ليسهم من خلالها في احداث التقدم المطلوب، ومع مضي الوقت أصبح هؤلاء الأدباء عصب الدولة وأداتها في طريق المزيد من التقدم والنهضة في شتى المجالات[٢٦].

وهكذا بعد أن كان شعب الجزيرة معزولا ومحروماً من أسباب النهضة بمختلف مظاهرها شاء الله أن يتبدل الحال فمكن للملك عبد العزيز الحكم فيها فأزاح الله به الحواجب وحطم به العوائق أمام ذلك

الفيض الغامر فتجاوبت المشاعر مع كل داع من دواعي الرقي والنهـوض التي غـمـرت كل طوائف الشـعب السعودي بأغنيائه وفقرائه، ولقد أحدث كل ذلك أثرا عـمـيـقـاً في تشكيل الفكر والوجـدان لدى الكتـاب والشعراء السعوديين.

الهوامش :

(١) الملك الراشـد/ عـبـد المنعم الغـلامي، دار اللواء بالرياض - ط ثانية ١٤٠٠هـ ص ٣٨٣.

(٢) ماضي الحجاز وحاضره، حسين محمد نصيف، مكتبة ومطبعة خضير بالقاهرة، ج١ ص ١٠١.

(٣) ملوك المسلمين المعاصـرون ودولهم، أمين مـحـمـد سعيد، ط ١٣٥٢ ص ١٢٣.

(٤) شبه الجزيرة العربية في عـهـد الملك عبد العزيز، خيـر الدين الزركلي، ط اولى بيروت ١٩٧٠م، ج١ ص ٣٥١.

(٥) مجلة المنهل، شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ، من مقال للفريق يحي المعلمي ص ١١٢.

(٦) تأملات في الأدب والحياة، محمد حسن عواد، القاهرة ١٩٥٠م، ص ١٤١٢ ص ٧٩.

(٧) الأدب الحديث في نجد، محمد بن سعد بن حسين، مطبعة الفجالة مصر ١٣٩١هـ ص ٢٣٧.

(٨) النزعة الاسلامية في الشعر السعودي المعاصر، د/حسن بن فهد الهويمل، الرياض ص ٧٩.

(٩) الأدب الحجازي في النهضة الحديثة، أحمد أبو بكر ابراهيم، نهضة مصر ١٩٤٨ ص ٣ بتصرف.

(١٠) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر، د/حسن الهويمل ص ٣٠، ٣١.

(١١) ماذا في الحجاز، أحمد محمد جمال، ط أولى بمصر ١٩٤٥ ص ٢٣.

(١٢) الملك الراشد، عبد المنعم الغلامي ٣٠١.

(١٣) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، د. بكر شيخ أمين، دار العلم للملايين ط ١٩٧٢ ص ١٩٨.

(١٤) التيـارات الأدبية الحديثة في قلب الجـزيرة العربية، عبد الله عبد الجبار، ط معهد الدراسات العربية بالقاهرة ١٩٥٩ ص ١٩٣.

(١٥) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، د. بكر شيخ أمين ١٩٤.

(١٦) المرجع السابق ص ١٩٤.

(١٧) من تاريخنا، محمد سعيد العامودي، دار مصر للطباعة، القاهرة ١٩٥٤ ص ٩٨.

(١٨) ماضي الحجاز وحاضره، حسين محمد نصيف ص ١٠٣.

(١٩) راجع الحركة الأدبية في المملكة، د/ بكر شيخ أمين ١١٠.

(٢٠) نقلا عن التيارات الأدبية الحديثة ص ١٥٨ ، ١٥٩.

(٢١) الملك الراشد ٣٦٩.

(٢٢) ظاهرة الاغتراب في شعر ابراهيم ناجي وعبد الله الفيصل، رسالة دكتوراه لصاحب هذا البحث مخطوطة ومودعة مكتبة كلية اللغة العربية في القاهرة ١٩٩٣ ص ٦٥.

(٢٣) راجع الصحافة الأدبية في المملكة العربية السعودية د/أمين غازي زين عوض الله ط أولى ١٤٠٩ مكتبة مصباح، جدة ص ١١.

(٢٤) الشعر الحديث في الحجاز، عبد الرحيم أبو بكر، دار المريخ الرياض ١٩٨٠ ص١٠٠.

(٢٥) راجع: التيارات الأدبية ١٧٩، والحركة الأدبية ١٣٥ وما بعدها.

(٢٦) راجع: ظاهرة الاغتراب في شعر ابراهيم ناجي وعبد الله الفيصل رسالة دكتوراه للباحث ص ٦٦، حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر، د. عثمان الصالح الصوينع، مطابع الفرزدق، الرياض ١٤٠٨هـ، ج١ ص ١٥٠، ١٥١.

صلة الشيخ حمد الجاسر بعلماء الشريعة الإسلامية

يظن بعض المثقفين وطلاب العلم أن الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله تعالى - مؤرخ ومحقق جغرافي ونسّابة وأديب فحسب! ولم يدر بخلد البعض أن الجاسر سلفيّ من أعلام القضاة النجديين، وله مشاركات وتحقيقات دينية مبثوثة في مصنفاته الكثيرة ومقالاته العديدة وتحقيقاته الفريدة، كما أن له صلة بعلماء الشريعة ومشاهير القضاة والأعلام الإسلاميين على مدى نصف قرن مضت.

نهل الشيخ الجاسر من معين الإسلام يافعاً، ففي الرياض قرأ «الأصول الثلاثة» و«آداب المشي إلي الصلاة» للشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - وهاتان الرسالتان من أشهر المتون الدينية في القرن الثالث عشر الهجري - ولا زالت تحظى باهتمام من قبل علماء الاسلام في مملكتنا، لفائدتها ويسرها واختصار عباراتها.

وفي مكة المكرمة عام (١٣٤٨هـ) التحق الجاسر بالمعهد الإسلامي السعودي، ويُعد أول مدرسة نظامية تنشأ في العهد السعودي.

ومن شبه المؤكد أن الشيخ الجاسر قد حفظ في المعهد كثيراً من أجزاء القرآن الكريم إن لم يكن قد حفظه كله، وطالع وتفقه في المصادر الفقهية والحديثية والأصولية التي تفتق الذهن وتجوّد القريحة وتكسب المرء علماً ووعياً ورشدا. ومن أشهر تلك المصادر على سبيل المثال لا الحصر: المغني لابن قدامة، وكشاف القناع للبهوتي، والإنصاف للمرداوي، وفتح البادي لابن حجر، وشرح النووي على صحيح مسلم، وروضة الناضر وجنة المناظر لابن قدامة، وقواعد الأصول ومعاقد الفصول لصفي الدين البغدادي، وغيرها كثير كالعقيدة



بقلم : **احمد بن مسفر العتيبي**

المدرس بمركز ومدرسة المظليين - تبوك

الواسطية، والحموية، والتدمرية، والأصفهانية لابن تيمية - رحمه الله تعالى - وكتب ابن القيم الجوزية، وابن كثير، والحافظ الذهبي، من أعلام السلف الصالح - رحم الله الجميع.

ولا ريب أن الجاسر قدس الله روحه ونوَّر ضريحه، كان قد نهل من دروس الحرمين الشريفين إبَّان إقامته في مكة وزيارته لمسجد رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ، فقد كان الحجاز في منتصف القرن الرابع عشر الهجري وما قبله منارة من منارات العلم، يهوي إليه طلبة العلم من شتى أقطار الدنيا للحج والعمرة والزيارة والأخذ عن العلماء العاملين ومطالعة المصنفات التي تزخر بها خزائن المكتبات العلمية مما يجلبه الحجاج أو يبتاعونه من عابري السبيل وتجار المخطوطات.

إن بعض ما سبق أهَّل الشيخ الجاسر للانخراط في سلك القضاء، فعمل قاضيا في «ضبا» بشمال الحجاز عام ١٣٥٧هـ، والعمل في القضاء بحد ذاته مسؤولية لا يلج إليها إلا الأشداء في العلوم والعقول،

رسالة الشيخ عبدالرحمن بن قاسم إلى الشيخ حمد الجاسر - رحمهما الله جميعاً -

رسالة الشيخ عبدالرحمن بن سعدي إلى الشيخ حمد الجاسر - رحمهما الله جميعاً -

وفي الوقت الذي لا نملك فيه تفاصيل دقيقة حول مراحل وظيفة الشيخ الجاسر في القضاء، وتقلبه في هذا المنصب، فمن الطبيعي أن يكون الشيخ قد استكمل آلات هذا الفن، وأحكم مناهجه وسبر أغواره، ودرب على غوامضه وخفاياه، وغاص في لججه العميقة.

ومما يعزز القول بالتزام الجاسر المبكر بدراسات الشريعة الاسلامية مثالين أسوقهما للقارىء الكريم، قبل أن أشرع في الحديث عن صلة الشيخ بعلماء الشريعة الإسلامية.

المثال الأول: حدث أن نشرت (صوت الحجاز) مقالا لرئيس تحريرها فعقب عليه فضيلة الشيخ «عبد الله الخياط» - رحمه الله تعالى - بمقال عنونه بـ «لا تسبوا الدهر»، فأعجب الشيخ حمد الجاسر بمقال «الخياط» فكتب مقالا بعنوان: «قل الحق ولو كان مراً» عام ١٣٤٩هـ، انتصر فيه للحق واستدل على ذلك بشواهد مقنعة.

المثال الثاني: «اتجاه الجاسر الى تحقيق المواقع التاريخية المرتبطة بالأحداث الإسلامية، كمكان «بدر» و«أحد» و«حنين» و«عكاظ» و«قرن المنازل» وتبصير القارىء بأخبار الرحلات الإسلامية كرحلات الحج والعمرة والزيارة، ومن أشهر كتاباته في ذلك: «البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي» لابن طولون الحنفي (العرب: س.١٠، ع١١، الجماديان ١٣٩٦هـ)، و«ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي» ط دار الرفاعي. والمناسك، وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، للحربي (تحقيق) ط دار اليمامة، وغيرها كثير.

كما أسهم الجاسر في النفح عن العقيدة السلفية التي تربى عليها الجاسر وتعلمها وعلمها، ويتضح هذا جليا في عشرات المقالات التي دبجها يراعه، مثال ذلك: «خرافة قبة اليهودية» (العرب: س ١٠، ع٣، شوال ١٣٩٥هـ) و«نظرات في كتاب (التوراة جاءت من جزيرة العرب): (العرب: س ٢١، ع ٧ ، محرم ١٤٠٧هـ)، «الزياني صاحب «الترجمانه» وموقفه من الدعوة السلفية»: (المجلة العربية، س ٦ ، ع ٦١، صفر ١٤٠٣هـ) و«كتاب لمع الشهاب»: (العرب: س ١، ع ٩ - ١٠، الربيعان ١٣٨٧هـ).

وموقف الجاسر رحمه الله تعالى من الدعوة الإصلاحية هو موقف المعاضد المساند، فالشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - لم يأت بجديد، غير أنه جدد ما اندرس من آثار الشريعة الإسلامية، ودعا الى التمسك والاعتصام بالأصلين: الكتاب والسنة النبوية الصحيحة، وقد قرر هذا في مقاله السالف الذكر أما صلة الشيخ حمد الجاسر رحمه الله بعلماء الشريعة الإسلامية فهي أشهر من أن تذكر أو تسطر. فقد كان للشيخ علاقات متينة مع

جم غفير من علماء الاسلام نذكر بعضهم على سبيل التمثيل لا الحصر: أبو الحسن الندوي، أبو الأعلى المودودي، علي الطنطاوي، حسن حبنكة الميداني، حمود بن عبد الله التويجري، محمد محمود الصواف، عبد الرحمن بن سعدي، عبد الرحمن بن قاسم، محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، محمد بن عبد العزيز بن مانع، عبد العزيز بن باز - رحم الله الجميع - .

وصلة الشيخ بتلك الصفوة قامت على ركنين:

الأول: تأسيس قاعدة إسلامية ينطلق منها الجاسر في علاقاته واتصالاته مع الناس.

الثاني: تبادل المنافع بين العلماء وتعزيز أواصر المحبة والتآلف والتآخي معاً.

وأضرب على ذلك مثالا أستله من رسالة جوابية بعث بها العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله تعالى - إلي الشيخ الجاسر، ومما قاله: «في أسعد الساعات تلقيتُ كتابكم الكريم رقم ٢/١٣ وسرني ما وفقتم له من تأسيس صحيفة اليمامة وهي أول صحيفة قامت في نجد لنشر المعارف المتنوعة والفنون الصحيحة وتثقيف الأخلاق بتغذيتها بالأخلاق الشرعية والآداب الدينية الدنيوية» الخ رسالته رحمهما الله جميعاً.

ونلمس متانة علاقة الشيخ باخوانه العلماء في رسالة جوابية للعلامة عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى - رداً علي رسالة بعث بها الشيخ الجاسر، نستل منها ما استطعنا قراءته: «كتابك الكريم وصل وسر الخاطر.. وكنت في هذا العام مشتاقاً للقائك محزوناً بفراقك، وزاد لوعة ما ذكرته من همك للتخصص مع البعثات لطلب الفنون، ولم أدر ماذا يتعلمون، وإلى ما بعده تكونون، والى الله تذهبون، ومساكنة الكفار.. وانظر ما نحن فيه ونحن في بلاد الإسلام وأهل المعاصي، لا ننكر ولا نفارق فكيف بالكفرة، والعاقل لا يأمن الفتنة، واذكر قصة الهجرة وتأثير الخلطة... الخ، رسالته رحمهما الله جميعا، وقد كتب في صدر الرسالة: من عبد الرحمن بن قاسم الى حضرة الأديب الصديق الأخ الشفيق حمد الجاسر، المدرك بلا تعاسر، ألهمه الله رشده وتقواه، آمين.

ويبدو من عبارات هذه الرسالة إخلاص ابن قاسم النصح والعتاب للشيخ واشفاقه من سفره الى الخارج، وهي دليل علي صدق الأخوة وصفاء السريرة ومتانة الرابطة.

إن كل ما تقدم إلمامة عاجلة للوقوف على الجذور الراسخة لصلة الجاسر بالشريعة الإسلامية وعلمائها الأفذاذ، وهذا بدوره يدفع المثقف المسلم للتزود من تراث الجاسر وذخائره الثمينة.

البعد التربوي الإصلاحي في الدعاء النبوي

كما يتصدر المصطفى {صلى الله عليه وسلم} لتبليغ الرسالة والإرشاد، يجلس بنفس الهمة يعلّم المسلمين والمسلمات - فرادى وجماعات - بماذا وكيف يبتهلون الى ربهم تعالى، في الصبح والعشية، وحين يضطجعون وحين يصبحون، كان {صلى الله عليه وسلم} يغتنم الفرص - كلما سنحت - للتدريب على أدعية شاملة لكل مناحي الحياة ومنازل دار القرار، ذلك لأن تضرع الخلق الى خالقهم - عز علاه - يدعم فيهم عقيدة التوحيد، ويشيع في نفوسهم طمأنينة وأمنة، ويزكيهم فيقربهم الى مناجاة الجبار حيث فتح - بفضله - أبواب رحمته لكل ساجد مقترب، لم لا والرسول {صلى الله عليه وسلم} قد قال:

(الدعاء هو العبادة)[١]:

ومن ثمة جاءت ابتهالات النبي {صلى الله عليه وسلم} مسبوكة الصياغة، ثرية المضمون، فائضة الدلالات، مديدة الأبعاد، فسيحة الآفاق، متخشعة موقظة مؤثرة، كيف لا وهي من جوامع الكلم الحبيبة - الى النفس، المشنفة للأذن، المدغدغة لأنياط الفؤاد!؟ وانها لتقوت القلب، وتهز الكيان هزاً، فتقشعر الأبدان اقشعرارا، وترتجف الألباب ارتجافا، وتجنح الأرواح متنوقة حلاوة العفو، وبرد رحمة الرحمن، متقوية معتزة بالعزيز القوي سبحانه.!

وللدعاء النبوي وظائف أخرى:

من التعسف الجائر على الحديث النبوي قصر الأدعية منه على هذا المقصد النبيل، دون تطلع الى استفادات أخرى زاكية، إذ يتبين أن الوظيفة تتعدى هذا التضييق الى مقاصد رائقة أخرى، وامتدادات بليغة لها أبعاد تهذيبية في الاجتماع والسياسة والاقتصاد.. معنى ذلك أن أحاديث النبي {صلى الله عليه وسلم} لا يمكن فصلها - بأي حال من الأحوال - عن الحياة، فهي وان كانت نورا يقود الروح الى التزكي، هي كذلك منارة مضيئة لترشيد المسلم سلوكيا وحضاريا، والتضرعات منها على وجه الخصوص، ليست قوالب مركبة للتعبد وكفى، بل - ولتبلغ ذاك المستوى - ضروري إدراك مفاهيمها، ومعطياتها الاعتقادية والتهذيبية والمدنية.. واليكم مثالا واحدا من بحر:

استعاذة من أربعة قواصم:

استجار الرسول {صلى الله عليه وسلم} من مهلكات أربعة، تقصم الظهر، وتخدش العرض، وتفني المال، وتسوّد المآل: لقد تعوذ رسول الله من غلبتين، ومن فتنتين. قال {صلى الله عليه وسلم} (اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين، وغلبة العدو، ومن بوار الأيِّم، ومن فتنة المسيح الدجال)[٢].

أ) غلبة الدين: لئن تواضع الناس على أن الدين هو الإقراض أو الإسلاف الى أجل معين، فإن حقيقته تشير الى شمولية أوسع:



بقلم : **مصطفى بو هلال** – تونس

- جانب مادي: مال، ثياب، منقولات طعام..

- جانب معنوي: الوعد (وعد الحرّ دين)، رد التحية، الاعتراف بالجميل، وقضاء الفرائض الفائتة.. وكما أخرج البخاري فإن امرأة جاءت الى النبي {صلى الله عليه وسلم} تستفتيه أتحج عن أمها التي نذرت الحج لكنها ماتت، قال: (أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله ، فالله أحق بالوفاء)[٣].

أما عن ظاهرة التداين - محور هذا الدعاء - كممارسة اقتصادية، فيقرّها الشرع لأنها من أكبر لوازم تيسير رواج المعاملات والإنشاءات التنموية، فذو الخبرة على تنمية الأموال وتوفير الإنتاج، أو صاحب المواد الخام، التي لا يقدر بإمكانياته المالية المحدودة على تصنيعها أو استثمارها، قد يشتد افتقارهما الى رأسمال كاف - والمال قوام الأعمال - لذا فالاضطرار الى الانتفاع بالمواهب عن طريق التداين، ونفع المجتمع بها صناعياً أو فلاحيا أو تجاريا سلوك مشروع بحد ذاته، ولقد أفادت آية الدين من سورة البقرة تشريعا آخر هو التوثق للدين بالكتابة والإشهاد. قال الله تبارك وتعالى: **{يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه، وليكتب بينكم كاتب بالعدل، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علّمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا}** (الآية/ ٢٨٢).

وما غلبة الدين؟

إسهاما في محاولة للإجابة أطرح تساؤلا: لماذا الخوف - والخوف الشديد - من غلبة الدين التي استعاذ منها النبي {صلى الله عليه وسلم}؟.

أ - في الخوف محاذرة كبيرة وحرص شديد وتنبيه الى حتمية الوفاء - كل الوفاء وان في أشد الأحوال ضيقا - بالالتزامات المالية ومراعاة حقوق الغير.

ب - كبح جماح الشهوات التي لاتحدّ، كي لا يتساهل المرء في الاقتراض للحصول على أشياء هي من الكماليات الاستهلاكية.

ج - مع الغلبة تحصل أضرار ومآس: فقدان الثقة.. نشوب خصومات. إثارة بلبلة.. وجنوح الى التدليس والكذب والاستيلاء على أموال الغير أحيانا. أخبرت عائشة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كان يدعو في الصلاة ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم» فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ يارسول الله من المغرم؟ قال إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف[٤]».

د - إن لم يقع التحرز منها بعد معرفة خطورتها ومغبة نهاياتها، قد يعتاد أحدهم على حث الخطى والفكر نحو التحايل مكرا وغدرا، ولذا سبق القرآن الكريم الى الإيحاء بالإشهاد أو كتابة عقود تداين، وجاء الإنذار النبوي من هاته الغلبة قويا، ومفاده: (أيما رجل استدان دينا لا يريد أن يؤدي الى صاحبه حقه - خدعه حتى أخذ ماله - فمات ولم يؤد دينه لقي الله وهو سارق) - رواه الطبراني - .

ولذا ، كما ورد بحديث آخر، لا عذر لمن غلبه الدين إلا لداعي الاضطرار الملح من أجل أزمة خانقة يقول رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «إن الدين يقتص من صاحبه يوم القيامة إذا مات إلا من تداين في ثلاث خلال: الرجل تضعف قوته في سبيل الله فيستدين

* الدعاء هو العبادة.

* الدعاء تأمين روحي ومادي للمسلم.

يتقوى به على عدو الله وعـــدوه، ورجل يموت عنده مسلم لا يجد ما يكفنه ويواريه إلا بدين، ورجل خاف على نفسه العزبة فينكح خشية على دينه فـــإن الله يقـــضي من هؤلاء يوم القيامة» - رواه ابن ماجة - .

هـ - في انسياق المتداين الى التداين بلا حدود ودون موازنة بين مستوى دخله وحجم الدين: وقوع مشين في السّفه والمادية على حساب القيم والاتزان والقناعة..!

ولما سبق - ولأعذار لاحقة هنا - تعددت صيغ استعاذة رسول الله [صلى الله عليه وسلم] من غلبة الدين، فقد أورد - مثلا - النسائي والحاكم وأحمد والطبراني تضرع الرسول [صلى الله عليه وسلم]: «اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين، وغلبة العدو، وشماتة الأعداء».

والآن: ما غلبة الدين؟

إصابة الغلبة:

غلبة الدين تصيب الدائن والمدين، ومن منكرات الأخلاق التي قد تَعْلق بالدّائن: البطر والأنانية المفرطة، والتسلط الخبيث، والانتهازية الغادرة لتنفيذ هواجس شيطانية تمس من كرامة المدين وشرفه، وهاته نوافذ جهنمية منها يهب شر مستطير سرعان ما يعصف بصرح الأخوة، ولتعديل الموقف حثت الشريعة على إنظار المعسر والتجاوز في الاقتضاء. قال [صلى الله عليه وسلم]: «تلقت الملائكة روح رجل ممن قبلكم، فقالوا: عملت من الخير شيئا؟ فقال: لا. قالوا: تذكر قال: كنت أداين الناس فآمر فتياني أن ينظروا المعسر، ويتجاوزوا عن الموسر. قال: قال الله تجاوزوا عنه»[٥].

وتتكامل أجزاء البشرى - يوم الجزاء - لمثل هذا المداين، على النحو الذي بهذا الحديث الذي أخرجه مسلم وأحمد عن أبي قتادة: «من نفّس عن غريمه، أو محا عنه، كان في ظل العرش يوم القيامة».

ذلك لأن الإعسار من أكرب كرب الدنيا، لذا اعتبر الإمهال والتفريج بالتمديد في أجل الدفع أو بتأخير المطالبة عند وجود العذر - أو بالإبراء من الدين: من أفضل الفضل وأحسن الإحسان.

ومن أدواء غلبة الدين التي قد يصاب بها المدين: المماطلة، أي منع قضاء ما استحق أداؤه مع القدرة، وعُدّ هذا من الظلم، إذ قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم] «مطل الغنيّ ظلم»[٦].

كيف تحصل الغلبة؟ :

تتجمع أسباب الغلبة بكيفيتين، أو - إن شئت - في مرحلتين:

أ - قبل التّداين: حيث تحصل مصارعة بين النفس والشيء - موضوع الدين - تنتهي في أسوأ الأحوال بسقوط النفس تحت سيطرة هذا الشيء المرغوب في امتلاكه بإفراط، أو تحت ضغوطات الاستنكاف والضلال، بمعنى سقطت النفس في مهواة (لزوم ما لا يلزم) فإما أن تتكالب على التداين دون اعتبار لميزان الدخل والربح والصرف، وإما أن تتكاسل عن أداء الحقوق والفرائض.

ورغم الترحيب بالتيسير التجاري الذي لا تنكر فوائده - في عصرنا - فإن تسارع الحث على التداين

بما يسمى: «التسهيلات في الدفع» أو «الشراء بالأقساط» وإن كان يخفف من وطأة ذاك الصراع المشار إليه، لا مفر من الاعتراف بأنه يزيد في معضلة (التضخم) ويفتح الباب عريضا أمام شركات التأمين الربوية والبنوك!!.

ب - زمنَ وأجلَ التداين: قد تحدث ظروف صعبة ومفاجآت قاسية تمنع من الأداء في الإبّان، وهذا وإن عُدّ عذرا قاهرا فإنه يجلب حيرة مُرّة وانشغالا مُمضًا عند ذوي النفوس الكبيرة. غير أنه قد تلتهب بنفوس أخرى وسوسة بالتسويف وتغافل متعمد عن جدولة الديون.. وهذا أفدح الشرور.

وعليه، فالاستعاذة النبوية من غلبة الدين تحوي الكيفيتين: التلهف أو الركون العشوائي الى الاستدانة وهذا تصاحبه مرارة وارتماء نحو التعامل الربوي المقيت! وأيضا التقاصر والقصور عن القضاء مما يسبب حرجا وتململا مريرين.. وجميع ذلك غرم ثقيل تمقته كل ذات حرّة أبيّة، وفي الاستعاذة إشعار دائم، بخطورة التوجه والالتجاء السريع الى الاقتراض، فهو وإن كان ضرورة أحيانا فهو فتنة مخيفة، وامتحان عسير، وسلاح ذو حدين.

وتمر بأذهاننا أصداء تلك الضجة التي قامت في عام ١٩٨٦م ببريطانيا حول مشكلة نعتوها (عظمى) وهي (ديون الأفراد) التي كان معظمها غير قابل للخلاص عاجلا وآجلا على أن أسباب نتوئها عديدة، وأظهرها تساهل المستهلكين أكثر من قدراتهم المالية، وتيسيرات المصارف ومحلات البيع بكيفيات مفرطة.

والحق - كما قيل في هاته الظاهرة - (أن مشكلة بهذا الحجم لا يحلها القانون، فلو قرر كل دائن - من المؤسسات - له دين على أفراد قلّوا أو كثروا أن يرفع دعوى ضدهم لدخل نصف الشعب البريطاني في السجن)[٧]. ويبقى الحل الوقائي والمصل العلاجي، بين تشاريع الإسلام وآدابه.

شمولية الدائن والمدين للجماعات:

الدائن والمستدين قد يكونان فردين أو مؤسسة وفرداً ودولة.. ولقد انتقل الحوار - في الوقت الحاضر - من ديون الأفراد الى ديون الدول، ولا يصح استبعاد أي من الفرعين من نقاشنا هذا، ذلك أنه (تزايدت المديونية الخارجية للدول النامية.. حتى غدت - في وقتنا الحاضر - تشكل احجاما كبيرة جدا، وباتت من الظواهر المقلقة التي تستقطب اهتمام المجتمع الدولي، بسبب عجز عدد من الدول المقترضة عن تسديد الفوائد والأقساط المستحقة في أوقاتها، واضطرارها الى «جدولة الديون» واللجوء الى المزيد من القروض الخارجية الجديدة لتسديد التزامات الديون القديمة، واستخدام القروض في نفقات غير انتاجية، أو في مشاريع اقتصادية قليلة الجدوى، وزيادة حدة العجز في موازين المدفوعات، نتيجة قصور السياسات المالية والنقدية الحكيمة، أو غيابها في بعض تلك الدول)[٨]، وكما قيل :

إذا قضيت الدين بالدين لم يكن
قضاء ولكن ذاك غرم على غرم

هذا وقد استدان الرسول {صلى الله عليه وسلم} لتأمين الغذاء لجماعة مسلمة أصابها القحط عام اسلامها من الحبر اليهودي الثري[٩]: زيد بن سعنة، ولئن اعتصم {صلى الله عليه وسلم} بالله تعالى فلم يصب بغلبة هذا الدين، حيث اتخذ الأسباب الكفيلة بالأداء الحسن في الموعد المضروب، وحيث بقي على حلمه الواسع، رغم تزايد جهل ذاك الحبر المتطاول

قريبا من موعد الاقتضاء، تخطيطا منه بدينه لجلب محنة وغلبة بفعل ما كان يمهد له من كيد وإيقاع قبل اسلامه..!

إن الاستعاذة النبوية من غلبة الدين لإفاقة عظمى وتوعية كبرى من إمكان التورط في أخطار جمة، وأشدها خطورة: استحلال المرابة بتعميق اقرارها في كل مجالات التعامل الاقتصادي، والتبعية المقيتة سواء في ميدان السياسات الثقافية أو العسكرية أو الإعلامية والتعليمية.. وما أشنع غلبة الديون الخارجية على كثير من بلاد المسلمين، وما أفدح هاتيكم الهيمنة النقدية!.

و(إن نهب واستغلال الشمال لموارد الجنوب لم يتوقف مطلقا منذ بدأ الغزو الاستعماري قبل ٤٠٠ سنة فاستنزاف ثروات الجنوب مازال قائما ومستمرا بأشكال متنوعة واضحة أحيانا ومتسترة أحيانا أخرى، وما اغراق الجنوب بالديون الخارجية سوى شكل واحد من أشكال الاستغلال الاستعماري، بيد أنه حتما ليس بالشكل الوحيد، فبالإضافة الى آليات الديون التي تحولت مؤخرا الى احدى أهم القضايا الدولية المعاصرة، فإنه..)[١٠] قد سرت سموم هاته الغلبة - وهي فتاكة أعنف ما يكون الفتك - الى التحكم في مسيرة دعوة الإسلام نفسها، فشرط (الغالبون) - ضمنيا أو علنا - خنق حركة بث الوعي الإسلامي ووأد الصحوة، واطلاق مسيرة علمنة مناهج التعليم، وتغريب أساليب التربية وشؤون المعاملة والتواصل.. ومن هنا بدت حتمية التعاون الداخلي العاجل: (مسلمون - مسلمون) وبأوطان المسلمين خير وفير، وكنوز بكر..!!

بهذا أشاد أهل الاطلاع والمران .. بل لقد توالى الإبلاغ حد القرع واطلاق صرخة الفزع، ولا من مستفيق! ألا (إن الأزمة الراهنة للديون الخارجية قد انطوت على درس بالغ الأهمية لدور العالم الثالث، وهو أنه يستحيل تحقيق التحرر الاقتصادي وبناء التنمية المستقلة ورفع مستوى المعيشة من خلال تزايد التبعية للخارج، وأن عبودية الدين شأنها تماما شأن عبودية الاستعمار، كلاهما يفقد البلد حريته وسيطرته على موارده وعلى مستقبله، وهو درس بالغ الأهمية والدلالة حقا..)[١١].

ذلك أن خطورة الاقتراض الخارجي تزداد حدتها كلما وصلت الديون الى مستويات مرتفعة وتراكمت الأعباء بكيفية تعجز معها الموارد الوطنية على خدمة هاته الديون بدفع الفوائد المترتبة والأقساط؛ وتردي الوضع (سيفتح للدول والمؤسسات المالية الأجنبية حق التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان المدينة وفرض ما تراه مناسبا، اقتصاديا كان ذلك أم سياسيا، وستزداد احتمالية ذلك، وبخاصة إذا فشلت البلدان النامية في محاصرة نمو ديونها الخارجية ومنع تزايدها)[١٢].

ولا يغيب عنّا وجه آخر لغلبة الاقتراض الخارجي، فكثيرا ما يسجل (عدم قدرة البلد المقترض على استخدام قروضه بفعالية وكفاءة عالية، فالدول المقرضة عند بيعها للسلع والمعدات وقطع الغيار والصيانة قد تفرض أسعارا أعلى مما هي عليه في الأسواق العالمية المنافسة إضافة الى أن نوعية السلع المباعة قد تكون رديئة وذات انتاجية ضعيفة)[١٣].

الى هنا بات من المهم الحذر من التقحم والاندفاع نحو (التداين) وصحيح أن معاناة القصور في الموارد والمدخرات المحلية تدفع الى الاقتراض وتسوغه لتغطية هذا القصور قصد انجاز أهداف طموحة لزيادة معدلات نمو اقتصادي مرموق، غير أن هذا التوجه ينبغي ترشيده اعتمادا على الموارد الذاتية[١٤]، والتكامل الاقتصادي الإسلامي[١٥]، واجمالا يبقى

نصح الخبراء قائما، ألا وهو: (إعادة النظر في سياسة الاقتراض الخارجي)[١٦].

وأختم بمشهد مأسوي حدث أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر يمثل منحدر الاقتراض الوبيء: (في الشهر رجب ١٢٨٤هـ/ نوفمبر ١٨٦٧م) تعينت كواهي لخلاص الأعشار القديمة والجباية الجديدة، والحال أن الناس يموتون في الطرقات والفيافي بالجوع، وتفرقت العربان من قبائلهم أيدي سبأ، في ابتغاء سد الرمق، وتعذر على المأمورين الخلاص، وجاء بعضهم الى الباي.. شاكيا من تعذر الخلاص وقال له: «لم أجد قوتا لنفسي ولا علفا لدابتي» فانتهره واغتاظ، وقال له: «من يأتيني شاكيا بتعذر الخلاص نُضيّعه عند باب باردو» كناية عن قطع رأسه، ثم قال للوزير بأعلى صوت ليسمع الحاضرين من العمال: «أنا حكمت بالغصب على الخلاص، وعلى الخديم الاجتهاد في تنفيذ الأمر، وهؤلاء رعيتي، وهل ثم أحد يسألني في رعيتي؟».

.. ومع هذه الشدة في طلب المحال، رجع المتعينون بخفيّ حنين. وفي رمضان السنة ١٢٨٤ (ديسمبر - يناير ٦٨/ ١٨٦٧م) أتى الباي لدار القصبة على العادة، وغص محله بالإفرنج في كل يوم، وهم الغرماء والسماسرة، ويموت من الفقراء بالجوع والبرد في كل يوم أكثر من مائة نفس، ولم تكف النعوش لحملهم (ذا بالعاصمة فقط!) فصاروا يحملونهم على ظهور الحمالين، ويحملون الثلاثة في نعش واحد كل ذلك بمرأى منه ومسمع، ولم يظهر في وجهه تأثر، كأن هؤلاء الموتى من أعدائه لا من رعيته التي «لا يسأله فيها أحد».

وفي السادس عشر من شوال السنة ١٢٨٤ (الاثنين ١٠ فبراير ١٨٧٨م) بعث رجل الجريد وعامله قدر الثلاثمائة ألف ريال، في خفارة أولاد رضوان من الهمامة، وبعث الباي للتعرض لها نحو خمسين فارسا من المخازنة، خشية الأيدي الفارغة من جياع العربان.

ولما وصلت تفرقت في ربا أموال القرض[١٧].

*** الدعاء الخالص تحقيق لعبودية العبد.**

*** الدَّيْنُ في كل توجهاته وصنوفه، هَمٌّ وإذلال.**

٢ - وغلبة العدو :

استعاذة معطوفة، وكأن غلبة الدين وغلبة العدو من بعض، لما تجرّه الأولى من عداوات وحزازات وشماتة ونكال، وكأنهما من جهة المقارنة سواسية!! وتعني غلبة العدو قهره وتسلطه وتوجيهه المنحرف ومراودته الثقيلة، وحقده الحارق، وتحكمه المضر بالقيم والمثل العليا وتعديه الفاجر على العرض والنفس والمال.. وفي هذا أفدح التضيق على الحرية الإنسانية والكرامة والعزة إذ هو احتقار وتلويث واسترقاق من أخبث ألوان الحسد والأنانية والعبودية.

وما العدو؟ أعداء وأعداء هو العدو:

أ - النفس الأمارة بالسوء، هي عدو بين جنبيك. قال الله تعالى على لسان يوسف: {وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي} (سورة يوسف/ ٥٣).

ب - الشيطان وحزبه من عصاة ولصوص، وحسدة

وجلساء السوء ومنافقين ووشاة وكائدين.. قال تعالى: {قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس، من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس}.

ج ـ العدو من الأهل: زوجة أو ولد.. يقول الله جل جلاله {**يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم**} (سورة التغابن/ ١٤).

إن من أهل القرابة أقرباء يغرون بما يضر ويهدم المصلحة الحق، ويخدش التهذيب والصلاح، ويطيح بالاستقامة، فبفعل وشائج القربى والود يعظم تأثيرهم، فإن جانب الاعتدال والتقوى حلّت آثار العداوة، وإن لم تكن العداوة ظاهرة ولا بيّنة، ومن ثمة يعظم الخطر إن لم يتيقظ المؤمن فيحذر من الانقياد الأعشى، والانسياق العاطفي كل الانسياق لهتك الأستار واقتراف المحرمات.

د ـ أعداء دين الله تعالى، من منافقين وملاحدة، في دار الإسلام وفي أوكار الكفر، وما أشأم رؤوس الردة اليوم بيننا في كل مجال ومكان يتحينون الفرص وينسجون المكائد ضد التحرك الإسلامي، ويتصدون لكل داعية حق، ويضمرون العداء الخفي المشحون بالمكر والخداع وتزييف الحقائق. إن غلبة العدو لاستعمار مقيت مباشر وغير مباشر، إنها لاقتداء ذيلي، وتبعية زنيمة، جوهرهما مسخ ذليل وانسلاخ حقير، وانبطاح فاسق، لما أن (المغلوبين) اعتزوا بغير الله، وشرفوا بمن يحاربون الله تبارك وتعالى ورسوله {صلى الله عليه وسلم}، إذن فقد ذلوا، وتقطعت بينهم الأسباب، أسباب القوة والتوحد والتعارف والاعتصام بحبل الشديد القوي!.

لقد استعاذ الرسول {صلى الله عليه وسلم} من غلبة العدو، أي ومن أسباب الوقوع فيها أولا، وفي هذا إفاقة للمسلمين ـ حار الإفاقة ـ حتى يحتاطوا، ويتأهبوا، وينتبهوا، ويتقووا من السقوط في المهاوي الجالبة للتغلب عليهم وابتلاعهم، وإلا انضافت لسعير السقوط المخزي مرارة الشماتة الحنظل..!

٢ ـ ومن بوار الأيم :

الأيّم ـ والجمع الأيامى ـ هي من لا زوج لها بكرا كانت أم ثيبا، وبعض أئمة اللغة يجعل الأيم لفظا مشتركا للمرأة والرجل، لكنه بالأنثى ألصق. أما بوارها فأن لا يرغب فيها أحد للاقتران فتعنس.

قضية البوارهي قضية اجتماعية إنسانية، معالجتها من المسائل الجوهرية الداعمة للأمان والسلامة. ولقد عالجها القرآن العظيم في أزيد من موضع، من ذلك قول الله عز وجل: {**وانكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله، والله واسع عليم**} (سورة النور/ ٣٢).

إن تحقق الصلاح لا يحمل أحدا على إهمال التزوج والتزويج، ففي الزواج الأمان من اقتراف الفاحشة، وعليه فالتزويج رحمة بهم وشفقة، وتحصين من مشقة العنوسة الآتية معها بعقد نفسية كاوية.

أسباب البوار :

دوافع المعضلة عديدة ومتشابكة، منها ما هو ذاتي داخلي، ومنها ما هو مدني بيئي، هذا ولا يدخل في استقصائنا تلك الملامح الطبيعية في الخلقة أو الحادثة، مما يعد إعاقة غير قادحة في البشرية إلا من حيث رجاء عدم الابتلاء بها فينا وفي الولد.. واني لمعجل بتجميع أبرز الأسباب:

أ ـ التنشئة على غير المنهج السليم إسلاميا، وعلى

غير الآداب والإرشادات المحمدية، بدواعي التمغرب والتمدين المبالغ فيهما على حساب الأصالة، أو بنازع الحرية الإباحية والمساواة المشبوه فيها، والتي هي التسيب والتحريض على التحام المخالطة بين الجنسين.. ومثل هذا لن يخلف غير الانحلال البغيض والفحش البذيء والاستقالة من القيام بمهام الزوجية فتلقى هنا امرأة ترجلت، وهناك رجل تأنث، أي لن تجد الرباط المقدس إلا متهرئا واهيا مسموما بل قل لن تجده إلا ممزقا إربا إربا، وبذلك تتضخم قائمة العنوسة في هالة قاتمة من المشكلات المزعومة لكيان الجماعة.

وهاته إشارة دالة من صحيفة شغلتها المعضلة المتفاقمة:

(لقد بدأت مشكلة العنوسة في ... كما في بقية العالم العربي شيئا فشيئا في السنوات العشرين الماضية تتفاقم، ولعل أكثرها انتشارا هي عنوسة صاحبات الشهادات، وهناك عديد الأسباب لتفشي هذه الظاهرة، التي تهدد كيان المجتمع، منها ما يعود الى الجامعيات أنفسهن، ومنها ما يتعلق بعقلية الرجل التي ما تزال تقليدية، إضافة الى عوامل أخرى اجتماعية تساهم في تعقيد هذه المشكلة.. (صرح صيدليّ مستجوب) «فالجامعة تعمل على تسميم أفكار فتياتنا حيث يمارسن حريّاتهن بطريقة سلبية تجعل الرجل يهرب منهن» [و] بعض الفتيات.. يرين أن الزواج هو بمثابة القيد الذي يحرمها من حريتها)[١٨].

ب ـ غلاء المهور الفاحش، وتهافت على المركز السلطوي ـ المادي ـ مع إغفال التدين.

ج ـ غمز ولمز خادشين لأعراض البريئات الغافلات، ونفث شر من الحاسدات الماكرات في العقد، وقذف ماكر يمحو التراكن ويسيء الى السمعة.. وليس في

* كثير من الافراد والشركات والمؤسسات أطاح بها وبأهلها الدَّين.

* كثير من الدول غدت رهينة ديونها.

هذا أدنى مبالغة، لأن ذاك غائص في كل المجتمعات.

د ـ تنطع بعض فتيات اليوم ـ وما أكثرهن ـ من المقيمات أو المهاجرات مع أسرهن للعمل في أوروبا وأمريكا، هن يتصرفن تصرفا انبتاتيا متنكراً لتقاليد العائلة المسلمة والبيئة الأولى، في محاولة فاشلة لاتباع المرأة الأوروبية في الصالح والطالح من مسالك الحياة، والتفكير، فيرمين البوار ـ بهذا ـ على أنفسهن..!

هـ ـ عامل الهجرة، وأخصّ هجرة اليد العاملة الى الغرب: الذكور منهم من يتزوج أجنبية، وهذا على حساب مسلمة!!. أما الفتيات المهاجرات مع الأهل، فمنهن كثيرات يتأيمن بائرات لسبب بقائهن بالخارج، فلا الإسلام يبيح لهن الزواج بغير مسلم، ولا شباب الوطن يعرفهن لعزوفهن عن العودة النهائية، ورفض التأقلم مع العيش في الوطن الأم، ومنهن ـ إزاء هذا ـ من يرتبطن بأجنبي وهاتيكم هي الطامة..!

زد الى هذا أن من الأوطان ما منع قانونها التزوج بثانية..!

ومن الأضرار :

أ ـ جليّ أن البوار مهما كانت مسبباته هو مخالف للسنة، إذ الزوجية من سنن الله تعالى في الخلق والتكوين، قال جل وعلا: **(ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)** (سورة الذاريات/ ٤٩).

لذا فالتبتل كفعل النصارى مناف لسماحة الإسلام، قال [صلى الله عليه وسلم] : (أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس منِّي][١٩].

ب - البوار يعني إبقاء الغريزة ملتهبة حيث لم تجد لها مجالا للتصريف، فيكون الاضطراب والصراع والوسواس القهري والتشاؤم والتطلع إلى الحرام، خصوصا إن نشأ البوار - أو صاحبه - ظلم اجتماعي وإحباط فتحل النقمة ويحلو الانتقام إلا من عصم ربك.!

ج - الحرمان من غريزة الأمومة، وعاطفة العطف والحنان، وهي فضائل تُعلي انسانية الإنسان، وتشعره ببهجة الحياة وتحسسه بمتعة التذوق والإحساس بالوجود، وتكفيه - إن كان مرحوما بها - التحرق الى البنين زينة الحياة الدنيا.

هذا وحين سفلت الحضارة الغربية بالمرأة الى حضيض البوار الذي اختارته لنفسها، افتقدت هاته أثمن ما في الأنوثة وهو الرحمة والمودة والرقة والحنو، غير أنها لم تهتد الى الحق فجعلت لها بديلا لقيطا عن الإنسان الزوج والابن - اتخذت لها الكلاب كأصدقاء

* غلبة العدو استعباد واستغلال.
* الزواج سنة ماضية متبعة .. وتعطيله ضياع للأسرة وهدم للفضيلة.

وأبناء وبنات تؤنسها، فحضنتها أرعى الاحتضان، وأكلتها أحرص المؤاكلة، وأضجعتها معها الفراش الوثير الثمين، وأقامت لها التماثيل في أفخم الساحات.. وليس ببعيد عن الذاكرة، تلكم الخصومة الحامية بين رئيس دولة سابق وزوجته التى أعدت غرفة الزوجية - بعد إقصاء البعل - لاستقبال ما ستلد كلبتها من جراء..! وتتلاحق مشاهد الاندهاش حين تنصر جلسات محكمة القضاء الأمريكية هاتيكم الزوجة الرفيقة والكلبة المحظوظة على رجل البيت إلى أن تنتهي فترة المخاض والنفاس والإرضاع..!

٤ - ومن فتنة المسيح الدجال :

من أشراط الساعة ظهور الفتنة العظمى: يطلع مسيح دجال، يبث مفاسد وضلالا، وله قدرات فائقة بها يؤثر على ضعاف الإيمان وفاقديه فيصدقون ادعاءه الألوهية، ويعم الأرض بلاء كبير وفساد مستطير.

وإذا كان المسلمون مرعوبين من ظهور الدجال وهم أحياء فإن رسولهم [صلى الله عليه وسلم] يضم - في تحذيره - إلى هاته الفتنة فتنا أخرى لا تتقيد بتوقيت أو موضع، لا تقل خطورة عنها.

وللحديث النبوي آفاق رحبة، كان التطلع إليها ليس تعسفا أو تزيّدا أو تطويحا الى امتدادات لا يطيقها النص المدروس هذا، بل العكس هو التضييق من المجال الدلالي والبتر من المقصد الإصلاحي..

فتلكم استعاذة رسولنا الكريم من قوارع مشيبات، أولاها غلبة الدين وأخراها فتنة المسيح الدجال، ولهول غلبة الدين وغلبة العدو وبوار الأيم - لكونها قد تصاحب أجيالا - صدر بها الرسول [صلى الله عليه وسلم] تضرعه، وصدق حين قال من حديث طويل: (.. غير الدجال أخوفني عليكم)[٢٠] وما كانت استعاذته - عليه

الصلاة والسلام - إلا تحذيرا من الاقتراب من شرور الفتن الأربع والارتماء في حمأتها، فهلا أشفق المسلمون على أنفسهم والغلبات تترى عليهم الواحدة تلو الأخرى!. هلا أعان المسلمون رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على أنفسهم والبوار والفتن يتواليان بينهم في ترادف!؟

الهوامش :

(١) أخرجه أحمد وابن ماجة والنسائي والبيهقي والحاكم وغيرهم. انظر فيض القدير للمناوي. ج٣ ص ٥٤.

(٢) أخرجه الدارقطني والطبراني والنسائي. مجلد ٤ ج ٨ ص ٢٦٥ «اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء» كما رواه الترمذي وأحمد والحاكم. وجاء بالنسائي - نفسه - «.. ضلع الدين» وبالبخاري إيضاح ص ١٥٢ بشرح السندي.

(٣) هذا مبحث أبدى فيه المجتهدون أحكاما، ومنهم الإمام مالك الذي قال: (إنما يحج عنه إذا أوصى) وإذن تكون الوصية بالحج دين في ذمة الموصى إليه.. انظر - مثلا - فقه السنة مجلد ١ ص ٦٣٦ وقد نسبه للبخاري، وهو بالدارمي مجلد ٢ ص ٢٤ وص ١٨٣ والنسائي مجلد ٣ ج ٥ ص ١١٦ وفي ص ١١٨: (.. فدين الله أحق).

(٤) صحيح البخاري بشرح السندي مجلد ٢ ص ٥٧ والمغرم: الغرم = الدين. والغريم: الذي عليه الدين.

(٥) الدارمي ج٢ ص ٢٤٩ وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٢٢٤.

(٦) الموطأ وابن ماجة والنسائي والبيهقي وأبو نعيم ومسلم والبخاري. وبقيته: (فإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع).

(٧) أوراق صيف. د/ محمد الرميحي - مجلة العربي ع ٣٦٩ آب عام ١٩٨٩م ص ١٠.

(٨) الاقتراض الخارجي: أزمة المديونية في العالم الثالث. د/ نعوم ابراهيم عبود، مجلة العربي ع ٣٤٦ ص ٣١ سبتمبر ١٩٨٧م وانظر: التبعية الاقتصادية: مأزق الاستدانة في العالم الثالث من المنظور التاريخي - جورج كرم، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٢م.

(٩) عد الى الطبراني وابن ماجة والنسائي والبيهقي وابن حبان والحاكم.. وانظر مجلة الوعي الإسلامي ع ٢٧٧ ص ٨٢ د/ محمود محمد عمارة.

(١٠) العالم المعاصر والصراعات الدولية - د/عبد الخالق عبد الله. سلسلة عالم المعرفة ١٣٣ عام ١٩٨٩م ص ١٩٣.

(١١) إلغاء ديون العالم الثالث أو الكارثة د/ رمزي زكي مجلة العربي ٣٦٣ ص ٢٢ فبراير ١٩٨٩م وانظر له أيضا بالعربي ٣٧٢ نوفمبر ١٩٨٩م ص ٢٣: إلغاء ديون العالم الثالث: ضرورة وليس اختيارا. وانظر كتابه: أزمة الديون الخارجية: رؤية من العالم الثالث. القاهرة ١٩٧٨م.

(١٢) الاقتصاد الأردني وأعباء الديون الخارجية - رياض المومني - مجلة المستقبل العربي ع ١٢٤ في ٦/١٩٨٩م ص ٧٦.

(١٣) نفسه ص ٨٢.

(١٤) يعرض رياض المومني لائحة توصيات في هذا الخصوص ببحثه أعلاه فعد إليه.

(١٥) انظر: أثر المديونية الخارجية على التنمية في البلاد العربية. منير حمانة - مجلة الوحدة الاقتصادية العربية س ٢ ع ٣ يولية ١٩٨٦م ص ١٧ و التبعية الاقتصادية: مأزق الاستدانة في العالم الثالث من المنظور التاريخي / جورج كرم.

(١٦) الاقتصاد الأردني.. ص ٩٤.

(١٧) إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ج ٦ ص ١٠٦ - أحمد بن أبي الضياف. ط ١ - الدار التونسية للنشر.

(١٨) صحيفة الصدى - الثلاثاء ٩٠/٣/٦ ص ١٦ تحقيق الصحفية آمال بن رجب.

(١٩) صحيح البخاري بشرح السندي - مجلد ٣ ص ٢٣٧ ومسلم نكاح ٥ وأبو داود: تطوع، صوم، والدارمي: صوم، نكاح.

(٢٠) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ٦٤، دار احياء التراث العربي بيروت.

رسول الرحمة

أتيتَ الى الأكوان والليلُ جاثمُ
فأشرقت في الأيام وهي مآتمُ

وحلّتْ على الأقوام أسمى هداية
لتشرق جناتٌ وتزهو ملاحمُ

ويعلُو زمامُ الحق في كلِّ موكب
وتُهْدى جموعُ العرب ، بل والأعاجمُ

فإنك (آي الله) تسمُو بخلقه
ولولاك ما كانت لهم تي العظائمُ

لك الآن معنى فوق كل بلاغة
تخرُّ إليه بالخشوع المعاجمُ

فأيُّ لسان قد يوافى رسولنا
مقاماً ، وكلُّ الشعر قزمٌ وظالمُ؟!

فلو كان وصفُك يكفى قصيدة
فأيَّان للكتاب شعراً يُلائمُ

أتيت بآي الله تحكى فصاحة
محالٌ توافينا سواها القماقمُ

محالٌ !! أللفرقان مثلٌ بذى الدُّنا؟
أتطوى شموس الحق يوماً مزاعمُ؟

سلمت رسول الله تاجاً لعزنا
فمنذُ ابتنيت الحق شدَّت معاصمُ

لتعلو بآي الله في كل مربع
وتسمُو الى العليا . جموعٌ صلادمُ

محمد حمدان محمد السيد – مصر

فمن يَردُ الورد العليَّ لهُ العلا
وإن وقفت دون الورود الضراغم

مشيت بدرب الحقِّ للناس مرشدا
وتحت الخُطا كمْ تُستمدُّ الملاحمُ

وأوصيتَ كلَّ الناس براً ببعضهم
ليسرى بكلِّ الأرض دوماً تراحمُ

وشاع بمُلك الله نورٌ ورحمةٌ
وعدلٌ وقسْطاسٌ لتزهو العوالمُ

وقلتَ اطلبُوا العلم الذي زان أهلهُ
وصُونوا عُلا الأخلاق ينحى اللوائمُ

عهدناك بالمعروف والخير آمراً
ونورٌ على نور إليك يزاحمُ

فأنت الذى أوصاهُ بالحقِّ ربُّنا
جلياً وعاهدناك فيه نداومُ

فنحنُ اتَّبعنا الحقَّ في كلّ خطوة
سلكتَ ، لتعلو في الدروب العزائمُ

ووحدتَ في اللأواء والسلم جمعنا
وأولى بجند الله أن يتلازموا

لمن يبتغى حرباً حشدنا صفوفنا
ومن يبتغى سلماً ترانا نُسالمُ

فعذراً رسول الله. هذا مقامكم
جليلٌ وشعرى قاصرٌ بل.. وظالمُ

وأنتَ بآفاق المعالي مُشيّدٌ
وجوداً به نزهو وتزهو العوالمُ

الشعر في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم

معروف أن قريشاً عادت الله، ورسوله حين بُعث مما اضطره الى الهجرة من مكة الى المدينة، وسرعان ما نشبت بين البلدين معركة حامية الوطيس، تقف فيها قريش ومن يعينها من العرب في جانب، ويقف الرسول {صلى الله عليه وسلم} ومن هاجروا معه من مكة ومن التفوا حوله في المدينة في جانب آخر. وبمجرد أن اشتكبت السيوف أخذ الشعراء في الجانبين المتناقضين يسلون ألسنتهم، ولم تكن مكة في الجاهلية تعرف بشعر إلا بعض مقطوعات تنسب لورقة بن نوفل وغيره من المتحنفين ومقطوعات أخرى تنسب لبعض فتيانها مثل بُنيه ومسافر اللذين ترجم لهما أبو الفرج في أغانيه.

فلما نشبت الحرب بينها وبين الرسول {صلى الله عليه وسلم} لمعت فيها أسماء شعراء كثيرين مثل أبي سفيان بن الحارث وعبد الله بن الزبعري وضرار بن الخطاب الفهري وأبي عزة الجمحي.. وقد أخذوا يسددون سهام أشعارهم الى الرسول {صلى الله عليه وسلم} وأصحابه من المهاجرين وأنصاره من المدينة. وعزّ ذلك عليه لا لأنهم كانوا يهجونه فحسب، بل أيضاً لأنهم كانوا يصدون عن سبيل الله، فقال للأنصار «ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان بن ثابت: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه، وقال: والله ما يسرني به مِقْولُ بين بصرى وصنعاء[١] وانضم إليه كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، فاحتدم الهجاء بينهم وبين شعراء مكة.

ويثبت ابن سلام لأبي سفيان بن الحارث قصيدة كافية ناقض بها في يوم أحد كافية، كان قد نظمها حسان بعد وقعة بدر[٢]، وقد أثبت لابن الزبعري قصيدته التي قالها في نفس اليوم[٣] والتي يقول فيها:

ليت أشياخي ببدر شهدوا
ضجر الخزرج من وقع الأسل[٤]
حين ألقت بقباء بركها
واستحرَّ القتلُ في عبد الأشل[٥]

وأيضاً فإنه أثبت لأبي عزّة ميمية يحرّض فيها بني كنانة[٦]، وقال عن هبيرة بن أبي وهب: إنه كان

اعداد : **طه عبدالرحمن**
- مصــــر -

شديد العداوة لله ولرسوله، وهو الذي يقول في يوم أحد[٧]:

قــــنا كنانة من أكناف ذي يمن
عرض البلاد على ما كان يزجيها[٨]

وكان في الطرف المقابل حسان وكعب وابن رواحة، وحسان أشعر الثلاثة، يقول ابن سلام: «وهو كثير الشعر جيده»، ويقال إن أول ما جرى به لسانه حين سلَّه على قريش هذه الأبيات يتحدى بها أبا سفيان بن الحارث[٩]

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه
وعند الله في ذاك الجزاء
فإن أبي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء
أتهجوه ولست له بكفء
فشركما لخيركما الفداء

ويقول ابن سلام: «وكعب شاعر مجيد، قال يوم أحد في كلمة:

فجئنا إلى موج من البحر ووسطه
أحابيش منهم حاسر ومقنع[١٠]
ثلاثةُ آلاف ونحن نصيَّة
ثلاث مئين إن كثرنا وأربع[١١]

ووقف ابن سلام عند ابن رواحة وتحدث عن حسن إسلامه وأنه كان أحد الأمراء الثلاثة الذين قتلوا يوم مؤته وأثبت له من هجائه لقريش قوله[١٢]:

نجالد الناس عن عرض فنأسرهم
فينا النبي وفينا تنزل السور
وقد علمتم بأنّا ليس غالبنا
حيٌّ من الناس إن عزوا وإن كثروا
يا هاشم الخير إن الله فضلكم
على البرية فضلا ما له غيَرُ.

وفي الأغاني أن حساناً وكعباً «كانا يعارضان شعراء قريش بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر، فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب وأهون القول عليهم قول ابن رواحة، فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة[١٣].

ومن المؤكد أن حساناً وكعباً كانا يرميان قريشاً عن بصيرة حين غلبت على هجائها صورة الهجاء القديمة، لأنها هي التي كانت تؤذي نفوس القرشيين المكيّين ولو أنهما رمياهم بالشرك وعبادة الأوثان لما نالا منهم، إذ كانت تلك عقيدتهم وكانوا يعتزون بها،

ومن ثم اتجه حسان وكعب هذه الوجهة، فطعنا في الأحساب والأنساب، وعيَّرا سادتهم وفرسانهم بالفرار من الحرب وتوعداهم بالبلاء المستطير. وطبيعي لذلك أن لا نجد عندهما تأثراً واضحاً بمثالية القرآن الكريم في ذم المشركين، إذ نراه خالياً من الشتم والسباب والطعن في الأعراض والأحساب، وأيضاً فإنه لا يتوعد المشركين بحرب مبيدة تأتي على الشيب والشبان، إنما يتوعدهم بالنار، ومع ذلك يفتح الأبواب واسعة لرحمة الله وغفرانه وتوبته علي المشركين الذين يثوبون إلى عقولهم ويدخلون في دينه الحنيف.

وكان يشرك شعراء قريش في التأليب على رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وأنصاره وأصحابه نفر من شعراء اليهود نكثوا ما عاهدوه من الموارعة وحقوق الجوار[١٤] وأخذوا يهجونه هو والمسلمين ويخذلون عنه قريشاً والعرب، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. وكان من رءوسهم في هذا الفساد كعب بن الأشرف[١٥]، وقد بلغ من سوء فعله أن كان يُشبِّبُ بنساء الرسول ونساء المسلمين، مما جعل محمد بن مسلمة يقتله في رهط من الأنصار[١٦]. غير أن اليهود لم يرتدعوا وأخذوا يعملون سراً وجهراً على تقويض الدعوة المحمدية، فاضطر الرسول {صلى الله عليه وسلم} إلى إجلائهم عن المدينة حتى إذا انتهينا الى خلافة عمر رأيناه ببصيرته النافذة يأمر بإجلائهم عن الجزيرة العربية.

وكان كثير من شعراء العرب يقفون مع قريش باكين قتلاهم ومحرضين لها على كفاحها ضد الرسول مثل أمية بن أبي الصلت، ورثاؤه لقتلى بدر مشهور[١٧]، ومثل الأسود بن يعفر الذي أشاد بانتصارها في يوم أحد[١٨]، وقد ماتا في أثناء هذا الصراع. وكان يقف هذا الموقف نفر من شعراء القبائل التي لم تدخل في الاسلام. وكان يرد عليهم جميعا شعراء المدينة متوعدين مهددين على شاكله قول كعب بن مالك يهدد ثقيفاً بعد انتصار الرسول {صلى الله عليه وسلم} على يهود خيبر.

قضينا من تهامة كل وتر

وخيبر ثم أحجمنا السيوفا

نخيرهما ولو نطقت لقالت

قواطعهن: روساً أو ثقيفا

وتفتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، ولكن تظل للصراع بقية في شعراء هُذيل، على نحو ما يمثلهم أبو خراش الهذلي في بكائه لدبية حين قتله خالد بن الوليد[١٩].

وكان كثير من الشعراء المسلمين يمتدح الرسول {صلى الله عليه وسلم} وهديه الكريم، يتقدمهم في ذلك شعراء المدينة وتنسب الي الأعشى قصيدة في مديحه[٢٠] لا شك أنها منحولة، وتنسب لأبي طالب قصيدة مدحه بها يقول فيها:

وأبيض يستسقى الغمامُ بوجهه
ربيعُ اليتامى عصمة للأرامل

ونُظمَ كثير من المراثي في قتلى المسلمين والمشركين، ورثاء قتيلة لأبيها النضر بن الحارث ذائع مشهور، ولما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى بكاه الشعراء بكاء حاراً، ومن أرق ما رُثي به قصيدة حسان بقوله[٢١]:

ما بالُ عيني لا تنام كأنما
كحلت مآقيها بكحل الأرمد

ومما سبق يتضح لنا أن الشعر في حياة الرسول {صلى الله عليه وسلم} كان يجرى على كل لسان، ويكفي أن نرجع الى سيرة ابن هشام فسنرى سيولة تتدفق من كل جانب، وحقاً فيها شعر موضوع كثير، ولكن حينما يُصفى وحين نقابل عليه ما ارتضاه ابن سلام وغيره من الرواة الموثوق بهم تجدنا إزاء ملحمة ضخمة تعاون في صنعها عشرات من الشعراء والشاعرات.

الهوامش :

(١) أغاني ١٣٧/٤.

(٢) ابن سلام ص ٢٠٧ وما بعدها.

(٣) ابن سلام ص ١٩٨ وما بعدها.

(٤) أشياخه ببدر: من قتلوا بها من مشركي قريش. الأسل: الرماح.

(٥) قباء: موضع بضواحي المدينة. ألقت الحرب بركها: حمى وطيسها. استحر القتل: اشتد وكثر.

(٦) ابن سلام ص ٢١٣.

(٧) ابن سلام ص ٢١٥.

(٨) الأكناف: النواحي. ذو يمن: موضع قريب من مكة. يزجي: يسوق ويدفع.

(٩) أغاني ١٣٩/٤ والاستيعاب لابن عبد البر ص ١٢٩.

(١٠) أحابيش قريش: حلف منهم تحالفوا عند جبل يسمى حبشياً. الحاسر: الذي لا بيضة له عكس المقنع.

(١١) النصية: الخيار والأشراف.

(١٢) ابن سلام ص ١٨٨.

(١٣) أغاني ١٣٨/٤.

(١٤) السيرة النبوية (طبع الحلبي) ١٤٧/٢.

(١٥) أغاني (طبعة الساسي) ١٠٦/١٩.

(١٦) ابن سلام ص ٢٣٨ والسيرة النبوية ٥٤/٣ وما بعدها.

(١٧) ابن سلام ص ٢٢١ والسيرة النبوية ٣١/٣.

(١٨) ابن سلام ص ١٢٣.

(١٩) ديوان الهذليين (طبعة دار الكتب) ١٤٨/٢ وانظر الأصنام لابن الكلبي ص ٢٤ وما بعدها.

(٢٠) أغاني (طبعة دار الكتب) ١٢٥/٩.

(٢١) ديوان حسان (طبعة هرشفيلد) ص ٥٨.

إلى امبراطور الروم هرقل

هرقل (هيركيوليس ـ هيراكليس) ينتصر على كسرى فارس انتصارا ساحقا، يسترد به البلاد التي أخذتها منه فارس، ويسير هرقل بعد الفتح في طريقه الى بيت المقدس عام ٧هـ ـ ٦٢٩م حتى يبلغ حمص، وفي هذه الأيام الحافلة بعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} برسائله الى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الدخول في دين الله، وكان دحية بن خليفة الكلبي هو الذي حمل رسالة النبي الكريم الى امبراطور الروم هرقل. وأسلم دحية الرسالة الى عامل الإمبراطور على الشام في بصرى في رواية، فبعث بها العامل الى هرقل في حمص؛ وفي رواية أخرى أن دحية قدَّم إليه الكتاب بنفسه، وفي رواية ثالثة أن الرسالة قدمت إليه في بيت المقدس نفسه.

وقرئت الرسالة على هرقل مترجمة، ونصها: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم ـ سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام؛ أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين * ـ أي عامة طبقات الشعب ـ ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) الطبري ٢/٢١٩.

رسالة جليلة حمَّل فيها رسول الله هذا الإنسان الكبير مسئوليته، تجاه نفسه وشعبه والإنسانية عامة، ولم يسجل المؤرخون الرومان رد فعل الإمبراطور على الرسالة الكريمة، والمصادر العربية تذكر أنه رد عليها ردا حسنا.

وكانت تلك الرسالة أول لقاء سياسي بين الإسلام وامبراطورية الروم القوية الواسعة الأرجاء آنذاك.

إن من هذه الرسالة النبوية ثلاث نسخ خطية:

الأولى: وثيقة محفوظة في صندوق ذهبي **في متحف طوب كاي سراى باستانبول.**

الثانية: وثيقة دخلت **في ملك وزير خارجية لبنان الأسبق الهاوى للآثار النادرة د/هنرى فرعون** حيث اشتراها من هاو لبنانى بأكثر من مليون دولار ، ولم يؤكد الفحص العلمي صحة نسبة هاتين الوثيقتين الى عصر الرسالة المحمدية.

الثالثة: محفوظة اليوم **في قصر رئيس دولة الإمارات العربية الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وهي الوثيقة الحقيقية** التي أكد البحث العلمى صحتها وأنها هي التى تسلمها هرقل من مبعوث الرسول الأكرم دحية الكلبي، حيث **ظلت متوارثة في أسرة هرقل**، وكان منهم حكام في الأندلس، وكان آخر العهد بها وبوجودها في ملك أمير طليطلة



بقلم : **أ.د. محمد عبدالمنعم خفاجى**

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

(العاصمة الأندلسية القديمة) (الأذفونش). ثم انقطعت أخبارها بعد ذلك، إلى أن ظهرت **في حوزة الأخير (الملك) عبد الله ملك الأردن**، وأوصى بها زوجته الملكة «نهجة» بعد وفاته، ولما توفي الملك عبد الله حفظتها زوجته في إحدى الخزائن في بنوك سويسرا، وحين احتاجت الي المال سحبتها من الخزينة بنفسها وعرضتها للبيع في لندن.

وأخذ الخبراء في فحصها فحصا علميا دقيقا، حتى لا يكون هناك شبهة من أي نوع في أنها الوثيقة التاريخية الصحيحة، التى لم يشبها تزوير بأي لون من الألوان واستغرقت عملية الفحص هذه عاما كاملا بمعرفة خبراء من العلماء الإسلاميين والأوربيين، منهم:

- العالم الهندي محمد عبد الله الاستاذ بالسوربون.
- الدكتور هنرى فرعون.
- المؤرخ د. عز الدين ابراهيم.
- خبراء متحف «طوب كاي سراي».

وجرى الفحص الميكروسكوبي بالأشعة فوق البنفسجية وبواسطة الامكانات المتاحة لدى المتحف البريطاني بلندن، ومختبرات جامعة ليدز البريطانية، وكانت النتيجة ترجيح صحة هذه الوثيقة ونسبتها الى الرسول الأعظم، باعتبارها الرسالة الحقيقية التى سلمت الى هرقل من مبعوث الرسول الكريم؛ وخلصت أعمال الفحص الى النتائج التالية:

١ ـ **الرسالة صحيحة**، أو هي على الأقل نسخة صحيحة من الأصل، حيث كانت الرسالة النبوية يحتفظ بنسخ منها في ديوان الخليفة عمر بن الخطاب.

٢ ـ **عمر الرسالة يزيد على ألف عام**، وهو أقصى مدى يمكن للمعامل الحديثة الوصول لمعرفته.

وأخيرا وفي عام ١٩٧٥م **اشترى هذه الوثيقة** ـ المكتوبة على جلد غزال، والمؤلفة من ثمانية سطور ـ الشيخ زايد بن سلطان أمير دولة الإمارات وحاكم أبو ظبي بمبلغ اثنين ونصف مليون دولار، لتستقر في المركز الثقافي الجديد، الذى أقامه في قصره، ثم **أهداها أخيرا الى ملك الأردن الملك حسين** وبحفظ الله العلى العظيم، استقرت هذه الوثيقة الصحيحة في خزينة أمير عربي جليل، وبدافع من انسانيته أهداها الى ملك الاردن الملك حسين الملك العربي المسلم لتستقر في عاصمته عمان، بعد عمر طويل بلغ مداه ١٣٧٠ عاما ميلاديا أو ١٤١٢ عاما هجريا، لتذكر المسلمين بعظمة دينهم ورسولهم الصادق الأمين، {صلى الله عليه وسلم} الى يوم الدين.

*** وردت كلمة الاريسين في مؤلف تراثي قديم للراهب إثناسيوس عضو مجمع نيقية (٣٢٥م) وعنوانه (الرد على الأريسيين) وهذا المؤلف هو الركيزة لكل ما كتبه جميع اللاهوتيين.**

تعريب المصطلحات في المملكة العربية السعودية

***** *في الحلقة السابقة من هذا الموضوع (المنشورة في عدد ذي الحجة ١٤٢١هـ تحدث الكاتب عن العناصر التي تقوم عليها نظرية التخطيط اللغوي، وحصرها في أربعة عناصر هي:*
- تحديد الوضع اللغوي القائم.
- وضع السياسة اللغوية التي تهدف الى اصلاح الوضع اللغوي.
- شمولية السياسة اللغوية على كل المؤثرات في اللغة.
- ثم تأتي مرحلة التنفيذ، وهذه لها مقوماتها.

يعد التعريب من أهم وسائل الحفاظ على سلامة اللغة العربية، وهو من الواجبات الأساسية التي يجب على الدول العربية عامة القيام بها، والمملكة العربية السعودية بصفة خاصة، كونها موطن اللغة العربية ومنبع الإسلام (المعلمي ١٩٩٩م) ويرى كابلان وبلدوف ١٩٩٧م أن «القوى الإسلامية لعبت دورا هاما في انتشار اللغة العربية، انطلاقا من مبدأ أن كلام الله يجب أن ينتشر باللغة التي أنزله الله بها على نبيه {صلى الله عليه وسلم}.

والتعريب من الأهداف الوطنية الهامة في المملكة العربية السعودية، وذلك انطلاقا من دورها في خدمة الإسلام من خلال نشر اللغة العربية والمحافظة على سلامتها، **وتهدف استراتيجية التعريب في المملكة الى المحافظة على اللغة العربية في الإعلام والتعليم**، ويدخل في هذا الإطار تطوير واستثمار كل السبل التي من شأنها جعل اللغة العربية قادرة على التعبير عن المصطلحات العلمية الحديثة، **والحد من انتشار المفردات الأجنبية في اللغة العربية سواء كانت علمية أو تقنية أو طبية أو غير ذلك.**

ومن أهداف التعريب في المملكة التأكيد على استخدام اللغة العربية في الخطب الرسمية، وتشجيع البحوث في الأدب العربي، وبذل الدعم المادي والمعنوي لبرامج تعليم **اللغة العربية لغير الناطقين** بها سواء داخل المملكة أو في البلدان الأخرى مثل أمريكا وبريطانيا (حجازي ١٩٩٢م).

وكما أشرنا سابقا فإن التعريب يخدم هدفا قوميا عربيا هو **المحافظة على الوحدة الثقافية العربية**، حيث إن اللغة العربية الى جانب الاسلام هي أهم مرتكزات تلك الوحده، وكما يشير فيشمان (Fishman ١٩٩٧) الوحدة اللغوية هي أهم العناصر التي تحدد مسار برامج التخطيط اللغوي، ومن شأنها تأصيل الروابط التاريخية والثقافية وروابط الدم والقربى، وذلك من أجل تكوين وحدة وطنية كبرى تذوب فيها الإقليمية وتجمع شمل المجموعات البدوية والحضرية لخلق مجتمع قوي متماسك (المولودي ١٩٨٦م).

ويعد التعريب من أهم وسائل التنمية على جميع المستويات. فعلى المستوى الثقافي يقوم التعريب بربط الأمة بماضيها الفكري (القاسمي ١٩٨٧م)، وعلى المستوى الاقتصادي فإن التعريب وسيلة اقتصادية مناسبة لرفع مستوى الوعي الاجتماعي، إذ أن نشر الوعي الاجتماعي عبر اللغة التي يعرفها كل أبناء المجتمع أسهل وأيسر من استخدام لغة دخيلة أو مفردات دخيلة لا يفهمها عامة الناس (القاسمي ١٩٨٧م). أما على المستوى التربوي فإن الدراسات تؤكد أن استيعاب المعلومات والمعارف يتم بصورة



بقلم : **د. سعد بن هادى القحطاني**

مدير مركز اللغة الانجليزية بمعهد الادارة العامة بالرياض

أفضل عندما تستخدم اللغة الأصلية للمتعلم. ولذلك فإن من يتعلم بغير لغته يجد صعوبة كبيرة في فهم دقائق العلوم ذلك الفهم الذي يُمَكِّنُ صاحبه من الإضافة والإبداع وليس التلقي فقط (القاسمي ١٩٨٧م).

وأخيرا فإن التعريب والمحافظة على اللغة العربية **يكفل الحفاظ على الحضارة الإسلامية** التي نقلت وكتبت باللغة العربية، إذ أن الحفاظ على اللغة من أهم وسائل الحفاظ على الهوية الحضارية.

ولقد اهتمت المملكة العربية السعودية بالتعريب منذ البدء، حيث كان اول محاولة **لتوحيد المصطلحات الطبية المعربة في عام ١٩٤٠م** حينما كتبت المملكة الى نقابة الأطباء المصرية بهدف وضع منهجية للتعريب في العالم العربي منذ ذلك الحين. وهذا يعكس مدى اهتمام الحكومة السعودية بقضية التعريب. وقد توالت الجهود بعد ذلك، حيث عقدت المؤتمرات وأنشئت مراكز تعنى بالتعريب، وتوالت التعليمات بضرورة تطبيق التوصيات التى تصدر من المجامع اللغوية في الجامعات، مثل توصيات مجمع اللغة العربية في القاهرة. ومن التوصيات التي تم تعميمها على جامعات المملكة ما صدر عن مجمع القاهرة في مؤتمر عام ١٩٩٢م. ومن هذه التوصيات ما يلي:

١ - يجب على التلاميذ في المراحل الأولية حفظ ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم، وذلك من أجل تقوية الملكة اللغوية لديهم.

٢ - يجب أن تكون اللغة العربية هي لغة التدريس في الجامعات في الدول العربية، وكذلك في الدراسات العليا.

٣ - يجب على كل الدول العربية إقامة مؤسسات تعنى بما يلي:

أ - ترجمة الكتب العلمية والطبية والتقنية، والدوريات العلمية، والموسوعات إلى العربية.

ب - ترجمة الأدب العالمي الى العربية.

٤ - يجب على كل الحكومات العربية التأكيد على استخدام اللغة العربية الفصحى في وسائل الإعلام.

٥ - يجب على كل الدول العربية المحافظة على استخدام الحرف العربي في الكتابة.

٦ - يوصي المؤتمر بإعادة المفردات الشائعة في بعض اللهجات إلى أصولها العربية الفصحى، وجمعها في معجم موحد لكي يتم تعميمها على كل الدول العربية مما سيساعد على تقارب اللهجات العربية.

٧ - يوصي المؤتمر بتوحيد منهجية التعريب، واستخدام الكلمات المعربة بدلا من المصطلحات الوافدة.

٨ - يجب زيادة حصص تدريس اللغة العربية في المدارس في كل الدول العربية.

٩ - يجب أن يكون هناك برامج تطويرية لمدرسي اللغة العربية، وذلك من أجل رفع مستوى المدرسين، كما يجب وضع برامج تدريبية لمقدمي البرامج في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية.

١٠ - يجب أن يكون هناك قانون يلزم أصحاب المصالح التجارية بضرورة المحافظة على وضع اللوحات واللافتات باللغة العربية، والتأكد من سلامة العبارات المستخدمة في تلك اللوحات.

١١ - يجب حث الشخصيات

*** استراتيجية التعريب تهدف للمحافظة على اللغة العربية.**

*** التعريب أحد أهم وسائل التنمية.**

الرسمية على استخدام اللغة العربية الفصحى في الخطب العامة.

وقد قامت وزارة التعليم العالي بتعميم هذه التوصيات على جميع الجامعات في المملكة، وذلك انطلاقا من اهتمام الدولة بقضية التعريب، ولكن هذا التعميم لم يصاحبه آلية واضحة للتطبيق. ولذلك فإن مثل هذه التوصيات لم يكن لها الأثر المطلوب. وفي الواقع إن التعريب يعاني من عدم وجود آلية (او خطة عمل) للتطبيق في معظم الدول العربية.

وسياسة التعليم في المملكة تؤكد على أن اللغة العربية يجب أن تكون لغة التدريس في كل مراحل الدراسة الجامعية، وهذا بالطبع يحتم تعريب المصطلحات الأجنبية في التخصصات العلمية، والمادة الحادية عشرة من سياسة التعليم في المملكة توضح ذلك:

«يجب أن تكون اللغة العربية هي لغة التدريس في الجامعات، ويمكن استخدام لغة أجنبية عند الضرورة، ويتم ذلك بقرار من مجلس الجامعة» نظام التعليم العالي، الطبعة الرابعة ١٩٩٩م.

فكما تشير المادة، اللغة العربية هي الأساس، واللغة الأجنبية هي الاستثناء، أي عند الضرورة فقط، وفي أضيق الحدود، غير أن اللغة الانجليزية هي اللغة المستخدمة في الكليات العلمية في معظم الجامعات السعودية، ومعظم الأبحاث والدراسات العلمية تكتب وتنشر باللغة الإنجليزية وغالبا في دوريات أجنبية مما لا يتيح المجال للاستفادة منها في الداخل، خصوصا لمن لا يتقن اللغة الانجليزية. وعلى هذا الأساس فإن التعريب يظل ذا أثر محدود في المسار الأكاديمي في المملكة.

ولقد بذل مناصرو التعريب في المملكة جهودا متواصلة في إثارة موضوع التعريب في مناسبات عدة، ومن خلال نشر المقالات في الصحف، وكذلك عقد المؤتمرات والندوات. وقد أثمر هذا الإلحاح بعض المشروعات القائمة الآن. وبادرت بعض الجامعات بعقد اللقاءات والمنتديات حول إمكانية تعريب التعليم الجامعي في الكليات العلمية فيها، والنظر الى جهود بعض المؤسسات الأكاديمية في هذ المجال، واستطلاع آراء المهتمين، وأعضاء مجمع القاهرة من السعوديين حول الموضوع. وفيما يلي نعرض بعضا من هذه الجهود.

أولا: مشروع البنك الآلي السعودي للمصطلحات «باسم».

نبعت فكرة (باسم) بتوثيق جميع المصطلحات التي تم تعريبها سواء من قبل المجامع اللغوية، أو من قبل المؤسسات التعليمية، أو حتى الفردية في معجم الكتروني موحد، وذلك في أواخر عام ١٩٨٣م. وكان رائد هذه الفكرة الأستاذ الدكتور/ محمود بن اسماعيل صالح، أستاذ اللغويات في جامعة الملك سعود بالرياض.

*** الهدف القومي للتعريب الحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية.**

*** مشروع البنك الآلي السعودي للمصطلحات خطوة جريئة ومفيده في الطريق الصحيح.**

*** (باسم) مشروع يبدأ بجمع المصطلحات.**

و(باسم) عبارة عن بنك آلي «قاموس الكتروني» جمع فيه حتى الآن ما يقارب ٣٥٠،٠٠٠ مصطلح. وتم جمع مادة (باسم) من مصادر متعددة كما ذكرنا آنفا. ويشير الدكتور/ محمود صالح (مؤسس باسم) الى أن المشروع يهدف الى:

١ - جمع مخزون كبير من المصطلحات العلمية في معجم الكتروني، يمكن استرجاع مكوناته بسرعة وكفاءة. وذلك للاستفادة من قبل المترجمين في الحقول العلمية، والنواحي الإعلامية، والقاموس رباعي اللغة: عربي، انجليزي، فرنسي، ألماني.

٢ - تجهيز مخزون من المصطلحات يمكن الاعتماد عليه في تطوير برامج الترجمة الآلية من وإلى العربية.

٣ - محاولة توفير المصطلحات

المعربة للباحثين، والكتاب، وجميع فئات المجتمع.

٤ - وضع منهجية ذات معايير محددة لتعريب المصطلحات يمكن للهيئات والمؤسسات التي تعنى بالتعريب الاستفادة منها (صالح ١٩٨٦م، ص ١٦٩).

ويتبع (باسم) لمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية (kacst) ، وهي مؤسسة حكومية مقرها الرياض. وفيما يلي سنتحدث عن مراحل تطور (باسم):

في عام ١٩٨٣م قدم الدكتور/ محمود اسماعيل صالح استاذ اللغويات بجامعة الملك سعود - أول خطة لانشاء البنك السعودي الآلي. وبهذا يعتبر الدكتور صالح المؤسس الحقيقي للبنك وذلك بعد أن قام بزيارة عدد من بنوك المعلومات كالمنظمة العالمية للمواصفات والمقاييس (ISO) في جنيف، وكذلك (Infoterm) في فيينا، وبعد ذلك تمت الموافقة على الخطة.

خلال عام ١٩٨٣م أيضا بدأ قسم الحاسب الآلي بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بجمع المصطلحات من المعاجم وقوائم المصطلحات حيث تم ادخال أول ٦٠٠ مصطلح كما أشار مدير المشروع/ عبد الرحمن الفاضل (١٩٩٩م).

وتم كذلك إدخال معلومات حول كل مصطلح، ومن هذه المعلومات:

«اسم المصطلح كاملا - مصادر المصطلح - تاريخ المصطلح - مستوى دقة المصطلح - المعلومات النحوية - تعريف المصطلح (أنظر الفهارس)».

ويعتمد تقييم المصطلح من حيث الدقة والجودة على المصدر الذي تم أخذه منه، فمثلا المصطلحات المأخوذة من المعاجم التي تصدرها المجامع اللغوية تحتل المركز الأول، ثم المعاجم التي تصدرها المؤسسات الأخرى، ثم أخيرا المعاجم التي يصدرها أفراد. وتشمل المعلومات النحوية لكل مصطلح على نوع المصطلح: اسم، فعل، صفة، الخ، وهل المصطلح مذكر أم مؤنث، وأخيرا العدد: مفرد، مثنى، جمع. غير أن المتصفح لـ (باسم) يجد أن هذه المعلومات لم يتم إدخالها الا لعدد محدود جدا من المصطلحات.

وقد بلغ عدد مدخلات (باسم) ٣٥٠,٠٠٠ مصطلح، وذلك بنهاية شهر نوفمبر ١٩٩٩م ويجري الآن الإعداد لوضع (باسم) على الشبكة العالمية (The Internet) لكي تتم الاستفادة منه، بشكل مباشر. وفي الواقع فإنه قد بدأ التشغيل التجريبي لـ (باسم) على شبكة المدينة الداخلية.

والحقيقة أنه لا يوجد هناك تنسيق مباشر على المستوى الرسمي بين (باسم) والمؤسسات التي تعنى بالتعريب في العالم العربي، إذ ان الأمر يتوقف عن أخذ المصطلحات من المعاجم، ولا يتعداه الى تنسيق آليات العمل أو عقد لقاءات مع المختصين بشكل دائم. كما أنه لا يوجد مجال محدد للتعاون مع أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة من السعوديين، ولقد فوجئت أن أحد هؤلاء الأعضاء لا يعلم بوجود (باسم)، وذلك أثناء مقابلتي له عام ١٩٩٩م.

والتصور الموجود لدى القائمين على (باسم) أن المشروع لا يتناول عملية التعريب نفسها، بل يبدأ بعد ذلك، أي انه يقتصر على جمع المصطلحات التي تم تعريبها. وهذا ما جعل (باسم) يقع في مزلق الترادف حيث إنه يتم إدخال المصطلح أكثر من مرة بصيغ مختلفة، حسب المصادر المتعددة التي يأخذ منها، فمثلا كلمة «التلفون» تدخل مرة على أنها «هاتف» ومرة على أنها «تلفون» ومرة على أنها «حاكي» وهكذا. وبالتالي فإن المستخدم سيقع في حيرة أيها يستخدم والأمثلة على هذا كثيرة جدا. ومشكلة أخرى يعاني منها (باسم) وهي التكرار، حيث يتم ادخال المصطلح مرة تحت تصنيف الكيمياء، ومرة تحت تصنيف الفيزياء، ومرة تحت العلوم الطبيعية، ومثال ذلك كلمة «التقنية» حيث تجدها مكررة في كل حقل من هذه الحقول.

ويؤمل القائمون على (باسم) في تطويره في المستقبل بما يكفل سرعة ومرونة الأداء، كما أن هناك توجهاً لإضافة برامج حاسوبية يمكنها عرض المدخلات والصور المصاحبة لها كما يطمح القائمون على المشروع في تطوير استخداماته في برامج الترجمة الآلية، وما شابه ذلك. وفي الحلقة القادمة سنتحدث عن التعريب في مؤسسات أخرى مثل: الهيئة السعودية للمواصفات والمقاييس (SASO)، ومركز التعريب في جامعة الملك عبد العزيز، وأخيرا جهود جامعة الملك سعود في مجال التعريب.

ذكرنا في الحلقة التي مضت بعض الاسباب والعوامل التي أدت الى ذيوع فكر التكفير وانتشاره ونحن نذكر هنا بعون الله عز وجل طرفاً من العوامل التى تعصم من ذلك الفكر وتعين من درج في سلكه على النجاة بنفسه منه، فمن ذلك:

الخشية والورع:

إذ إن التسرع في إصدار الأحكام والفتاوى بالتكفير ثمرته بشعة وعاقبته وخيمة، وهذه الخطورة مبناها على أمور:

أحدها: أن التسرع في تكفير المسلم فيه افتراء الكذب على الله عز وجل فإنَّ الحاكم بالتكفير مخبر عن الله عز وجل أن فلانا من الناس كافر في حكم الله عز وجل، وذلك الأمر من الخطورة بمكان، فينبغى التأنى في ذلك وعدم التسرع والعجلة.

والثاني: أن في ذلك ظلم عظيم للمحكوم عليه بالكفر إن كان سالماً من ذلك، إذ أن الحكم على المعين بالكفر تنبني عليه أحكام عظيمة وأمور جسيمة منها: استباحة دمه وفراق زوجه وأنه لا يرثه ابناؤه وعشيرته وانه لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، فلأجل هذه الأحكام الشديدة المترتبة على الحكم بالكفر لابد من التأني في ذلك.

يقول الإمام الغزالي - رحمه الله - في «الاقتصاد في الاعتقاد» ص ٢٦٩ «والذى ينبغى الاحتراز منه التكفير ما وجد اليه سبيلا، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ، والخطأ في ترك الف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم مسلم».

والثالث: الوقوع في الوعيد الشديد الوارد في حقٍّ من كفَّر من ليس بكافر، يقول الإمام الشوكانى رحمه الله في «السيل الجرار» (٥٧٨/٤) : [إن الحكم على الرجل المسلم بخروجه عن دين الاسلام، ودخوله في الكفر لا ينبغى لمسلم يؤمن بالله واليوم

بقلم : **حاتم أحمد الطيب الشيخ** - السـودان

الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار، فانه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة أن «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»، هكذا في الصحيح وفي لفظ آخر في الصحيحين وغيرهما: «من دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه» أي رجع، وفي لفظ في الصحيح «فقد كفر أحدهما» ففي هذه الاحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ من التسرع في التكفير}.

يقول الشيخ العلامة ابن العثيمين - رحمه الله - في «القواعد المثلى» ص ١٥٥ {الأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء اسلامه وبقاء عدالته حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي ولا يجوز التساهل في تكفيره أو تفسيقه لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب على الله تعالى في الحكم وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نبذه به.

الثاني: الوقوع فيما نبذ به أخاه إن كان سالما منه ، ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «إذا كفَّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما»[١] وفي رواية «إن كان كما قال وإلا رجعت عليه»، وفيه عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي {صلى الله عليه وسلم} «من دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه».

وبعد ألا فليتق أقوام اتخذوا دماء المسلمين مرتعاً لهم فسارعوا في تكفيرهم واستباحوا دماءهم وأموالهم وليخشوا يوماً يجمع فيه الله الخلق في صعيد واحد حفاة عراة غرلا بهما فيقتص للمظلوم ممن ظلمه.

العلم بأن التكفير حكم شرعي وثمرة ذلك تتمثل في أمرين:

أحدهما: أن التكفير كغيره من الأحكام الشرعية يتوقف فيه على الدليل الشرعي من كتاب أو سنة أو اجماع يقول حافظ المغرب الإمام أبو عمر بن عبد البر - رحمه الله - في «التمهيد» (٢١/١٧) «وقد اتفق أهل السنة والجماعة - وهم أهل الفقه والأثر - علي أن أحداً لا يخرجه ذنبه - وان عظم - من الاسلام، وخالفهم أهل البدع، فالواجب في النظر ألا يكفر إلا من اتفق الجميع على تكفيره أو قام على تكفيره دليل لا مرفع له (من) كتاب أو سنة».

وبذلك نعلم أن التكفير سمعي محض:

فلا مدخل فيه للعقول وآرائها واستحساناتها كحال كثير من الناس الذين يقولون مثلا: لو كان فلان مسلما لما أكل أموال الناس بالباطل فهو كافر وليس بمسلم، فمثل هذا القول خطأ كبير وغلط جسيم لأنه تكفير بمجرد العقل من غير استناد الى دليل من كتاب أو سنة يقول القرافي المالكى في «تهذيب الفروق» (١٥٨/٤) «كون أمر ما كفر، أي أمر كان ، ليس من الامور العقلية، بل هو من الامور الشرعية فإذا قال الشارع في أمر ما هو كفر فهو كفر».

ولا مدخل فيه للعواطف الجامحة والحماسات الطاغية.

ولا يحمل عليه ظلم ظالم أو معاملة بمثل، فلو أن أحدا ما كفَّر أحداً ما ظلماً وعدواناً فليس للمظلوم أن يرد الظلم بمثله فيكفر من كفره، ولأجل ذلك انتقد العلماء مقولة الشيخ ابي اسحاق الاسفراييني - رحمه الله - التي نقلها عنه الفخر الرازي في «نهاية العقول» حيث قال الاسفراييني «أكفر من يكفرني، وكل مخالف يكفرنا فنحن نكفره، وإلا فلا»، يقول شيخ الاسلام وعلم الأعلام ابن تيمية الحراني - رحمه الله - راداً على ذلك في كتابه «منهاج السنة النبوية» (٢٤٤/٥) «... وهذا خلاف ما كان يقوله بعض الناس كأبى اسحاق الاسفراييني ومن اتبعه، يقولون: لا نكفر إلا من كفرنا. فإن الكفر ليس حقاً لهم، بل هو حق الله وليس للإنسان أن يكذب على من يكذب عليه، ولا يفعل الفاحشة بأهل من فعل الفاحشة بأهله، بل لو استكرهه رجل على اللواطة لم يكن له أن يستكرهه على ذلك.. لان هذا حرام لحق الله تعالى، ولو سب النصارى نبينا لم يكن لنا أن نسب المسيح، والرافضة إذا كفروا ابا بكر وعمر، فليس لنا ان نكفر علياً»[٢].

ولا مدخل لتقليد محض في التكفير وقد سجل لنا التاريخ في صفحاته بمداد من نور الرسالة التى سطرها العلامة موفق الدين ابن قدامة المقدسي - رحمه الله - إلى صاحبه في المذهب شيخ حران وفقيهها العلامة فخر الدين ابن تيمية[٣]، وأصل القصة أن العلامة فخر الدين ابن تيمية - رحمه الله - أفتى بتكفير القائلين بخلق القرآن وجزم بخلودهم في النار واعتمد في ذلك على مصنفات علماء مذهبه من الحنابلة فقلدهم في ذلك فرد عليه العلامة موفق الدين ابن قدامة المقدسى الحنبلي - رحمه الله - برسالة نقلها صاحب «الذيل على طبقات الحنابلة» (١٥٤/٢) وكان مما جاء فيها: «فأما قوله - أي فخر الدين - إن كتب الأصحاب القديمة والحديثة فيها القول بتكفير القائل بخلق القرآن، فهذا متضمن أن قول الأصحاب هو الحجة القاطعة ، وهذا عجب! أترى لو أجمع الأصحاب على مسألة فروعية أكان يقتنع ويكتفى

بذكرها؟! فإن كان فخر الدين يرى هذا فلا يحتاج في تصنيفه الى ذكر دليل سوى قول الأصحاب، وإن كان لا يرى ذلك حجة في الفروع فكيف جعله حجة في الأصول؟!.

وهب أنا عذرنا العامة في تقليدهم للشيخ ابى الفرج وغيره من غير نظر في دليل، فكيف يعذر من هو إمام يرجع إليه في أنواع العلوم» ثم قال له كلاماً جدير بكل متسرع في اطلاق احكام التكفير أن يعقله ويعيه ويتأمل معانيه. قال له: «واعلم أيها الأخ الناصح أنك قادم على ربك ومسؤول عن مقالتك هذه، فانظر من السائل وانظر ما أنت له قائل، فأعد للمسألة جوابا، وادَّرع للاعتذار جلبابا، ولا تظن أنه يقنع منك في الجواب بتقليد بعض الأصحاب، ولا يكتفى منك بالحوالة على الشيخ ابي الفرج وابن الزاغوني وأبي الخطاب، ولا يخلصك الاعتذار بأن الاصحاب اتفقوا على أنهم من جملة الكفار، ولازم ذلك الخلود في النار، فإن هذا الكلام مدخول، وجواب غير مقبول)[٤].

والثاني: أنه إذا عُلم أن التكفير حكم شرعي فمن لوازم ذلك أن الحكم به مرده الى اهل العلم من أئمة الدين والعلماء المجتهدين وأن مما يندى له الجبين في هذا العصر الأليم أنه دخل في هذا الأمر الخطير أقوام ليسوا من العلم في ورد ولا صدر فتصدوا لأمور تنكبها أكابر العلماء وتجنبها الأئمة الفقهاء وتوقف فيها أهل الرأى والنظر والعلم والأثر، وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله تعالى ـ في «فتح الباري» أن إمام الحرمين ابى المعالى الجويني ـ رحمه الله ـ سئل عن مسألة تكفير الخوارج فاعتذر عن ذلك وقال «الغلط فيها يصعب لأن ادخال الكافر في الملة وإخراج المسلم منها عظيم»[٥]. ألا فليع ذلك الجهلة الأغرار والصبية الأغمار الذين رفعوا راية التفكير في المدائن والأمصار. فإنا لله وإنا اليه راجعون.

ـ للبحث صلة ـ

الهوامش :

(١) أحاديث الوعيد الشديد في حق من كفر من ليس بكافر كثيرة ومعناها أن من فعل ذلك يقع عليه الاثم الشديد وليس معناها أنه كافر خارج عن ملة الاسلام كما أشار الى ذلك الامام ابن حزم في «الفصل» (٢٩٢/٣) والحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٤٨١/١٠).

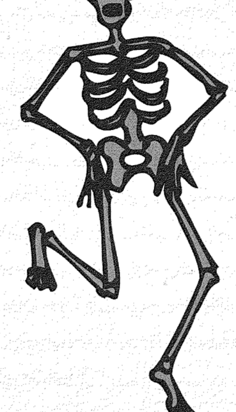
(٢) انظر «الحكم بغير ما أنزل الله وأصول التكفير» للعنبري.

(٣) هو أحد اعمام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله.

(٤) بواسطة «إحكام التقرير» لمراد شكري.

(٥) فتح الباري (٣٠٠/١٢).






في البلدان والعمران .. في التقاليد
والأعراف في تقاطيع وجوه
الناس، السائح يستقرئ
الملامح ويرسم اللوحة
الدنمارك
ذكريات ومعالم
مجلة
السائح
العدد (١٢٧)



الدنمارك .. ذكريات ومعالم

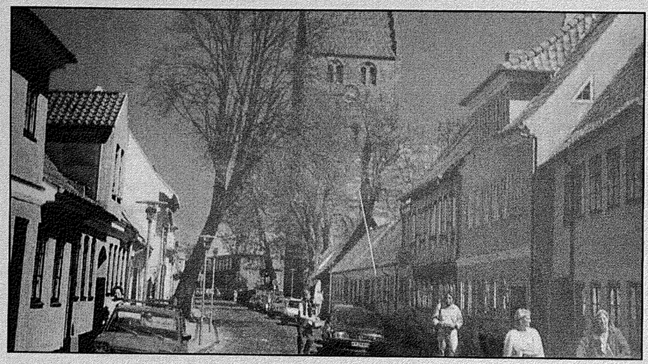
لم تكن رحلاتي إلى مملكة الدنمارك حديثة عهد قريب، إنما ترجع إلى سنين عديده مضت كان آخرها عام ١٩٨٧م، كما كانت العاصمة كوبنهاجن بالنسبة لي هي همزة الوصل بين القاهرة والدول الاسكندنافية، ورغم مضي تلك السنين الطوال لآخر زيارة لها إلا أن صورة الدنمارك وعاصمتها مازالت منطبعة في مخيلتي كامنة في وجداني أتابع أخبارها من وقت لآخر فهناك من يمدني بكل ما يستجد فيها من أمور وما يقع من أحداث ممن يزورون بلادى من الدنماركيين يأتون في مجموعات سياحية منظمة فهى فرصة لي أن أجدد ذكرياتي لتلك البلاد والأصقاع البعيدة مضيفاً إليها حصيلتي من القراءة والاطلاع فكانت الثمرة هى تلك الرحلة البعيدة القريبة التى تهم كل من يعشق السفر والرحلات ومعرفة البلدان.

في مطار أسوان كنت في استقبال مجموعة دنماركية صغيرة عدد أفرادها أربعة أشخاص وهم عائلتان إحداهما زوج وزوجته يبلغان من العمر ستين عاما فيهما حيوية الشباب ونشاطه.. دائما الحركة في صالة الاستقبال أثناء جمع حقائبهما وأسئلتهما الكثيرة المفيدة والتقاطهما للصور التذكارية في كل مكان يذهبان إليه، والعائلة الثانية شاب وسيم طويل بشرته بيضاء شعره أصفر مسترسل ذو عينان زرقاوان صافيتان فيه كل أوصاف أهل الدنمارك، أما زوجته فهي دون الثلاثين بأربع سنوات .. صافحتنى بحرارة.. اسمها «فرح» إيرانية الأصل والمولد، عرفتنى بزوجها الشاب «البرت» دنماركي الأصل، مسلم، مدرس بالجامعة، يدرس الدكتوراه في الهندسة الميكانيكية وسبب تعارفهما هو قرب منزل عائلته وعائلتها منذ قدوم أسرتها الى الدنمارك أثناء الحرب الإيرانية العراقية، كانت صغيرة تعلمت في مدارس الدنمارك، درست التاريخ بجامعتها، محافظة على تعاليم دينها الإسلامي الحنيف فأعجب بها «البرت» وبسلوكها فأقبل على زواجها دون تردد بعد أن أعلن إسلامه عن اقتناع تام فهو يحب الاستقرار والجو الأسرى وإنجاب الأطفال، فنساء الدنمارك يختلفن في عاداتهن وتقاليدهن، فمنذ عام ١٩٦٠م ارتفع عدد المطلقات من النسوة وانخفض عدد المتزوجين وارتفع سن زواج الفتاة إلى ٣٠ عاماً بعد أن كان ٢٥ عاما، وسن زواج الفتى ارتفع الى سن ٣٣ عاماً بعد أن كان ٢٧ عاماً، فالمرأة الدنماركية تحب أن تعيش بمفردها حتى تبعد عن قيود الزوجية وتتفرغ لعملها باعتبارها متساوية مع الرجل في الحقوق والواجبات. ولفت انتباهي معرفتى بأن عدد الرجال هناك يبلغ نحو ٢٠.٦٢٦ر٢ مليون يزيد قليلا عن عدد النساء البالغ عددهن ٩٤٠ر٥٥٤ر٢ مليون فهم تقريبا متساوون في الكم والكيف.

في أسوان كانت لنا جلسات ومناقشات طويلة ولم أترك الفرصة تفوتني لأسترجع ذكرياتي عن

المنهل

بقلم : **فتحي عبدالحميد المراغي** - مصـــر



نموذج لقرية دنماركية

الدنمارك وأهلها وأعرف ما يستجد بها من أمور... كان اصطحابي لهذه المجموعة الصغيرة مريحاً.. فقد عدت بذكريات رحلاتي إلى بلادهم.. غصت فيها عبر المكان والزمان.

الدنمارك تقع في شمال غرب اوربا على مدخل بحر البلطيق ونهاية بحر الشمال، وتتكون أرضها في هذه البقعة من شبه جزيرة «جيتلند» أكبر الجزر هناك وعدد من الجزر الملاصقة لها وأهمها جزيرتي «زيلاند» و«فونين»، وجزيرة «جيتلند» هى الأم لأراضى الدنمارك وتقع عليها العاصمة «كوبنهاجن»، والدنمارك دولة صغيرة إذا ما قيست بباقى الدول المجاورة لها، مساحتها ٤٣٫٠١٧ كم٢ وعدد سكانها حسب إحصاء عام ١٩٩٣م (٥٫١٨٠٫٦١٤) مليون نسمة، ولكن إذا ما أضيف إلى أرضها الأصلية جزيرتي جرين لاند القريبة من القطب الشمالي وجزيرة «الفيرو» تكون مساحتها الكلية ٢٫٢ مليون كم٢.

أهم المدن الدنماركية وأكبرها (كوبنهاجن) العاصمة، وهى العاصمة السياسية للبلاد وبها جامعة وعدد كبير من المعارض والمكتبات والمسارح، وأهم الموانىء ميناء «اورهوس» وفيه جامعة شهيرة، أما مدينة «اولبورج» فبها مصنع للأسمنت وميناء وبها أكبر المعارض الاسكندنافية وكذلك جامعة. ويبلغ عدد الجامعات في الدنمارك خمس جامعات، ومدينة «روشيلد» وبها بعض المصانع ومدينة «لينجي» التى تبعد عن كوبنهاجن نحو ١٠كم وهى تعتبر من المدن السياحية الكبرى بعد العاصمة كوبنهاجن وبها مركز للصناعات اليدوية ومحطة



لتوليد الكهرباء وطواحين الهواء وفي المدينة منتزه جميل تمارس فيه رياضة ركوب الدراجات وبها سوق تجارى كبير يقصده كل الدناماركيين، وقصور ومبان قديمة ترجع الى العصور الوسطى، وتمتاز الأراضى الدنماركية الواقعة على بحرى البلطيق والشمال بأن سهولها منبسطة ومستوية قليلة الارتفاع فأعلى موقع بها لا يزيد ارتفاعه عن ٧٣ مترا فوق سطح البحر، ومعظم الأراضى هناك خضراء.

وتنمو الزراعة في السهول المسطحة حيث تقل الانحدارات وتبلغ الأراضى الزراعية نحو ثلثي المساحة الكلية هناك، أما الغابات فتمثل ١٠٪ بينما تمثل الأرض البور ١٠٪ من المساحة المتبقية التى يسكن فيها أهل الدنمارك ويتركز معظم السكان في المدن الكبيرة خاصة العاصمة كوبنهاجن التي يعيش فيها أكثر من ١٫٤٠٠ مليون نسمة وتبلغ الكثافة السكانية على أرض الدنمارك نحو ١١٩ في كل متر مربع.

ومناخ الدنمارك ساحلى معتدل وهو في ذلك يختلف قليلا عن باقي الدول الاسكندنافية المجاورة لها، والأمطار تسقط معظم شهور السنة ودرجة الحرارة لا تزيد عن ٨ درجات في فصل الصيف وتصل أحيانا الى ٣٠° خلال شهر يوليو، أما الشتاء فهو بارد معتم في شهري ديسمبر ويناير وتصل درجة الحرارة إلى ٢٠° ، وينتشر الصقيع في معظم الأرجاء وتتعرض الدنمارك لرياح عكسية ممطرة طوال العام تقريبا ورياح شتوية باردة تهب عليها من داخل القارة الأوربية، ولهذا يمثل مناخ الدنمارك منطقة انتقال بين مناخى شمال غرب اوربا ووسطها.

والدنمارك بلد زراعي قديم، ففى عهد الفايكنج كانت الزراعة هي المصدر الرئيسي لهم وكذلك الثروة الحيوانية من أغنام وماعز وأبقار وخنازير وخيول، ورغم تقدم الدنمارك في مجال الصناعة تجد أنها لم تهمل الزراعة باعتبارها من أهم مقومات الصناعة والنهوض باقتصاد البلاد ، ولهذا أزيلت معظم أشجار الغابات النفضية وحلت محلها الزراعة فزرعت مساحات شاسعة من الشوفان والشعير والبنجر والبطاطس وكذلك العشب الذى تقوم عليه تربية الحيوانات لإنتاج وتصنيع المنتجات القائمة على الألبان واللحوم.

وبفضل إنشاء الجمعيات التعاونية واستخدام التقنية الحديثة والميكنة الزراعية أصبحت الدنمارك من أوائل الدول التي تصدر المواد الغذائية في العالم.



نموذج من المنازل القديمة

ومن أهم الصناعات التي تقدمت بها الدنمارك الصناعات البلاستيكية ذات الشهرة العالمية وصناعة النسيج والملابس، والصناعات القائمة على الأسماك التى تمتلك الدنمارك منها ثروة هائلة فانفتح السوق الدنماركي على العالم سواء أكان تصديرا أم استيرادا.

وأهم ما يميز السوق الدنماركي أنه لا يعتمد على وكيل أو وسيط تجارى والسبب بسيط هو أن الشعب الدنماركي لا يعرف في عملية البيع والشراء أسلوب المساومة والفصال، كما أن الحكومة تتخذ أسلوب المرونة في قبولها للتحويلات الأجنبية رغم أن الدنمارك لها عملتها الخاصة هي «الكرون» الدنماركي.

استجمعت من الذاكرة معلوماتي وما كنت قد سجلته في كراستي أثناء زيارتى للدنمارك فأول ما انطبع في ذهني الديمقراطية التى يحتاجها كل محب للحرية والحياد الذى جعل البلد في تقدم ونمو مستمر، والشعب هناك مسالم اجتماعي يحب الضيوف، وهم سريعو الحركة حتى كبار السن وذوى المعاشات فهم دائما ما يقضون أوقات فراغهم في كل ما هو مفيد كل في هوايته المفضلة قراءة .. نزهة .. رياضة يجددون نشاطهم وشبابهم، يغلب على طابعهم الابتسام والمرح يسعون دائما وراء المعرفة، وفي كل مرة تطأ فيها قدماي مطار «كاستروب» في العاصمة كوبنهاجن كنت أشعر بمدى المرونة وسهولة إجراءات السفر دون تعقيدات أو روتين وكنت دائما وبسرعة ما أنزل همومي وراء ظهرى مع طبقات الثلوج التى كانت تغطى سماء وأرض المطار، وأعود إلى رشدى وترتفع معنوياتي مع قلبى الذى هبط مع هبوط الطائرة على أرض المطار، وبمجرد انطلاق السيارة في شوارع المدينة أرى كل شيء كأنه جديد، وأمتع نظرى بجمال المدينة ونظافتها واتساع شوارعها واستقامتها وتنظيم مبانيها وتنسيقها الذى قلَّ أن تجده في أي مدينة أخرى مما دفعنى أن أكتب خواطرى الكثيرة عن تلك البلاد.

ومن خلال زياراتى المتعددة وجولاتي الكثيرة سواء في العاصمة أو في المدن الأخرى عرفت أن الدنمارك ليست بلداً صناعياً متقدماً فقط في شمال اوربا ولكنها بلد سياحى من الدرجة الأولى وتعتبر السياحة من الدخول الأساسية للاقتصاد الدنماركي حيث يزورها سنويا حوالي ١٠ مليون سائح لمشاهدة طبيعتها الجميلة وزيارة الأماكن الأثرية بها،



تغير الحرس الملكي فى ميدان أملين بورج أحد أشهر الميادين وأجملها



فالطبيعة فيها متنوعة باختلاف مناخها: خضرة وتلالا ومرتفعات ورمالا وأحجاراً رملية وأخرى طباشيرية، ففي العاصمة كوبنهاجن كان قد اكتُشف نوع من الصلصال السمكى الذى يرجع الى العصور الطباشيرية القديمة والتى تعتبر من أطول العصور الجيولوجية فعثر هناك على أسماك متحجرة وعثروا على مادة «الريريديوم» والتى منها يحاول العلماء معرفة سبب انقراض بعض الحيوانات القديمة كالديناصورات، كما أن السائح هناك يستمتع بالجو الساحلى البديع فمياه البحار تحوطها من جميع الاتجاهات، والسواحل ممتدة ونظيفة خاصة في منطقة «نورث زيلاند» وكذلك مجموعة الجزر الكبيرة والصغيرة، كما يشاهد السائح القصور الفخمة التى ترجع الى فترة العصور الوسطى.

والدنمارك غنية بفنادقها ومطاعمها المتعددة، وشبكة مواصلات متطورة ومتقدمة سواء كانت برية أو جوية أو بحرية، وموانيها مهيأة لاستقبال الوافدين إليها.

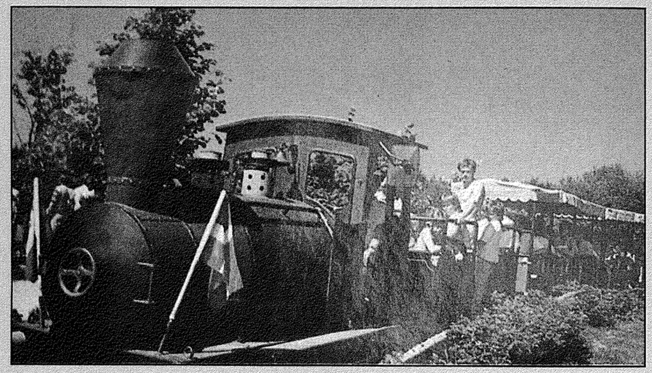
وتعتبر الدنمارك واحدة من الدول ذات الاقتصاد القوى في اوربا، وتخصص الحكومة ٤٦٪ من الدخل العام لتحسين الحالة الاجتماعية، إذ تنفق على العجائز والأطفال وأصحاب المعاشات ١٤٪، وللتعليم والأبحاث ١٠٪، وللصحة ١١٪، و١١٪ للأعمال التجارية و٤٪ للدفاع و٣٪ للثقافة والكنائس و٢٪ لبناء المساكن و٢٪ للقضايا والمحاكم و٨٪ للتحسين العام.

وتتكون الدنمارك من ١٤ كونت أو محافظة و٢٧٣ بلدية، أما بالنسبة لنظام الحكم هناك فهو دستوري ملكي يحكمها البرلمان بمجلس أحادى يبلغ عدد أعضائه ١٧٩ عضواً ينتخبون بالتمثيل الشعبى، كما يضم البرلمان عضوين يمثلان جزيرة جرين لاند وعضوان لجزيرة «الفيرون» والبرلمان الدنماركي Falkting هو ممثل الشعب وهو قديم يرجع تاريخ إنشائه الى عام ١٨٤٨م، يقوم الشعب بانتخاب أعضائه كل أربع سنوات، فمثلا في مجموعة الأحزاب البالغ عددها ١٨ حزبا أكبرها وأهمها الحزب الديمقراطي اليمينى، وحزب الشعب الذى تمثل المرأه فيه ٣٠٪ من عدد أعضائه.. وتحتفل الدنمارك بعيدها القومى في ٥ يونيو كل عام وهو يوم الدستور.

ومنذ عام ١٩٥٣م نص الدستور الدنماركي على أن يكون هناك مزيد من الديمقراطية فأعضاؤه مطالبون بالنهوض بالبلاد ونشر الديمقراطية، والشعب هو صاحب الكلمة العليا في البلاد عن طريق البرلمان، ففي يوم ١٩٩٢/٦/٢م رفض الشعب الدنماركي الاستفتاء الذى أجرته الحكومة على اتفاقية «ماستريخت» الخاصة بالوحدة الأوربية وطالب الشعب بإجراء بعض التعديلات الخاصة بالاتفاقية، وعندما تم ذلك وافق الشعب على الاتفاقية في مايو ١٩٩٣م.

والدنمارك عضو قديم في الأمم المتحدة منذ إنشائها عام ١٩٤٥م وهي عضو في حلف الأطلنطي «الناتو» وانضمت الى السوق الاوربية المشتركة عام ١٩٧٣م كما أنها عضو في مجلس دول الشمال الاسكندنافي الخمس.

والعائلة الملكية هي رئيس الدولة في الدنمارك من الناحية التشريعية أما الوزارة برئاسة رئيس الوزراء فهي المختصة بشئون البلاد. وملكة الدنمارك الحالية هي الملكة مارجريت الثانية من مواليد ١٩٤٠م تولت الحكم عام ١٩٧٣م بعد وفاة والدها الملك فردريك الخامس وتزوجت من الأمير «هنريك» في ٦ أكتوبر عام ١٩٦٧م.



الصيف في الدنمارك حيث يخترق الطفطف المروج الخضراء

والملكة مارجريت الثانية شعبية كبيرة ليس فقط في الدنمارك بل في كل الدول الاسكندنافية فهي محبوبة متعددة الثقافات تقدر العلم والعلماء فانطبع ذلك على شخصيتها فدرست الفلسفة في جامعة كوبنهاجن وحصلت على دبلوم الآثار والتاريخ القديم من جامعة «كامبريدج» وكذلك دبلوم العلوم السياسية من جامعة «اورهوس» بالدنمارك ودرست الاقتصاد في جامعة لندن فهي موسوعة ثقافية ومتمرسة في الحياة السياسية والاقتصادية وإدارة شئون الحكم والحياة الاجتماعية، وللملكة هوايات متعددة كالقراءة والاطلاع والفنون ورسم الاسكتشات، تحب السفر ومعرفة البلدان البعيدة والقريبة فزارت معظم بلاد العالم وزارت المملكة العربية السعودية عام ١٩٨٤م ومصر عام ١٩٨٦م، عشقت علوم الآثار فلم تقتصر معرفتها على آثار بلادها فحسب بل اهتمت بجميع المناطق الأثرية في العالم وقد ورثت هذه الصفة من جدها الملك جوستاف السادس.

والشعب الدنماركي مسالم يحب بلده، يعيش في مستوى معيشى مرتفع، وللدنمارك علاقات طيبة مع دول العالم خاصة الدول العربية، فتعمل حكومة الدنمارك على نشر السلام في منطقة الشرق الأوسط وحل المشكلة الفلسطينية، كما تقدم الدنمارك مساعدات اقتصادية لدول العالم الثالث والفقيرة فخصصت ما يعادل ١٪ من الدخل العام لمساعدة الشعوب الفقيرة، ومن منطلق الإيمان بأن خروج هذه الدول من أزماتها وديونها يعتبر عملا كبيرا لتنمية هذه الدول، وقد انفتحت الدنمارك سياحيا على العالم العربي منذ عام ١٩٩٥م.

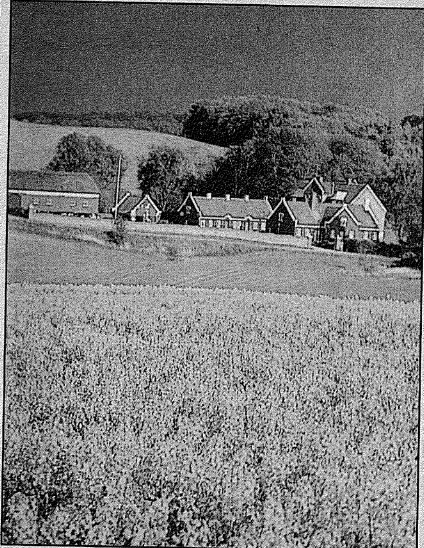
ويعيش في الدنمارك أقلية إسلامية عددها ١٠ آلاف مسلم يقطن معظمهم في العاصمة كوبنهاجن يمارسون عقيدتهم بحرية في الزوايا والمساجد التى أنشئت هناك فالدنمارك صورة حقيقية للمجتمع الآمن المسالم في العالم.



العلامات المميزة للحروف الدنماركية حرف (O) الذى تجده في اللغة الدنماركية يكتب (Q) وفي السويدية يكتب هكذا (ة) مع ملاحظة اختلاف النطق.

ومن خلال ترددى على المكتبات العامة وقراءاتي المتنوعة عرفت الكثير عن شخصيات دنماركية أثرت في الحياة الفكرية والثقافية والأدبية والعلمية ليس فقط في الدنمارك ولكن في العالم ومنهم:

١ ـ تيكوبراها Tycho Brahe (١٥٢٦ ـ ١٦٠١م) وهو من عائلة نبيلة، اهتم بعلم الفلك منذ صباه، ذهب إلى ألمانيا لدراسة الكيمياء والصيدلة، ومن أشهر كتبه Deuouvastella وفي عام ١٥٧٦م كان أميراً على جزيرة «هوفنسيت» في زيلاند وكان ذلك في عهد الملك فردريك الثاني بني قصوراً ومنشآت كثيرة، كما أنشأ مرصداً وتلسكوباً كبيرا لمعرفة الكواكب والنجوم.



طبيعة الدنمارك فى فصل الصيف

وللدنمارك لغة خاصة بهم هى الدنماركية وهى محلية، وتنتمى إلى المجموعة الجرمانية وهي من مجموعة اللغات التي تنتشر في الأقطار المطلة على بحر البلطيق واللغة الجرمانية مشتقة من اللغات التيتونية القديمة التى غزت اوربا خلال القرون الأولى للعصر المسيحى وانتقلت جنوبا إلى وسط اوربا على أيدى الغزاة الألمان وإلى ايطاليا بواسطة الانجلو ساكسون ومنها شمالا الى السويد والنرويج وعبر المحيط إلى ايسلندا، فاللغة الدنماركية تشبه تماماً اللغة السويدية مع الاختلاف في النطق، ومن

٢ ـ نيكولس استين Nicholaesa Sten (١٦٢٨ ـ ١٦٨٥م) ولد هذا العالم في مدينة كوبنهاجن ويعتبر من علماء الجولوجيا وأحد روادها في العالم وواحد من مؤسسيها وفي أواخر أيامه اهتم بالدراسات الدينية.

٣ ـ اولى رومر Ole Romer (١٦٤٤ ـ ١٧١٠م) ولد في مدينة اورهوس، تعلم في كوبنهاجن وتخصص في علم الفلك وكانت له محاولات لمعرفة موقع الأرض من كوكب جوبيتر Jvpiter شغل

منصب أستاذ بالجامعة أمضى حياته في مراقبة تحرك الكواكب والنجوم.

٤ ـ اورستد H.C Orsted (١٧٧٧ ـ ١٨٥١م) تخصص في الكهرباء المغناطيسية ويعتبر من مكتشفيها عام ١٨٢٠م درس القانون والفلسفة وشغل منصب رئيس الجامعة العلمية والتكنيكية.

٥ ـ نيكولس بور: ولد بمدينة كوبنهاجن عام ١٨٨٥م حصل على الدرجة العلمية العليا في الكيمياء من جامعة كوبنهاجن، تركزت أبحاثه في الطاقة الذرية والنظريات القائمة عليها، حصل على جائزة نوبل عام ١٩٢٢م وله معهد باسمه أنشئ عام ١٩٢١م.

ومن الشعراء والأدباء المعروفين في الدنمارك:

١ ـ هانز كريستيان اندرسون (Hans Chrictian Andrsen)، ولد عام ١٨٠٥م وهو شاعر وممثل مسرحي معروف.

٢ ـ ثورن لويندباي Thorn Landbye (١٨١٨ ـ ١٨٤٨م).

٣ ـ سكو فيجورد P.C Skovgoard (١٨١٧ ـ ١٨٧٥م).

٤ ـ جورن سون Joren Sonne (١٨٠١ ـ ١٨٩٠م).

٥ ـ هولجر دورتشمان Holger Drochmann توفي عام ١٩٠٨م ويعرف باسم شاعر البحر والصيادين.

ومن كتاب المسرح وأشهرهم في الدنمارك والعالم لويدفينج هولبيري ويعد واحداً من كتاب الكوميديا، عاصر هذا الكاتب فترة الحروب الدينية في اوربا.

ومن النحاتين ايدورد ايركسون Eduard Erikson وله تمثال شهير في الدنمارك من الخشب لفتاة تجلس على شاطىء البلطيق كأنها تنتظر القادمين إلى الدنمارك.

ومن الأدباء والعلماء الذين فازوا بجوائز نوبل:

ـ في الفيزياء: نيكولس بور عام ١٩٢٢م.

ـ في الطب والفسيولوجيا: فيسنين ١٩٠٣م.

كروجا Krogh, S.A.S. ١٩٢٠م.

فيبجر Fibiger, J.A.G. ١٩٢٦م.

دام DAM, H.C.p ١٩٤٣م.

في الأدب: جـجـيلروب Gjellerep, K.A ١٩١٧م. بالاشتراك مع بونتوبيدان Pontoppidian وهو دنماركي أيضا.

في السلام: باجر Bajer,F بالاشتراك مع السويدي اورنولدسون Arnoldson ١٩٠٨م.

وقبل أن نتجول معاً في بعض المدن الدنماركية وخاصة مدينة كوبنهاجن العاصمة علينا أن نتعرف معا على معنى كلمة دنمارك التى تطلق الآن على تلك الملكة الصغيرة والكبيرة في نفس الوقت، فالكلمة مشتقة في الأصل من كلمة «دانس» Dansوهو اسم لأكبر قبيلة كانت تعيش على أرض جزيرة جتيلند أكبر الجزر هناك، وكانت هذه القبيلة من القبائل الهمجية وذكرت هذه القبيلة لأول مرة في وصف الرحالة الاسكندنافي اولف ستين ، وكذلك الرحالة اوثر ، كما دونت الكلمة في أحد المحاكم الانجليزية في منتصف القرن التاسع الميلادي وكانت هذه القبيلة تعيش في الجنوب من بحر البلطيق وبعد أن تعرفنا على القليل من الكثير عن دولة الدنمارك سوف نتعرف معا على أهم معالم هذه الدولة وأهم المدن فيها.

ـ للحديث بقية ـ

ولاة البلد الأمين

هذه الحلقة الرابعة ضمن حلقات أمراء الحرمين الشريفين.. وقد سبق في الحلقة الماضية أن مكة شرفها الله كانت في أواخر عهدها في الجاهلية في حكم بنى أمية فلما فتح الله عز وجل على رسوله محمد {صلى الله عليه وسلم} هذه البلدة المحرمة والبقعة المكرمة ودخلت في دائرة الحكم النبوي المبارك وعادت الامور الى نصابها والمياه الى مجاريها وانتهى {صلى الله عليه وسلم} من ترتيب أمورها أسند ولايتها الى سيدنا الأمير عتاب بن أسيد الأموي رضي الله عنه فلم يزل عليها حتى توفى في السنة الثالثة عشرة من الهجرة فوليها من بعده:

- الأمير المحرز بن حارثة القرشي رضي الله عنه بتولية من أمير المؤمنين الفاروق سيدنا عمر بن الخطاب وذلك في شهر رجب الحرام سنة ثلاث عشرة من الهجرة فلم يزل عليها حتى عزله الفاروق رضي الله عنه وولاها:

- أبا المهاجر قنفذ بن عمير بن جدعان القرشي رضي الله عنه، أميراً على البلد الحرام كما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام وكان الأمير أبو المهاجر من أشراف قريش من بني تيم بن مرة. وقد اختلف في اسمه وكنيته والأرجح المعروف ما ذكره العلامة ابن حجر العسقلاني في الاصابة ثم عزله الفاروق رضي الله عنه وولي عليها من بعده:

- الأمير نافع بن عبد الحارث بن جبالة الخزاعى رضي الله عنه. فلم يزل عليها حتى استشهد أمير المؤمنين الفاروق، في السنة الثالثة والعشرين من الهجرة وهو على البلد الأمين فأقره أمير المؤمنين ذو النورين سيدنا عثمان رضي الله عنه على ولايته في صدر خلافته ثم عزله عنها وولاها:

- الأمير خالد بن العاص بن هشام المخزومي القرشي رضي الله عنه. ولم يزل عليها حتى عزله أمير المؤمنين الامام على كرم الله وجهه في صدر خلافته وذكر الإمام تقي الدين الفاسى في شفاء الغرام أنه تولى مكة شرفها الله للمرة الثالثة في خلافة أمير المؤمنين سيدنا معاوية بن أبي سفيان، وبعد أن عزله الامام عليّ في صدر خلافته ولاها من بعده.

- الأمير طارق بن المرتفع الكناني رضي الله عنه. وذكر ولايته الإمام الفاسي في شفاء الغرام



بقلم : **السيد ضياء محمد عطار** - المدينة المنورة

وذكر الامام ابن حجر العسقلاني في الإصابة أنه كان عاملا لأمير المؤمنين الفاروق سيدنا عمر أيضا واستشهد على صحبته بتأميره له رضى الله عنه وتوليته اياه على البلد الحرام. وممن تولي مكة شرفها الله في خلافة أمير المؤمنين ذي النورين عثمان:

- الأمير الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم المطلبي الهاشمى القرشي رضي الله عنه.

علي خلاف فيمن سبقه وفيمن خلفه عليها حيث ذكر الامام الفاسي في شفاء الغرام ولايته في خلافة أمير المؤمنين الفاروق، وذكر العلامة ابن قدامة المقدسي في أنساب القرشيين ولايته في خلافة الصديق.. وهذا فيه نظر. وقال غيرهما بولايته في زمن الفاروق ثم ذى النورين رضي الله عنهما. وقطع الإشكال الإمام ابن حجر العسقلاني في الاصابة فذكر أنه تولى بعض أعمال النبي {صلى الله عليه وسلم} بمكة شرفها الله فأقره عليها الصديق ثم الفاروق ثم ذى النورين رضى الله عنهم وهذا يعنى أنه لم يكن واليا في كل هذه العهود.

وممن تولى مكة شرفها الله في هذه الفترة وفي خلافة ذى النورين.

- الأمير على بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى القرشى رضى الله عنه.

في أوائل سنة خمس وعشرين من الهجرة على خلاف فيمن سبقه ولم يزل عليها نحو سنة واحدة حتى تولاها الأمير:

- عبد الله بن خالد بن أسيد الأموى رضي الله عنه.

وقد تولاها مرتين.. مرة في عهد ذي النورين، ومرة في خلافة أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنهما وذكر العلامة المعز بن فهد الهاشمي في غاية المرام أنه ممن توفى بمكة شرفها الله من ولاتها، وممن تولى مكة شرفها الله في زمن أمير المؤمنين ذي النورين سيدنا عثمان بن عفان.

- الأمير عبد الله بن عامر الحضرمي رضي الله عنه.

وكان عليها في سنة خمس وثلاثين من الهجرة المباركة وقد تولى مكة شرفها الله في صدر خلافة أمير المؤمنين الامام على كرم الله وجهه الأمير:

ـ سيدنا أبو قتادة الحارث بن ربعى الانصارى الخزرجي البدرى رضي الله عنه صاحب رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، وكان رضى الله عنه من أجلة الانصار وعظماء الصحابة شهد المشاهد كلها مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} واختلف في اسمه.. فمن قائل إنه النعمان بن ربعى ومن قائل إنه عمرو بن ربعى والحارث هو المشهور وقد توفى في سنة أربع وخمسين من الهجرة عن سبعين سنة على ما ذكره العلامة ابن كثير القرشى في البداية والنهاية، وذكر العلامة ابن سعد في طبقاته الكبرى أنه توفى بالكوفة وصلى عليه الامام على كرم الله وجهه وعلى هذا وفاته كانت قبل سنة ٤١ من الهجرة وهذا يخالف ما ذكره العلامة ابن كثير القرشى كما سلف.

وممن تولى مكة شرفها الله في خلافة أمير المؤمنين الامام على بن ابي طالب.

ـ الأمير القثم بن العباس بن عبد المطلب الهاشمى القرشى رضي الله عنه.

في سنة ثمان وثلاثين من الهجرة الشريفة خلفا للأمير أبي قتادة الانصارى رضي الله عنه علي ما ذكره الامام الفاسى في شفاء الغرام. وذكر الامام ابن حجر العسقلانى في الاصابة بأنه تولاها خلفا للأمير خالد بن العاص المخزومي وهذا خلاف المشهور فيما أعتقد وكان الأمير القثم بن العباس يشبه بالنبي {صلى الله عليه وسلم} وكان صلى الله عليه وسلم يردفه أحيانا على راحلته. وكان والده العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم يضمه الى صدره ويقول:

حبي قثم شبيه ذى الأنف الأشم

نبي ذي النعم برغم من رغم

وقد تولى امارة المدينة الشريفة أيضا قبل توليه البلد الحرام مكة شرفها الله ، ولم يزل رضي الله عنه على ولاية البلد الأمين حتى استشهد الامام علي كرم الله وجهه في سنة ٤٠ من الهجرة ، واستمرت ولايته بعد ذلك في خلافة أمير المؤمنين الامام الحسن بن علي رضي الله عنهما التى استمرت نحوا من سبعة أشهر علي ما ذكره العلامة أبو عمرو خليفة بن خياط في تاريخه وذكر الإمام الفاسى في شفاء الغرام أن ممن تولى مكة شرفها الله الأمير:

ـ معبد بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

وذلك في خلافة أمير المؤمنين الامام علي كرم الله وجهه وكذا قال العلامة أبو محمد ابن حزم في كتابه جمهرة أنساب العرب. ولا ادرى متى كانت ولايته على البلد الأمين في خلافة الامام على كرم الله

وجهه ومن المعلوم أنه توفى بل قتل شهيداً بأفريقية مع جيش عبد الله بن أبى سرح في سنة ٣٥ من الهجرة المباركة. كما ذكره غير واحد من المؤرخين.

وممن تولى مكة شرفها الله في بدايات سنة ٤١هـ.

- الأمير أبو الوليد عتبة بن أبي سفيان الأموى رضي الله عنه.

ولاه اياها امير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان، وكان الأمير أبو الوليد خطيبا مفوها فصيحاً حازما وقد اعترض له أعرابي فقال له: أيها الخليفة فقال لست به قال يا أخاه فقال: قل فقد أسمعت فشكى البدوى حاله وفقره فأمر له بالعطاء.

وفي سنة ٤٢ من الهجرة تولى مكة شرفها الله الأمير.

- أحمد بن خالد بن العاص المخزومي كما ذكر ولايته الامام الفاسي في شفاء الغرام وذكر هذه الولاية لأبيه الامام أبو جعفر بن جرير الطبري في تاريخه وأفاد أنه استمر حتى سنة ٤٦ من الهجرة المباركة. وذكر العلامة خليفة ابن خياط في تاريخه أن الذي تولاها أخوه عبد الرحمن بن خالد بن العاص ثم أردف قائلا: وقيل أن الذى تولاها الحارث بن خالد بن العاص بينما لم يذكر العلامة أبو المنذر الكلبي ولا العلامة أبو محمد بن حزم في جمهرتيهما في أولاد خالد بن العاص بن هشام المخزومي أحمد بن خالد هذا ولكنهما ذكرا الحارث والله تعالى أعلم بالحقيقة، وممن تولى مكة شرفها الله في خلافة أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه:

- الأمير مروان بن الحكم الأموي جد خلفاء بن أمية.

وله ولاية أيضا على المدينة الشريفة وقد ضمت له مكة شرفها الله فيما أعتقد، وبعد عزله تولى امارة البلد الحرام الأمير:

- أبو عثمان سعيد بن العاص الأموى رضي الله عنه بتوليته من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان في سنة ٤٩ من الهجرة وحج بالناس من سنته وذكر الامام أبو جعفر بن جرير الطبرى في تاريخه أنه منع توجيه اللعنة الى الامام علي كرم الله وجهه في الخطب. وكان حسن السيرة وظل عليها حتى عزل عنها في سنة ٥٤ من الهجرة لأسباب عديدة.

وكان رضي الله عنه عالما فقيها عاقلا سهلا ودوداً، وكان أشبه الناس لهجة برسول الله [صلى الله عليه وسلم] كما ترجم له الامام السخاوي في تحفته اللطيفة، وكانت مدة ولايته للحرمين الشريفين نحواً من خمس سنوات. والله تعالى أعلم.

- للحديث بقية -

سليم عبد الرؤوف

ولد سليم عبد الرؤوف محمد بدولة البحرين عام ١٩٥٨م وبها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي حيث حصل على شهادة الدراسة الثانوية من مدرسة الهداية الخليفة بالمحرق عام ١٩٧٨م.. ولظروف خاصة لم يتابع دراسته الجامعية.. إلا أنه عكف على القراءة والتثقيف الذاتي من خلال المتابعة والقراءة ويعمل الآن موظفا بوزارة الإعلام بدولة البحرين.. وقد صدرت له مجموعة شعرية بعنوان (مرثية إبليس) عام ١٩٩٢م[*].. قد يستغرب الكثيرون هذا العنوان فكيف يرثي إبليس الذي كتب له الخلود الى يوم القيامة.. فيجيب الشاعر:

مات إبليس بقلبي عندما
أشرق الحب به عطرا ونورا
فأثاب الشر خيرا عامرا
وأثاب الكفر إحسانا غزيرا
وأعاد الغدر للجاني وفا
وأعاد الشوق للمهدى زهورا
إنما محبوبه لا يرتجي
كيد شيطان إذا شاء كفورا
قلبه للحين سجن مفزع
وهواه كان للناس سعيرا
ليس مثلي مستعيرا للأذى
من سواه وللشيطان فقيرا
مات إبليس فطالت حسرتي
يغفر الله لي الذنب الكبيرا

ولعل القارىء يتساءل ما سر هذا التعاطف الذي يبديه الشاعر نحو إبليس رغم معرفة البشر لعداوته لهم وكيده المستمر لإيقاعهم في المعاصي وتحديه لكل بذور الخير التي أودعها الله في نفوسهم.. إن الشاعر يرى أن كل ذلك التحدي والمكابرة التي أبداها إبليس ولا يزال وامتلاكه لناصية الكون يسبح فيه على هواه، إن كل ذلك هو المأساة الشيطانية التي تورط فيها إبليس ولا يستطيع الفكاك منها.

لقد بدأت مأساة إبليس عندما
أتينا بسحر بعض أسمائه الشعر
فتاهت بوديان الخيال جنوده
ولم يلتفت يوما لعسكره النصر
وأصبح يغوينا فتأخذنا الخطى
إلى كهفه ليلا وفي صدرنا فجر

إن إبليس برغم هذا الوضع المزري الذي هو فيه كما صوره الشاعر لا يزال يركض علينا بخيله ورجله ويسلط علينا شياطين الإنس والجن ليلوي أعناقنا ويصدنا عن مسيرة الخير التي فطرنا الله عليها إلى أغراض دنيوية لا تتحقق إلا عن طريق الغواية والمعصية والوقوع ضحية سهم من سهام كيوبيد:

جنود إبليس لولا أنت ما انتصرت
عليّ يوما ولا كان الذي كانا
لكنه الحب سهما قد توارثه
أبناء إبليس شيطانا فشيطانا
حتى أتاك زعيم الجن يحمله
في ليلة سكرت إثما وعدوانا
فقال: يروي لنا الآباء من قدم
عن أخبث الخلق إسرارا وإعلانا
بأنه قال عن عينيك: أنهما
سيبلغان بنا أقصى خطايانا
فاصدع بما أمر الشيطان عصبته
وعذب الناس إنسانا فإنسانا
منزلك الحب تمويه وشعوذه
تبدي الإساءة للعشاق إحسانا

وإبليس لا يحصر مكائده في العلاقات الإنسانية في الحب والكره والغش والحقد.. بل يتدخل في السياسة حتى يرى الناس الحق باطلا والباطل حقا، ويذهل الشجاع عن شجاعته وينسي الرجل مواقف



بقلم : **عبدالله بن أحمد الشباط** - الخبر

رجولته وبدلا من النجدة يخلد الى الخنوع والاستسلام كما صور ذلك الشاعر في قصيدة عن آخر الأنباء:

آخـــر الأنبـــاء التي نقلوها
عن بلادي تقـول: مـات أبوها
ولقـــد آل أمـــرها لولي
أجنبي ونام عنهـــا بنوها
ولقـد فـر زوجـهـا فـاستـغـاثت
عاشـقيـهـا فلم يفـر عـاشـقـوها
ولقـد جـاء بعـضـهم بسـلاح
بدمـوع الأسى فلم ينفـعـوها
وإلى الآن حـــولهـــا كل ذنب
من عـداها يعـينهم حـارسـوها

وأحب أن أطمئن الشاعر أن الذئاب تمكنت من قلبها واستوطنت في جوفها وبعثرت أشلاءها وطردت أبناءها .. وفي منحى آخر يرى الشاعر أن جسر الملك فهد بين المملكة ودولة البحرين وشيجة عظمى من وشائج القربى والتواصل المبني على المحبة والتلاحم:

لم يبق للبـحـر هول عنك يثنيني
يا ناعس الطرف يا أحلى الرياضين
لنا مـزارك يا غـصن الرياض فـلا
تشك الزمـان الذي قـد كـان يشكيني
لقـد صبـرنا على حكم الهوى زمنا
فـأصبح العمـر وصلا غير ممنون
كم جـاءني البحر في أثواب ذي عذل
يلوم فـيك وواش عنك يقـصـيني
حـتى بنى المجـد مـا بيني وبينكم
جـســرا من الحب يدنيكم ويدنيني
الجـســر أنجـدني لما صـبـوت الى
نجد وهب صباها العذب يدعوني
والجسر قد روض الأمواج فـاحتملت
إلى رياض الأمـاني كل مـفـتـون
فـلا الحجـاز حدود البحـر تحجزه
ولا عـسيـر عـسيـر حين يصبيني

ودرب جـدة إن جـد الغـرام بنا
مـا حـال دونكم يومـا ولا دوني
كـأن تلك عصـا مـوسى التي ضـربت
فـانشق في البـحـر درب جد مـأمـون

وأحيانا يكون التعبير عن العشق للوطن.. فمثلا في مناسبة تستثير كوامن العاطفة بمناسبة تكريم الشاعر إبراهيم العريض حيث ينطلق لسان سليم عبد الرؤوف الشاعر:

الحـسن يلهـمني فنا أخلده
به فـاجـهل منْ ذو الفـضل بينهـمـا
أنا ورثنا الهـوى العـذريَّ أجـمـعـه
وثورة المتنبي حـينمـا نقـمـا
للبـحـتـري صـدى مـازال يطربنا
ولابن زيدون جـرح بعـد مـا التـئمـا

إلى أن يقول:

أن راح لبنان مـــزهـوا بـأخطله
وحـدث النيل عن شـوقـيـه الأمما
تـاهت اوال بـأن باري (عـريضـهـا)
أهل البـيـان فكان المفـرد العلمـا
سليلة الخلد.. لم تنجب حضـارتها
إلا النبـاهة والإلهـام والشـيـمـا
تعلم النجم شـيـئـا من تألقـهـا
فـصـار يزحم في عليـائه القـمـمـا

إن سليم عبد الرؤوف محمد .. شاعر مجيد إلا انه قليل النشر في وسائل الإعلام رغم كونه ملتصق بها بحكم وظيفته.

ومـا يدريك .. لعل الأيام القـادمـة تتـحـفنا بمجموعات شعرية اخرى لهذا الشاعر الذي يتربع على متن الشعر فنام عليه.

(*) معجم البابطين للشعراء العرب ص ٥٠٨/٠٢

تقنية إثارة الابتكار في القراءة

في الحلقة السابقة من موضوع (تقنية إثارة الابتكار في القراءة) والمنشورة في العدد السابق تناول فيها الدكتور/ أنور طاهر رضا الاجابة عن عدة تساؤلات منها : لماذا نتعلم القراءة؟ وماهو الابتكار؟ وماذا نقرأ؟ والفائدة من قراءة القصص، ثم تعرض الى أنواع القراءات وأوضح أن منها القراءة الاعتيادية والصامتة والقراءة الهادفة والقراءة الاستجماعية وقراءة المرة الواحدة والقراءة للحفظ.. وفي هذه الحلقة يستكمل الدكتور/ طاهر رضا ما ابتدأه سابقا..

- المنهل -

قراءة ما يحبه الإنسان ويهواه وقراءة ما لا يحبه ويهواه:

تنبع قراءة ما يحبه المرء من اختيار مواد القراءة بمحض من إرادته وطلب في نفسه، ويتم اختيار ما يحبه وما يهواه من عادة يكتسبها الإنسان بمرور الأيام تلعب دورا مهما في تشكيل ميلوه واتجاهاته ومن ثم قيمه، حتى إذا ما تم تشكيل هذه الميول والاتجاهات والقيم فإن الساعات التي يقضيها الإنسان في القراءة تتحول إلى ساعات من الراحة والمتعة والسعادة والشعور بالرضا والتلذذ وانشراح الأسارير وبشيء من الاطمئنان النفسي. وهكذا يكون الإنسان مرافقا ومصاحبا خير صديق يتسامر معه، ويقضي من عمره ساعات من الهناء وإرضاء النفس دون الشعور بالوحدة والانفراد والعزلة. قراءة مالا يحبه المرء وما لا يهواه قراءة مفروضة عليه من قبل الغير أو حتى من قبل النفس دون الشعور بالرضا أو دون أن يكون هناك ميل صادر من هوى النفس.

قد يفرض هذا النوع من القراءة على الفرد من قبل الوالدين أو القائمين بالتعليم أو حتى السلطات القائمة، قد يبدو للفرد من أول وهلة أن مثل هذه القراءة غير نافعة، طالما أنها مفروضة عليه من قبل الغير، على أن الحقيقة ليست بمثل هذه البساطة، ذلك لأن هذه القراءة قد تكون مسبقة للقراءة الأولى قبل أن يشعر الإنسان بمتعة القراءة، وقد تكون هذه القراءة بهدف تزويد الفرد بالضروريات المشتركة من الثقافة العامة، على أن الإنسان يستطيع أن يفرض على نفسه قراءة شيء لا يحبه ولا يهواه، بهدف البحث عن علاقات يمكن أن تقام بين اختصاصه من ناحية وبين ما يقرأه بدون رغبة من ناحية أخرى. وفي هذا الصدد يقترح أبستين

بقلم : **أ. د. أنور طاهر رضا** – جامعة التاسع من أيلول – كلية التربية – تركيا



**الكتاب المدرسي تفكير في اتجاه واحد، وينبغي إعادة النظر فيه.

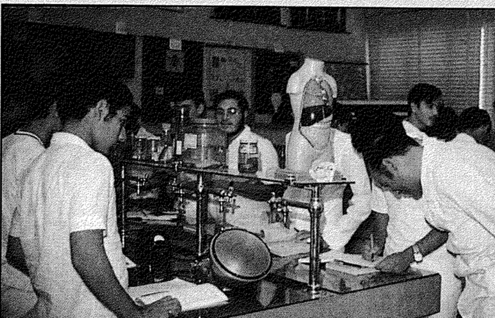
(Epstien: 1996;78) على كل فرد أن يشترك مرة واحدة كل سنة على الأقل في دورة لتعلم موضوع يكرهه من أجل تطوير الابتكار لديه.

القراءة المستمرة والقراءة المتقطعة:

القراءة المستمرة هي تلك القراءة التي يتم فيها العمل لساعات طوال بدون توقف، أما القراءة المتقطعة فهي تلك القراءة التي يتم فيها إعطاء فترات من الراحة التي تختلف من شخص إلى آخر، يبدو أن ربع ساعة من الوقت في كل ساعة من الزمن هو المعيار الأمثل للراحة، تساعد هذه الطريقة الذهن على الراحة والتركيز وجمع شتاته مرة أخرى، تتضمن القراءة المتقطعة أيضا دراسة مواد مختلفة بالتناوب، وفي كلتا الحالتين ترجح القراءة المتقطعة على القراءة المستمرة، إلا إذا كان الأمر عفويا تلقائيا، لا يروم الإنسان قطع ما هو فيه من استمرارية في التركيز حيث يدأب العلماء على القراءة الغزيرة والمستمرة، وكثيرا ما ينسون أنفسهم وهم يبحثون ويقرؤون في جو خاص قد وفروه لأنفسهم.

وإذا ما استهدف التعمق في مجال من المجالات العلمية فلابد من قراءة ما كتب في هذا المجال، تضمن القراءة المستمرة الغزارة في تراكم المعلومات في ميدان من ميادين العلم، وما لم يتم ذلك فإنه لا محال من تكرار أشياء كثيرة كان قد سبق إليها الغير، وهذا مما يفقدها أهميتها، ويعني إسرافا في الوقت والجهد والمال.

تضمن لنا القراءة الغنية إضافة إلى تراكم المعلومات خلق فرصة تطوير المواد المقروءة، توفر



من ناحية، وتعيقه من ناحية أخرى.

تعكس طريقة البراءة (in-nocence) الشيء الكثير من الابتكار، تقع هذه الطريقة في الجهة المعاكسة لطريقة خبرات الآخرين، تعتمد طريقة البراءة على ما لدى الأطفال من قابلية للابتكار الذي ينبع من براءتهم بسبب من النقص في غزارة المعلومات، ذلك لأن غزارة المعلومات قد ترسم حدودا يصعب اختراقها من قبل البعض.

ومن أجل حل هذا التناقض الموجود بين الطريقتين، والاستفادة الكاملة من امتيازاتهما معا، يلجأ إلى طريقة القراءة المتقطعة بدلا من القراءة لأيام أو حتى لساعات طويلة، وهذا يعني يوقف الفرد القراءة، ويبدأ بالتفكير فيما قرأه، ثم يقرأ من جديد، ويفكر مرة أخرى، وهكذا يستمر على هذا المنوال، ساعة من القراءة تليها ساعة من التفكير فيما قرأ خير من القراءة لساعتين متتاليتين، ويكون الفرد بذلك قد طبق بالقراءة طريقة خبرات الآخرين، وطبق بالتفكير طريقة براءة الأطفال، وتضاف بذلك أفكار جديدة للمواد المقروءة بتطبيق هاتين الطريقتين بالتناوب.

يؤكد دي بونو (De Bono, 1993; 44) أنه ينبغي استخدام طريقتي براءة الأطفال الكلاسيكية وخبرات الآخرين معا من أجل الحصول على المتراكم في المعلومات والإتيان بأشياء جديدة تستخدم طريقة خبرات الآخرين عندما يراد الدخول الى مجال علمي جديد لتعلم ما هو موجود في ذلك العلم، على أن طريقة براءة الأطفال لا تحتاج الى مثل هذا الإجراء يبقى

القراءة للشخص من ناحية أخرى فوائد الإطلاع على الموجود الذي يساعده في النظر إلى الأمور من زوايا مختلفة، وقد يخطو المرء خطوة أخرى إلى ما بعدها، قد يفتح الطريق لأفكار جديدة.

على أن القراءة الغزيرة قد تعيق اكتشاف ما هو جديد إذا ما تمت بطريقة غير صحيحة، ذلك لأن القارىء قد يبقى تحت تأثير المواد المقروءة، فلا يستطيع أن يتجاوزها، ويصاب بشيء من القنوط واليأس، وقد يفكر بأن كل شيء قد اكتشف في هذا المجال، وليس هناك من شيء جديد يمكن أن يضاف إلى ما هو موجود، على أن الأمر معكوس تماما، ذلك لأن المعرفة إنما تتضاعف بطريقة تشبه الانفجار تماما، وهذا يعني أنه كلما تضاعفت المعرفة كلما كانت هناك مجالات اكبر واحتمالات أكثر للتطوير والتوسيع.

يرى دي بونو (De Bono: 1993: 43-45) أن هناك مصدرين للابتكار، هما: خبرات الآخرين وبراءة الأطفال، يطلق على خبرات الآخرين بطريقة الابتكار الكلاسيكية، يحاول الفرد بهذه الطريقة امتلاك شيء كان قد امتلكه أفراد آخرون، على أن هذا الامتلاك يطغى عليه التقليد، ويضمن التقليد الشيء القليل من الابتكار، تفيد القراءة الغزيرة إذن الابتكار

المرء بخبرات الآخرين تحت تأثير ما هو موجود في علم معين إذا ما اكتفى بالقراءة، ولم يستخدم طريقة براءة الأطفال، أما إذا ما استخدم طريقة خبرات الآخرين فقط فإن أفكاره إنما تفتقر إلى الأصالة، وإذا لم تطبق هذه الطريقة بالمرة فيكون هناك إسراف في الوقت والجهد، تكون فرصة الفرد الوحيدة هي التحدي والتوجه نحو الاتجاه المعاكس لا غير، وهكذا يقرأ كل شيء من أجل كسب المهارات، أما إذا أريد الابتكار والأصالة فلا حاجة الى قراءة كل شيء، ومن أجل حل هذا الإشكال فإنه ينبغي على المرء أن يقرأ أولا ما فيه الكفاية من أجل فهم كنه الميدان الجديد، يتوقف المرء بعد ذلك عن القراءة ويفكر تفكيرا عميقا فيما قرأه، وعندما يصل الأمر بالفرد إلى تطوير بعض الأفكار التي سبق وأن قرأها يعيد القراءة من جديد، وهكذا تتناوب عمليات القراءة والتفكير واحدة تلو الأخرى.

القراءة وتصنيف بلوم والابتكار:

لقد كانت المحاولات التي بذلها بلوم لتصنيف الأهداف التربوية حركة مهمة بدأت في الخمسينيات من هذا القرن، وتركت آثارا مهمة لازالت تحافظ على أهميتها - صنف بلوم الأهداف التربوية الى ذهنية وعاطفية - قسم الأهداف الذهنية الى ستة مستويات، تضمنت المعرفة والاستيعاب والتطبيق والتحليل والتركيب والتقييم، رتب بلوم الأهداف التربوية ترتيبا تصاعديا من السهل إلى الصعب بين المستويات من ناحية وفي داخل المستوى الواحد من ناحية أخرى، تتضمن جميع المستويات من التصنيف والابتكار، على أن المستويات الأدنى منه تتضمن القليل من الابتكار، ويزداد هذا الابتكار كلما صعدنا نحو المستويات العليا، يوجد أقل مستوى من الابتكار في التقليد الذي ينبني على أخذ المعرفة من الآخرين، يزداد الابتكار بتطوير المعرفة التي جاء بها الآخرون، يتمثل هذا التطوير في الاستيعاب، ويزداد في التطبيق والتحليل، يتمخض التركيب والتقييم اللذان يقامان على المستويات السابقة عن الكثير من الابتكار.

القراءة والمعرفة:

يقصد بالمعرفة تذكر مواد تعلمها المرء في فترة سابقة، والمعرفة هذه واسعة المدى تبدأ في أبسط مستواها بالتعرف على الحقائق الخاصة كالرموز اللفظية وغير اللفظية من تواريخ وحوادث وأشخاص وأماكن - يعتبر التعرف على الطرائق والوسائل التي تتعامل مع الحقائق الخاصة مستوى متوسطاً من هذا الصنف، تتضمن المعرفة أيضا الوسائل التي تعالج عرض الأفكار والظواهر، ومعرفة العمليات والاتجاهات والتغيرات في الظواهر التي تتعامل مع الزمن، ومعرفة التصنيفات والتقسيمات والرتب في أي علم من العلوم، ومعرفة المعايير التي يتم بواسطتها الحكم على الحقائق والمبادىء والآراء، ومعرفة الطرائق التي تتم فيها الدراسة في حقل معين، تعتبر معرفة العموميات والمجردات أعلى مستوى من

** الدراسة بأسلوب التلقي والتلقين خطأ كبير في حق الاجيال.

** تنمية قدرات الطلاب تقوم على حرية التفكير وسماع آرائهم ومناقشتها بعقلانية حرة.

** الابتكار انفتاح على خبرات الآخرين والافادة منها في الجديد المبتكر.

** مناهج الدرس عندنا لم تعد قادرة على مسايرة العصر.

التعقيد في هذا الصنف، يتضمن هذا الصنف معرفة المبادىء والتعميمات التي تفيد في التفسير والوصف والتنبؤ وتحديد أنسب النشاطات الملائمة التي يجب تبنيها، تتضمن أيضا معرفة النظريات والبنيات التي تشمل هيكل المبادىء والتعميمات مع علاقاتها المترابطة، التي تعرض وجهة نظر منظمة في ظاهرة أو مشكلة أو حقل معقد.

ومن أجل التوصل إلى اكتشاف جديد في ميدان معين فلابد من تملك ثروة علمية كافية في هذا الميدان، لا يُتوقع من جاهل أن يكتشف شيئا جديدا مهما في يوم من الأيام، ذلك لأنه لا يملك التراكم العلمي الكافي الذي يؤهله لمثل هذا الكشف، ومن دون تملك تراكم علمي كاف يكاد يكون من المستحيل ابتكار شيء جديد، ولهذا السبب لم تخترع الطائرة قبل خمسمائة سنة، ذلك لأن التراكمات العلمية الى حد ذلك اليوم لم تكن كافية بالمرة، على أن بعض المفكرين والعلماء المبتكرين جدا قد يأتون بأفكار سابقة لأوانها، وقد تكون هذه الأفكار نتيجة لذلك سببا في خلق مشاكل كثيرة لهم، والتأريخ مليء بأمثلة كثيرة من هذا النوع، على أن ديمقراطية هذا العصر وانتشار التكنولوجيا قد قلل من مثل هذه الأزمات، هذا ومن ناحية أخرى فان هناك نوعا من التطور الذي يحصل في ميدان الاكتشافات.

إن إيجاد المكنة التي تسيّر الجهاز على الأرض على سبيل المثال خطوة ممهدة لطيرانه في السماء، يسجل تاريخ المدنية الحديثة اكتشاف العجلة بأنه أهم اكتشاف في التأريخ، ذلك لأن هذا الاكتشاف إنما فتح الطريق لمكتشفات كثيرة بحيث لا يمكن عدها أو حصرها تماما.

لا تؤدي قراءة المعرفة الإنسانية وحدها الى الابتكار، على أنها تشكل القاعدة الأساسية التي ينبني عليها الابتكار، فلا يمكن إقامة البناء، ولا يمكن أن يتوقع الابتكار بدون وضع هذه القاعدة، فأهمية القراءة للابتكار هنا كأهمية تحضير التربة للنبتة الجديدة، تشكل المواد المقروءة من ناحية أخرى مثيرات لأفكار جديدة، ولولاها لما ولدت هذه الأفكار الجديدة، وما كانت في حيز الوجود.

تسجل الملاحظات التي تؤخذ نتيجة القراءة في أوقات متباينة بشكل منتظم في سجل أو بآلة، الأقوال تزول وتتلاشى وتذهب هباء إذا لم يتم تسجيلها بطريقة ما، والذين يعتمدون على ذاكرتهم يصابون بخيبة أمل في كثير من الأحيان، والأفكار تنير الذهن بسرعة البرق ثم تزول وتتلاشى وتدخل في تعداد النسيان، وقد لا تخطر بالبال مرة أخرى، لا يمكن الاعتماد على الذاكرة في هذه المجالات، ذلك لأنها لا تسعف الإنسان بالمطلوب في حينه أو حتى بعده، وقد قيل إن الذاكرة خوانة، وهذا الأمر صحيح حتى بالنسبة لكبار العلماء منهم، فتسبب عند ذاك في إصابة صاحبها بخيبة أمل كبيرة، وبندم حيث لا ينفع الندم شيئا، أما الباقي فهو المدون على شيء والمسجل بطريقة أو بأخرى، كما أنه يمكن تسجيل الأفكار والأقوال على الورق يمكن تسجيلها أيضا على آلة التسجيل الصوتي أو الكومبيوتر، وإذا ما احتفظ بكل هذه المواد فإنها تشكل بمرور الأيام المواد الخام للابتكار والإبداع والكشف والاختراع.

هذا ومن ناحية أخرى فإن الأفكار المتباينة التي ترد في الخواطر أثناء القراءة ينبغي أن تسجل لكي لا يغيب عن البال غيابا تاما، يطلق أبستين (Epstien: 1993;75) على هذه الطريقة اسم القبض (cap-turing). تقفز فكرة جديدة من اللاشعور إلى الشعور، كما تنير ومضة معينة الذهن بسرعة خاطفة كالبرق، إن الحركة السريعة لهذه الومضات إنما تولد

صعوبة في الاحتفاظ بها ولهذا السبب فإن الأفكار المبتكرة كهذه والتي لا تسجل إنما تغيب عن البال سريعا، ولا يمكن إنقاذها من طي النسيان مرة أخرى، ولكل شخص طريقة خاصة في أخذ الملاحظات، على أن هذه الطرائق يمكن أن تطور نحو الأحسن، ومهما تكن هذه الطرائق فإن المهم أنها تحافظ على الأفكار وتخلصها من النسيان، يذكر في تأريخ الاكتشافات أن أوتو لوي (Otto Loewi) العالم البايولوجي الذي كان يجري تجارب مضنية مستمرة على الخلية الحيوانية لسنوات طويلة لا يستطيع حل المشكلة التي كانت تشغل ذهنه منذ بضعة سنين، واستطاع أخيرا أن يحل هذه المشكلة في حلمه، فأفاق من نومه، وسجل ملاحظاته في الظلام ثم نام مرة أخرى، على أنه لم يستطع أن يقرأ خط يده بعد أن نهض من نومه في الصباح، وهكذا فقد نسي الحل الذي انتظره بصبر لسنوات طويلة، على أن هذا العالم كان محظوظا جدا، فقد رأى الحلم نفسه في الليلة التالية، وما أن أفاق من نومه في هذا المرة حتى أشعل المصابيح، وعجل بالذهاب إلى مختبره، وسجل حلمه كاملا دون أن يدع أي مجال للنسيان، لقد حصل هذا العالم نتيجة أعماله هذه على جائزة نوبل العالمية الشهيرة.

القراءة والاستيعاب :

يعرف الاستيعاب بأنه القدرة على إدراك معنى المادة، يتضمن الاستيعاب ثلاثة مستويات، يحقق المستوى الأول تحويل مادة من شكل إلى آخر أو بترجمة مضمون من لغة الى لغة أخرى، يتضمن المستوى الثاني التفسير والتلخيص اللذين يشملان نوعا من إعادة التنظيم، يتضمن المستوى الأخير توسيع المواد بتحديد تطبيقاتها ونتائجها وملحقاتها وآثارها التي تتفق مع الشروط التي حددت في الأصل.

تلخيص المواد المقروءة وتسجيلها طريقة جيدة من الطرائق التي تؤدي إلى الابتكار، تسجل معلومات كافية عن المصادر بتفاصيلها التي تغني من العودة إليها مرة أخرى، يتضمن تلخيص المواد المقروءة قدرا اكبر من الابتكار الموجود في المعرفة، ويتضمن التلخيص تمييز الأفكار الأساسية وغير الأساسية من بعضها البعض، وتثبيت الأفكار الأساسية، وترك غير الأساسية منها، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل تصاغ المواد المقروءة بشكل يؤكد فيه على المعنى أكثر مما يؤكد فيه على ألفاظ الكاتب، إلا إذا كانت مصطلحات خاصة، تكتب المواد المقروءة بتعبير القارىء الخاص مع الاحتفاظ بالمعنى الموجود في المضمون، تفسر أفكاراً معينة تتطلب التفسير أو توضح بناء على خبرات القارىء الخاصة، تعاد صياغة المادة من جديد.

القراءة والتطبيق :

يتضمن التطبيق القدرة على استخدام المجردات التي تعلمها المرء سابقا في مواقف جديدة مادية وخاصة، قد تتضمن المجردات أفكارا عامة وتعليمات الطرائق أو طرائق معممة، وقد تكون مبادىء تقْنيَّة وأفكارا ونظريات لابد من تذكرها وتطبيقها.

إن التطبيق العملي للقراءة هو تنظيم ملفات خاصة لما يقرأه الفرد، تحقق هذه الملفات فوائد كبيرة للشخص، ومع تقادم الزمن تتجمع خزينة معلومات كثيرة في هذا الملف، لها قيمة كبيرة لا تقاس بمال، يوضع في هذا الملف مما يقرأ من كل شيء غريب وعجيب مما يجلب الانتباه، تتضمن محتويات هذه الملفات أيضا آراء الشخص نفسه وآراء الآخرين، تُجْمَعُ أيضا أفكار ومقالات وبحوث وصور ورسوم وإعلانات وصور هزلية (كاريكاتورات) وأشياء حقيقية، تكون هذه المعلومات مهمة في إثارة الابتكار لدى الفرد، يلقى الفرد بين فترة وأخرى النظر إلى محتويات هذه الملفات، ويحاول بذلك فيما بعد أن يوجد علاقة بين

** مناهج التعليم ينبغي أن تتقدم عصرها وزمانها.

هذه المواد من ناحية والقضايا التي تشغل فكره، وتتطلب حلا لها من ناحية أخرى، وهكذا تلعب محتويات هذه الملفات دورا كبيرا كمثيرات لأفكار جديدة.

القراءة والتحليل:

التحليل هو القدرة على تجزئة كل واحد مترابط إلى عناصره الأولية بهدف توضيح هذه العناصر وفهمها، يتضمن التحليل أيضا توضيح الترابط والتفاعل والعلاقة الموجودة بين هذه العناصر والبنية التنظيمية التي تكوّن الكل. فتحليل الكل الى عناصره يمثل المستوى الأول، وتحليل العلاقات يمثل المستوى الثاني منه، بينما يمثل تحليل المبادئ التنظيمية المستوى الثالث منه.

يعتبر تحليل المواد المقروءة الى عناصرها الأولية مهما جدا من زاوية الابتكار، تستخدم هنا طريقة الابتكار التي يطلق عليها بطريقة التعويض، يحاول الفرد حسب هذه الطريقة أن يغير بعض هذه العناصر ويعوضها بعناصر أخرى من صنع تفكيره وخيالة، ويظل يفعل ذلك إلى أن ترجح كفة عناصره التي هي من صلب أفكاره على كفة الأفكار المتبقية في الكل الذي تتكون منه المادة المقروءة، وكلما زادت أعداد العناصر التي يغيرها في المواد المقروءة كلما أضحت المادة الجديدة شيئا خاصا به، لقد كانت الانطلاقة الأساسية من أفكار الآخرين، بينما أمست النهاية فكرة جديدة مبتكرة بالشخص.

القراءة والتركيب:

التركيب هو عكس التحليل، إلا أنه أصعب منه ويتضمن القدرة على وضع مجموعة من العناصر والأجزاء في كل جديد مترابط لم يكن موجودا سابقا، على أن الأمر ليس فقط جمعا بسيطا للعناصر، وإنما هو عبارة عن تفاعل تام بين هذه العناصر لتكوين كل جديد، فالعلاقات موجودة في التحليل، أوجدها صاحب الفكرة، وما يطلب من القارئ تحديد العناصر والعلاقات، تتمخض صعوبة التركيب من حيث أن القارئ هو الذي يوجد هذه العلاقات، يتضمن التركيب في المستوى الواطئ إنتاج علاقات فريدة من الأفكار والمشاعر والخبرات، يتضمن في المستوى المتوسط منه إنتاج خطة من مجموعة من العمليات المقترحة، يتضمن في المستوى العالي منه اشتقاق مجموعة من العلاقات المجردة، يتطلب التركيب تأكيدا على السلوك المبتكر الخلاق، وذلك بتكوين أنماط أو بنيات جديدة.

تتجمع لدى الفرد بمرور الأيام عناصر كثيرة من قراءاته المختلفة، سواء منها التي احتفظت في الذاكرة أو الملخصات التي كتبت أو تلك التي دونت على شكل ملاحظات مكتوبة حول المواد المقروءة أو الأفكار التي راودت الفرد خلال القراءة أو مواد أخرى جمعت من هنا وهناك، إلقاء النظرة على هذه المواد بين فترة وأخرى مهم جدا من حيث أنه يفيد في تبصر علاقات وروابط جديدة وتشكيل كل جديد لم يكن موجودا سابقا.

قد يكون الكل الجديد، الذي ابتكر نتيجة التركيب، قصة أو شعرا، رسما أو نحتا، قطعة موسيقية أو لحنا، مقالة أو بحثا، كتابا أو مخترعا جديدا، وأصالة الشيء الجديد ترفع من قيمته، وتكامل جوانبه المختلفة يضيف هو الآخر أهمية أخرى للفكرة الجديدة، تعتبر الفكرة متكاملة إذا تضمنت تفاصيل دقيقة تشمل جوانبه المختلفة، أي أن الكل يكون عاما وشاملا للموضوع الذي هو بصدده، تكون جوانب الموضوع مترابطة ترابطا عضويا، فيشكل كل عنصر عضوا أساسيا مهما، يضيف إلى الكل شيئا ما ويدعمه، وإذا ما حذف أي عنصر من الكل فانه يسبب تخلخلا في هذا الكل، يسهل تحديد انتماء كل عنصر إلى الكل، تكون هناك علاقة بين أي عنصر وعنصر آخر، وبين أي عنصر منه والكل.

القراءة والتقييم :

يقصد بالتقييم القدرة على الحكم في قيمة مادة معينة، قد تكون قرارا أو شعرا أو رواية أو مقالة أو بحثا أو كتابا أو مخترعا، يكون الحكم كميا أو كيفيا، إيجابيا وسلبيا، حول ما إذا كانت المادة تخضع لمعيار معين من صنع الفرد، أو يزود به عندما يطلب منه الحكم، تكون الأحكام على نوعين، يتضمن النوع الأول إصدار أحكام بناء على الأدلة الداخلية كالدقة والترابط والاتساق، يتضمن النوع الثاني إصدار أحكام بناء على الأدلة الخارجية التي يتم بمقتضاها مقارنة المادة بمثيلاتها، ويحدد بناء على ذلك موقعها من تلك المواد.

ينبغي أن يكون القارىء مقتنعا بأن كل فكرة أو نظرية أو رأي أو قول أو كتاب أو بحث أو مكتشف أو ما إلى ذلك، مهما كان صاحبه، قد صيغ في ظروف خاصة به وبكاتبه، وفي زمان ومكان معينين، إن هذه المسميات ليست نهائية أبدا، ولن تكون كذلك في يوم من الأيام، وهي إنما تمثل وجهة نظر هذا الكاتب الشخصية، والكاتب قبل كل شيء إنسان، والإنسان معرض للخطأ، وكما أن الإنسان يصيب أحيانا فهو إنما يخطأ أحيانا أخرى.

إن كل شخص، من ضمنهم العلماء، إنما هم أناس يخطئون كما يخطىء غيرهم. بل تكون هذه الأخطاء أحيانا أفضح عندما ننظر إلى أفكارهم بمنظار دقيق، بما وفره لنا العلم والتكنولوجيا من جديد في حاضر الأيام، ينظر كل إنسان إلى الأمور بمنظار خاص ومن زاوية متباينة، كما أن هناك جوانب مشتركة بين الأفراد، فإن هناك فروقا فردية شاسعة جدا فيما بينهم، والنظرة الخاصة بشخص ما، من ضمنه القارىء، مهمة جدا، لأنها تمثل وجهة نظره الشخصية، تزداد أهمية هذه النظرة عندما تكون فريدة بهذا الشخص المعين، أي عندما يستطيع هذا الشخص أن يرى مالا يراه الآخرون، وهذا هو الابتكار بعينه.

هذه القناعة إذا ما رسخت في القارىء فإنه يتشجع لتقييم أعمال الآخرين، من تلك التي يقرأها هنا وهناك، واستخدام معيار من صنع الفرد في التقييم أفضل من استخدام معيار من صنع الآخرين، ذلك لأن وضع المعايير فيه هو الآخر ابتكار جديد، يقع بعض الأفراد أسيرا لخبراتهم السابقة، فيصدرون أحكاما مسبقة متحيزة لشخص أو لفكرة، العودة إلى آراء من لهم صلة بالموضوع والأطفال الصغار طريقة للتخلص من تأثير هذه الأحكام المسبقة.

توصيات :

وانطلاقا مما سبق عرضه يمكن درج التوصيات التالية:

- يستطيع كل إنسان أن يكون مبتكرا، إذا خصص وقتا كافيا لهذا الغرض - إن الوقت المصروف في هذا المجال هو رأسمال المبتكر - ورغم أن استثمار رأسمال معين في التجارة لا يضمن ربحا أكيدا، فإن استثمار رأسمال الوقت المصروف من أجل الابتكار لا يضمن بالضرورة الحصول على الأفكار المبتكرة، كما أنه لا يمكن الحصول على الربح بدون استثمار المال، فلا يمكن الحصول على أفكار مبتكرة بدون استخدام رأسمال الوقت، يكون الوقت بذلك قد استثمر في هذه المرة خير استثمار.

- التدريب على تقنيات طرائق الابتكار مهم جدا، وطرائق الابتكار كثيرة، تتضمن ما تتضمن القراءة المبتكرة والتوقف المبتكر، ينبغي أن يكون كل شيء موجها ومنظما، وألا يترك المجال للصدف أبدا، والشخص عندما يتعلم تقنيات طرائق الابتكار، ويطبقها، إنما يستطيع أن يضاعف ابتكاراته أضعافا مضاعفة.

- إننا إنما نعيش في عصر معلومات متراكمة هائلة تضاعف نفسها كل بضعة من السنين، والساعات المدرسية محدودة، وليس لدينا من الوقت الكافي بحيث نزود أطفالنا في المدارس كل شيء، وهو في واقع الأمر مستحيل، وهكذا فإن ما تدرسه المدارس في أي مجال من مجالات العلوم تظل شيئا ضئيلا بالنسبة لذلك العلم، تكاد تشكل قطرات ماء حائرة في بحر لجي مترامي الأطراف، ولهذا السبب ينبغي التسرع في

الوصول إلى مصادر المعلومات أينما كانت والاختيار الصحيح المناسب من هذه المعلومات، على أن المدرسة وحدها لا تستطيع أن تفعل كل شيء، ولهذا ينبغي الاستفادة من مصادر المعلومات الموجودة في المجتمع، ومن بين هذه المصادر الكتب والمجلات والجرائد والأشخاص والراديو والتلفزيون والمعارض والسفرات والمتاحف والمكتبات ومراكز التقنيات التربوية.

- تؤكد التقنيات التربوية أنه لابد من تعليم الطلبة طرائق التعلم بدلا من تقديم العلم إياهم كلقمة جاهزة، لقد وفرت التقنيات التربوية الحديثة ما كان يستحيل على الإنسان الوصول إليه قبل عقد أو عقدين من الزمان، لقد سهلت هذه التقنيات الوصول إلى مصادر المعلومات تسهيلا منقطع النظير - يحقق الكومبيوتر الوصول الى أغزر مصادر المعلومات عن طريق الشبكات الضوئية - وبناء على ذلك يجب أن يدرب الطلبة على كيفية الاستفادة من هذه الأجهزة - وينبغي أن يتضمن مثل هذا التدريب كيفية استخدام الأنترنت.

- ينبغي أن يواجه المعلمون وأولياء الأمور الأسئلة والأفكار والحلول التي تطرح من قبل التلاميذ، والتي قد تبدو غريبة منذ الوهلة الأولي، بكثير من التفهم والاحترام، ينبغي مكافأة أفكار التلاميذ المبتكرة، يجب أن يؤكد دائما على أن أفكار التلاميذ الشخصية مهمة جدا بقدر أهمية ما يقرؤونه في الكتب والمراجع الأخرى، ينبغي على المعلمين إفساح المجال للتلاميذ لتعلم ما فيه الكفاية والتفكير والكشف من دون تهديدهم بالتقييم والقياس.

- لا يمكن معرفة زمان ومكان الأفكار التي تخطف سريعة في الذهن، لذا ينبغي على كل فرد أن يحمل قلما وأوراقا معه في كل وقت وحين، فتسجيل الأفكار بسرعة لا يعطى فيها أي مجال للنسيان. لقد ذكر الأجانب أن الأفكار المبتكرة إنما تراود المرء كثيرا في ثلاثة أماكن خاصة هي الحمام والسرير والباص - لذا ينبغي توفير مستلزمات التسجيل في هذه الأماكن أيضا -

- يمكن تعليم مهارة تسجيل الملاحظات لتلاميذ المدارس الابتدائية والمتوسطة والبالغين والعاملين في مؤسسة معينة - يستطيع الأباء وأولياء الأمور والإداريون أن يرفعوا من ابتكارات من يعملون معهم بتدريبهم على تمارين بسيطة في تسجيل الملاحظات واستخدام المواد المناسبة.

- يجب تشجيع الاطفال على القراءة الغزيرة منذ نعومة أظفارهم، وعندما يشجع الأطفال إلى القراءة الكثيرة فلابد لهم أن يدربوا إضافة الى المواد التي يقرؤونها كيف يجب عليهم أن يقرؤوا، ينبغي على الأطفال تجنب القراءة السلبية بأي حال من الأحوال، القراءة السلبية هي تلك القراءة التي تتم بدون تركيز تام على المادة المقروءة، ويكون الفكر خلالها مشتتا نسبيا، تختلف هذه النسبة من شخص إلى آخر، ومن قراءة الى أخرى، يلتزم الأفراد بدلا من ذلك بالقراءة المبتكرة، إن أمر تدريب الأفراد على القراءة المبتكرة ضروري جدا ضرورة القراءة نفسها، الأساس في القراءة المبتكرة أنها لن تكون من أجل قضاء وقت الفراغ، بل تكون من أجل تطوير الأفكار المعروضة في المادة المقروءة، فيحتاج الأمر إلى تركيز تام وتفكير وتأمل وتمحيص وتخيل، ينبغي التوقف على المادة المقروءة توقفا مبتكرا، ويتم بناء على ذلك تحديد الجوانب المختلفة لهذه المادة لما تتضمنها من أفكار، وتحليل هذه الأفكار، وتطويرها، وتوسيعها للتوصل إلى أفكار بناءة جديدة نتيجة لذلك، ينبغي تحليل الصور المرافقة لهذه المواد إضافة إلى تحليل المواد المكتوبة، ينبغي على المدارس العمل على كسب التلاميذ بالعادات الدراسية الجيدة، وأن يدربوا بشكل خاص على تقنية القراءة السريعة، تعليم التلاميذ على كيفية استخدام المكتبة منشط مهم آخر من المناشط الضرورية، وحسب هذا المنشط فان التلاميذ يتعلمون طرائق تصنيف الكتب ومحل وجود الكتب والمجلات والجرائد والقواميس ودوائر المعارف والاطروحات والرسائل وكيفية الوصول إلى هذه المراجع المختلفة.

- ينبغي على المعلمين قراءة الكثير من القصص، ذلك لأن توصية شيء إنما تتطلب خبرة في ذلك الشيء، وقبل أن يوصوا طلبتهم على قراءة قصص

معينة فلابد أن يكونوا بأنفسهم قد قرؤوا هذه القصص، إن قراءة المعلمين لقصص كثيرة توفر لهم الفوائد التي تحققها هذه القصص بالنسبة للطلبة، وهكذا تكمل النواقص الموجودة لدى المعلمين، ويكونون في الوقت ذاته على إطلاع بهذه القصص، وهكذا يستطيعون إجابة أسئلة الطلبة المختلفة بدون تردد واضح.

- تعتبر قراءة قصص الأطفال مجالا خصبا ومناسبا لتحقيق الابتكار لدى الطلبة، تعتبر القصص آثارا مناسبة جدا يكتسب بها العادات الدراسية الحسنة، ولهذا السبب فان المعلمين يجب أن يشجعوا طلبتهم على قراءة القصص لا في أوقات فراغهم فحسب، بل حتى في الساعات المخصصة لدروس اللغة العربية، فأبطال القصة والحوادث التي تجري في القصص إنما تجذب انتباه التلاميذ، تنمي كثرة قراءة القصص الثروة اللغوية لدى الأطفال، تضمن ذلك التعبير عن أفكارهم بطريقة منظمة وبشكل سليم، وهذا ما يساعدهم على نقل أفكارهم الى الغير بطريقة صحيحة وفعالة، تشكل قراءة القصص من ناحية أخرى الأساس الذي تنبني عليه كتابة القصص، ينبغي أن يطلب المعلمون من طلبتهم تلخيص القصص التي يقرؤونها بألفاظهم الخاصة، وأن يلقوا هذه الملخصات أمام زملائهم في الصف، ويستفيد بذلك جميع الطلبة، ويشجعون على قراءة هذه القصص، تحفظ هذه الملخصات في ملفات خاصة وتقرأ بين فترة وأخرى، وهكذا توضع اللبنة الأساسية لكتابة الطلبة مثل هذه القصص بأنفسهم.

- تستطيع الجامعات والكليات أن تكون مراكز لتنويع الثقافة العامة - تنظيم دورات تدريبية للطلبة وأفراد المجتمع الآخرين في مواضيع مختلفة من السنة - تعطي هذه الدورات مردودات جيدة من زاوية الابتكار والإبداع - توسع هذه الدورات على الأقل آفاق تفكير المشتركين فيها، إن المناقشات والمؤتمرات والندوات التي تقام في الجامعات تغني وتنوع الثقافة العامة للمشتركين ممن هم من أهل الاختصاص أو من غيرهم، ينبغي زيادة مثل هذه الفعاليات وفتحها لجميع أفراد المجتمع ونقلها من قبل وسائل الاتصال المختلفة.

- تعتمد التربية التقليدية على نظام الكتاب المدرسي المقرر الواحد في الموضوع الدراسي الواحد المقرر من التطبيق - ذلك لأن خطورة هذا النظام تكمن من حيث أنه يربي كتلة إنسانية تفكر في اتجاه واحد فقط - ينبغي تنويع المقررات الدراسية وترك أمر اختيار المناسب منها الى الطلبة وأولياء أمور الطلبة، إن تنويع الأفكار يولد الغنى والثراء ويزيد بين الناس التسامح والصفح الجميل، ولهذا السبب فقد أشار النبي محمد {صلى الله عليه وسلم} إلى أن في اختلاف أمته رحمة - وهو أيضا من الخطوات الضرورية لتنشئة جيل يؤمن بالديمقراطية ويحترم آراء الآخرين، لا يمكن تطوير الابتكار والابداع إلا في جو يسوده مثل هذا الجو الديمقراطي.

المصادر العربية:

*** رضا، أنور طاهر (١٩٨٣) «الأهداف التربوية: نقطة البداية في العملية التربوية» مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة قاريونس، ١٢، ٧٧ - ١١٢.**

*** رضا ، أنور طاهر (٢٠٠٠) التربية في القرن الحادي والعشرين - جاهز للطبع.**

المصادر الأجنبية:

-De Bono, E. (1993) Serious Creativity: Using the Power of Lateral Thinking to Create New Ideas. London: Harper Collins.

- Epstein R. (1996) Capturing Creativity. Psycholog Today, 29 (4), 36-40.

- Papanek, V. (1978) Design for the Real World, London: Granada.

- Riza, E.T. (1999) Yaraticiligi Gelistirme Teknikleri. Izmir: Anadolu Mat.

رحلة في المكتبة





أحمد حسن الزيات



غلاف الكتاب

١٧

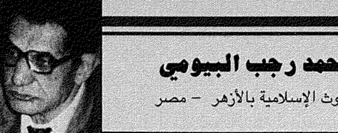
في أصول الأدب

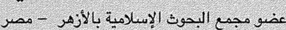
تأليف
الأستاذ أحمد حسن الزيات

تخيرت أن أتحدث عن هذا الكتاب، لأن أحد الناقدين قام بحملة ظالمة عليه، لم يتجه فيها إلى نقد أفكاره، فهذا من حق كل ناقد، ولكنه اتجه الى نقد أسلوبه، حيث يرى أن الزيات كتب كتابه بأسلوب الأديب المحتفل بالعبارة، وكأنه يكتب مقالة ذاتية من مقالات وحي الرسالة، وهذا عيب كبير في نظر الناقد! وأنا أعجب لهذا التطاول حين يجيء في غير موضعه، لأن أسلوب الزيات البياني قد زاد الحقائق العلمية التي تعرض إليها في محاضراته الأدبية ومقالاته العلمية المجموعة في هذا الكتاب وضوحاً وإشراقا، ودفع بالقارىء إلى الإلمام به في غير عسر، وقد منيت الدراسات الأدبية بنفر من الباحثين، يظنون البحث مجرد نُقُول وتعقيبات، نُقُول تحتشد وتتزاحم مع مباهاة بتعدد المراجع، وولع بتسطيرها، وأرقام صفحاتها، ومرّات طباعتها، والجهد في ذلك عند هؤلاء هو موقع الاهتمام دون نظر إلى صقل العبارة، واطراء الأسلوب، والقارىء الدارس يغضي عن قصورهم ملتمسا لهم أبواب العذر، فإذا جاء أحدهم اليوم ينعى على الزيات إشراق العبارة الأدبية في محاضراته العلمية، فذلك موضع الاستغراب ، وهو في الوقت نفسه ينبىء عن مركب نقص يشعر به الناقد ويحاول أن يستره فلا يستطيع.

لقد تحدث الزيات في كتابه عن موضوعات كان السابق إليها قبل أن تتوالى البحوث من بعده معتمدة عليه وعلى سواه، لقد كان أوّل من أرّخ لكتاب ألف ليلة وليلة في صفحات متصلة كانت مرجعاً لمن نرجع إليهم من المستشرقين، ولئن جد اليوم من امتد بالبحث الى نقاط لم يصل إليها الباحث الرائد، فحسبه أنه كان رائداً، ومن يدرى لعلنا نجد اليوم من يتهمه بالقصور، حين يوازن بينه وبين من كتب بعده بأربعين عاما!! غافلا عن مرور الزمان وأثره في نضوج الأفكار، واستقامة القضايا وصواب النتائج!

وكثيراً ما نقرأ اليوم بحوثاً مثمرة عن أثر الثقافة العربية في العلم





بقلم : أ.د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر – مصر

والعالم، وكلها تاليةٌ لما أبدعه الزيات في هذا المجال حين حاضر في هذا الموضوع بالعراق أول الثلاثينيات إذ كان أستاذاً للأدب العربي بدار المعلمين العليا ببغداد وقد شهدتْ ساحة هذه الدار محاضراته عن «ألف ليله وليلة» وعن «الأدب العربي وحظ العرب من تاريخه» وعن «العوامل المؤثرة في الأدب»، وكلها مدونة في (أصول الأدب) وقد جاء مؤلفو كتاب «الأدب التوجيهى» من رجال الجامعة فاعتمدوا على محاضرات الزيات، ولم يكادوا يزيدون عنها في شيء إذ كان سابقاً غير مسبوق، وإذ كان أسلوب الزيات من الروعة بحيث جذب الأنظار الى حقائقه العلمية جذباً قويا، فمن الخطأ أن نتنكر لهذا الأسلوب ونحن لا نستطيع أن نحتذيه، وتبعاً لهذا الاتجاه لا يجب أن نتنكر لمباحث الجاحظ وعبد القاهر وأبى حيان وابن الأثير وكلها ذات أسر بليغ.

بدأ الكتاب بمحاضرة تحت عنوان (الأدب وحظ العرب من تاريخه) فتعرض المحاضر للأدب وصلته بالفرد وأثر القومية في الأدب مقارنة بأثر الاستعمار، وألمَّ بمعنى الكلمة في اللغة والاصطلاح، واختلاف الأنظار في توجيهها، ويمكن أن يكون ذلك مما دُرِس من قبل، ولكن الجديد في هذا البحث حديث الزيات عن جهل العرب بتاريخ الأدب ومدعاة ذلك، حيث ذهب الى أن العرب تميزوا في كتابة التاريخ الخاص دون العام، فهم في التاريخ الخاص قد بلغوا غاية الافتنان حين أولعوا بتراجم النابهين في كل فن على تباين أوطانهم وأزمانهم وعلومهم، فجاءت هذه التراجم إما مرتبة على حسب الأسماء أو حسب الأنساب، فمن القسم الأول منهج ابن خلكان في وفيات الأعيان وابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات، وصلاح الدين الصفوى في الوافى بالوفيات، ومن الثانى منهج السمعانى في كتاب الأنساب، وهذا كله في التاريخ العام لهؤلاء الرجال، أما الكتب الخاصة بطبقات معينة في علوم معينة كطبقات المفسرين وطبقات النحويين، وتاريخ الحكماء فما أكثر ما تناولها مؤرخو العرب، وقد أفاض الزيات في الاستشهاد بهذه الآثار إفاضة شافية مستوفاة، حتى انتقل الى التاريخ السياسى العام فقال إن طريقهم في سوقه ملتوية عقيمة، ونظرتهم في حوادثه سطحية كليلة، لأنهم غالباً ما يسردون السنين سنة فسنة فيروون ما وقع في كل سنة من الحوادث على تباين الأمكنة، واختلاف الموضوعات فيصبح تاريخ كل سنة مجموعة أفكار مفككة لا صلة بينها ولا رابط.

وهناك طريقة أخرى هى رواية الحوادث على حسب سياقها ما أمكن ذلك، ولكن دون تعليل وتفسير، كما أهملوا في كتابة التاريخ ما يتبعه من علوم متصل بحقائقه كعلم السجلات وعلم المسكوكات وعلم الآثار وعلم النقد وعلم الاقتصاد وعلم الإحصاء.

وأقول لأستاذنا الزيات إن الرجوع الى هذه العلوم في كتابة التاريخ لم يبدأ في أوربا إلا في أوائل القرن الخامس عشر وهو فجر النهضة الأوربية، فإذا كان العرب غير ملمين بما طرأ من بعد، فهم معذورون، وقد عدَّ الزيات ابن خلدون بين من اكتفوا بالسرد وقرنه بالمسعودى وابن الطقطقي وابن العبري، وفي هذا ظلم فادح للمؤرخ العربي الكبير، ومكانة ابن خلدون لا تَخْفى على باحث بصير كالزيات، ولكنه نظر الى تاريخه دون مقدمته، ولو رجع إلى المقدمة لعرف أنه خطا خطوات بارعة في ما يريد من التحقيق والدراية، وعيب ابن خلدون أنه لم يطبق آراء المقدمة في الأجزاء الخاصة بالتاريخ، ولو فعل لبلغ الذروة التي يريدها الأستاذ الزيات، ولكن حسبه أن التفت الى ما لم يلتفت إليه سواه، وقد قال المؤلف في خاتمة بحثه: إذا كان العرب قد جهلوا الطريقة الصحيحة في التاريخ العام، فلهم عذرهم إذا لم يكتبوا التاريخ الأدبي، واكتفوا بالتراجم الأدبية في كتب الموسوعات!.

ولئن جهل العرب كتابة التاريخ على النحو المنشود، وسجّل عليهم المؤلف ذلك، فقد عُني بإبراز توفيقهم الكبير في نشر الثقافة في العالم جميعه، وما كتبه الزيات تحت عنوان (أثر الثقافة العربية في العلم والعالم) من المصابيح الأولى في هذا الباب، حيث

تحدث بإشباع عن الأمم التي بلغت رسالات الله، وفضل العرب عليها جميعها، وهو فضل لم يسطّره الزيات تعصبا واستعلاء، بل إقرار لحقيقة علمية تاريخية لا يجرؤ على إنكارها إلا من يضْطَغنون على الاسلام لأمور يحسونها في صدورهم، وقد أتى الزيات برأى رنيان المتعصب للأردية على السامية مقارنا بآراء المنصفين ممن سجلوا للعرب سبقهم البارز في علوم الطب والهندسة والصيدلة والطبيعة والكيمياء، كما دفع دفعا صارما الفرية القائلة بأن العرب قد فقدوا الأصالة الفكرية في بحوثهم، إذ كانوا في العلم حميلة على اليونان وتراجمة لآثارهم دون تجديد أو اختراع!! دفع ذلك بتسجيل أسماء الكتب العلمية، والمؤلفين من العرب والمسلمين، وكتب في ذلك صفحات مشرقة مشرفة يصعب تلخيصها في هذا المجال، ونحمد الله إذ ظهرت كتب مستقلة تتحدث عن الجهود العلمية للعرب، ومن هذه الكتب أسفار كتبها المنصفون من الأوربيين، بل إن جامعات علمية في أوربا قد خلعت على مدرجاتها اسماء الرازى وابن الهيثم والبيروني والخوارزمي وابن النفيس اعترافاً بأثرهم الكبير، ولو عاش رينان حتى رأى ذلك لفغر فاه دهشا! وقد ختم الزيات بحثه راجيا أن تكون ثقافة العرب وهي عصارة أذهان الشعوب، وخلاصة أديان الشرق حَرِيَّة أن تبعث في آدابنا القوة، وفي أخلاقنا الفتوة وفي نهضتنا الحركة والطموح[١].

وهذا الإنصاف الدقيق لا يجعلنا نتهم الباحث إذا أخذ النقد العربى القديم بمآخذ جوهرية في مضمونه، حيث ذهب إلى أن من يطلع على ما أثر عن السلف من النقد والموازنة يجد الخطأ في الأقيسة والخلل في الموازين، لتحكم الذوق الخاص واستبداد الهوى المطلق، وارسال الحكم الناقد على غير قاعدة مرسومة، ولا مذهب معين، فربما اكتفوا في تقديم شاعر أو تفضيل بيت بالعبارة السريعة أو الإشارة المبهمة، وضرب المثل بأبى منصور الثعالبي إذ أفرد أبواباً طويلة لشعراء رتبهم ترتيباً زمنيا ثم حكم على كل شاعر بجملة من جزاف القول لا تعليل فيها، كذلك فعل اللغويون من أمثال الأصمعى إذ ذكروا عن الشعراء أقوالا لا غناء فيها، وأحكاماً لا أسباب لها، أما قدامة فتدور الموازنة عنده على الأبيات المفردة، وتخرج بنتائج مختلفة عن مثل الفرزدق وجرير أو أبى نواس ومسلم أو البحترى وأبى تمام دون حجج حاسمة. حتى كتاب الموازنة للآمدى لم يخلص لقضية كلية إنما قامت الموازنة فيه بين أبيات مفرده من مطالع أبي تمام مع اختيار ما يقابلها من مطالع البحترى، ثم يعلق عليها تعليقا موجزاً لا يتصل بموضوع القصيدة ووحدتها ولا غرضها ولا سياقها، كأن لم تكن عضوا في جسم ولا جزءا من كل. ولذلك تفرغ من الكتاب وأنت لا تدرى أي الشاعرين أفضل: وقد فكر الزيات في أسباب هذا القصور الواضح في نقد الشعر مع تعدد الكتب الأدبية التي تعرضت للنقد بإسهاب مطيل، فكّر الزيات في هذا القصور، ورجع به الى خمسة أشياء أوجزها، في سيطرة[٢] اتجاه اللغوين والنحويين على الشعر التماساً لموضوع الشاهد اللغوى أو النحوى دون نظر الى الفن الشعرى، وفي الاكتفاء لدى علماء البلاغة بالبيت الواحد أو المصراع الواحد دون النظر إلى السياق، وفي أن القصيدة العربية ساعدت على هذه التجزئة إذ هى عدة أغراض تتفق في الوزن والقافية وتختلف في الموضوع، كما جدّ من يحارب اتصال البيت السابق بأخيه اللاحق ويعده عيبا، وهذا هو الشاهد في التراث النقدي فعلا، وأذكر أنى في كتابي (أحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد) قد فصلت هذا الإجمال تفصيلا وافيا، وقلت في التعليق على نقد الزيات ما ملخصه[٣]، «إن هذه الأسباب مسلمة في إطارها العام. ولكن ما ذكره الزيات في مقدمة نقده يحتاج الى نقاش لأن ما قاله عن الخطأ في الأقيسة والخلل في الموازين، وتحكم الذوق الخاص واستبداء الهوى المطلق، كل ذلك على إطلاقه غير مسلم، لأن نقد السلف تقلَّب في طورين؟ النقد الذوقى العام، ويصاحب الأدب منذ نشأته الى القرن الثالث، لأن القرن الرابع حفل بمؤلفات موضوعية لا تعتمد على العبارة السريعة، ولا يتحكم فيها الهوى المطلق، ومن أظهر هذه المؤلفات كتاب الآمدى والجرجاني فمع ما فيهما من مآخذ نجدهما يعتمدان على الوجهة الموضوعية ذات التحليل الوافي، وبهما ابتدأ النقد المنهجي الصحيح متجاوزا ما سلف من النقد الذوقي».

وفي كتاب «في أصول الأدب» فصول رائدة عن الرواية المسرحية في التاريخ والفن، وعن أنواع الرواية

من مـأسـاة وملهـاة مع تحليل لأشـهـر الروايات من النوعين، واهتمام بالفنان الفرنسي موليير وأشهر ملاهيه كالمتوحش والبخيل والنساء عالمات، وبعد ذلك إلمام مفيد بالدرامة والمسرحية الغنائية هزلية وجدية، والملحمة طبعية وصناعية، وأشهر الملاحم كالإلياذه والأوذيسه منتهياً إلى القول في الملاحم عند العرب ليتحدث عن ملاحم بنى هلال ورسالة الغفران وقصة عنترة!.

وفي الباب الثاني وهو باب المقالات آراء فاحصة تتجه وجهة النقد الصادق، وأظهرها ما كتبه الزيات عن شوقى وعن حافظ، إذ كتب عن أمير الشعراء فصلا خاصا به تضمن الحديث عن شعره التقليدي وشعره التجديدى، ولشوقى مكانة خاصة لدى الزيات ظهرت واضحة في مقدمة حديثه إذ قرر في وثوق ان مروج عبقر قد قام عليها رتاج منيع منذ مات المتنبي فلم يرفع في مدى متطاول حتى ظهر شوقى! ولا أدرى لماذا نسى الزيات أبا العلاء المعرى والشريف الرضى وهما بمكانتهما الشعرية لا يقلان في عصرهما عن أحمد شوقى، وكأنى به يرى أبا العلاء ذا فكر عويص يبعد به عن أجواء الشعر الصافي، ويرى الشريف ذا نزعات توجد لدى غيره، فلا فضل في حجازياته ووجدانياته، وهذا ما لا أميل إليه، ثم أنصف شوقى حين قال إن معارضاته الشعرية للفحول من أمثال المتنبي والبحترى وابن زيدون وأبي تمام ليست تقليدا وإنما هي مبارزه لأنه يحاكيهما في الشكل لا في الموضوع، وهذه المحاكاة محتملة لأنه يضيف فيها بدائع خالدة من ابتكاره الذاتي، أما التقليد المعيب حقا في رأى الزيات فهو افتتاح بعض القصائد السياسية بغزل مصطنع مثل قصيدته التى مطلعها:

اثـن عـنـان الـقـلـب واسـلـم بـه
مـنْ ريـرب الـرمـل ومـن سـربـه

وفي مقال آخر وازن المؤلف بين شوقى وحافظ[٤]، فقال إن شوقى شاعر العبقرية، وحافظا شاعر القريحة فالقريحة، ملكة يملك بها صاحبها الإبانة عن نفسه بأسلوب يقره الفن، ويرضاه الذوق ومن خصائصها الوضوح والاتساق والأناقة والسهولة والدقة، اما العبقرية فضرب من الإلهام يستمر استمراراً تجديديا فتلازم أحياناً، وتنفك أحيانا ومن أخص صفاتها الإبداع والأصالة والخلُق، فالرجل العبقرى يعلو ويسفل تبعاً لقيام العبقرية به أو انفكاكها عنه، ثم هو في عظام الأمور سبّاق، وفي محاقرها متخلف لأن الجليل يوقظ خاطره، ويحفز طبعه، والحقير الوضيع ينخزل عن مكانه فلا يبلغ موضع التأثير فيه.. وامتد الزيات يفصل هذا الرأى بما يملك من أسباب، ويستشهد من أبيات.

ولا أترك حديثه (في أصول الأدب) غير أن أشير إلى توفيق الزيات في دفاعه عن الفصحى باعتبارها لغة راقية في الحوار المسرحي[٥]، إذ ذهب بعض النقاد الى ضرورة اتخاذ العامية في الحوار لأنها قريبة من الواقع العملي، وقد دحض الزيات هذا الرأى مشيراً الى أن القصّاص المقتدر يستطيع أن يخلق في نطاق الفصحى ما يجعل الحوار الفصيح يؤدى رسالته في إتقان، أما القول بأن الحوار لغة العامة فلا يمنع أن نعبر عن هذه اللغة بالفصحى لتؤدى أداء العامية، ونحن نترجم عن شكسبير وغيره، وننطق بلغة عربية عما قاله باللغة الانجليزية حواراً وسرداً، ولم يقل قائل إن الحوار لابد أن يكون بالانجليزية ليؤدى دوره الصحيح! وما جاء به الزيات من الأدلة يميل برأيه الى الرجحان لدى من يهتدى الى الصواب دون لجاج، كما دافع الزيات عن ارتقاء الملهاة[٦] عن المجون والخلاعة لأن الفكاهة ليس معناها الابتذال والانحطاط، ودعاة هذا التبذل يهبطون بالفن الى أسفل مهاويه!

إن كتاب في أصول الأدب ممتاز في موضوعه والذين عابوه بقوة بيانه، وجزالة أسلوبه، يعيبون أنفسهم بأنهم لا يرتقون الى مستوى الأداء البليغ، وعليهم أن يدرسوا العربية من جديد.

الهوامش:

(١) فى أصول الأدب ص ١٥٣ ط ٣.
(٢) فى أصول الأدب ص ٥٠.
(٣) احمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد للدكتور محمد رجب البيومي ص ٣١٥ ط جامعة الإمام.
(٤) في أصول الأدب ص ١٧٩.
(٥) في أصول الأدب ص ٣٢١.
(٦) في أصول الأدب ص ٣٣١.

١٤

تحذير السليم من الآيس كريم

قصَّ أبو المعالي الحظيري[١] قصة فريدة على ندمائه بدار وراقته ببغداد بعد رجوعه من الأندلس محملا بالهدايا والحلوى والمن والسلوى، قال: لما انتصر أمير المرابطين يوسف بن تاشفين على الإسبان المجرمين في معركة الزلاقة[٢]، ووحد الأندلس، وخلّصها من ملوك الطوائف، توافد عليه العلماء والأدباء يهنئونه بالفتح المبين، وردع الجائرين الذين جزأوا البلاد، وجعلوا أهلها شيعا، وصدق فيهم القائل:

ألقـــابُ مملكة في غـــيــر مـــوضـــعــهـــا
كـــالهـــرّ يحكي انتــفــاخـــا صـــولة الأســد

وقد حمل اليَّ البريد بطاقة دعوة من صديقي ابن خفاجة[٣] الناظم المطبوع الذي شهد بتقديمه الجميع، المتصرف بين أشتات البديع، مالك أعنة المحاسن وناهج طريقها، العارف بترصيعها وتنميقها، الناظم لعقودها، الراقم لبرودها، فلبيتُ الدعوة ورحلتُ إلى الأندلس، فتلقاني بالحفاوة والتكريم، وعرّفني بابن تاشفين، وأغدق عليَّ من المال السمين، ثم اصطحبني من جزيرة شُقْر في رحلة الى سائر مدن الأندلس فخرجنا الى سرقطة وطليطلة وبلنسية وشاطبة وقرطبة وغرناطة وإشبيلية ومالقة، وابن خفاجة لا يفتأ يشرح ويصف ويترنم، وقد استولى عليَّ العجب مما رأيت من رياض سندسية وأنهار فضية، وحدائق مخملية، وقصور وأزهار وثمار وأطيار، وساحات فساح وغوان ملاح فقلت:

ما أجمل أرضكم، وما ألطف جوكم، وما أبدع نطقكم يا أبا إسحاق.

فقال:

إن لــــلــــجـــــنــــــة فــــي الأنـــــدلـــــس
مُـــجْــــتـــلى حـــــســن وريـا نَـفَس
فــسنا صُـــبْـــحــتــهـــا من شَنَب
ودجى ظـلـمــــتـــهــــا مـن لـعس
فــإذا مـــا هبّت الريحُ صـــبـــا
صـــحــتُ: وا شـــوقي إلى الأنـدلس[٤]



بقلم : **د. أحمد عطية السعودي** - الأردن

قلت: حقا وصدقا لقد أبهجتْ بصري رؤيتُها.

قال:

في أرض أندلس تلتذ نعماء
ولا تفارقُ فيها القلبَ سراءُ
وكيف لا تبهج الأبصارَ رؤيتُها
وكلُّ روض بها في الوشي صنعاء
أنهارها فضة والمسك تربتُها
والخزُّ روضتُها والدرُّ حصباء[٥]

فقلت (مداعبا): ورغم أننا مشينا على حصبائها الدرية وتربتها المسكية إلا أننا تعبنا وجفّ من أجسامنا ماؤها فأنعشنا يا أبا إسحاق بعصير الليمون ثم عززه بالفالوذج، ثم اجعل ختامه السِّكباج[٦]، فإنه يعدل المزاج ويفرح الأوداج!

فطخطخ ضاحكا وقال: أين أنت من الدنيا يا أبا المعالي، لا تعرف إلا الفالوذج والهريسة والسكباج والكنافة والقطايف؟

قلت: وما جرى في الدنيا؟

قال: جرى فيها إبدال وإعلال وتغيير في الميزان الصرفي، وحل الاختصاص محل الاشتغال، وسال جامد الحال، وأضيف إليه وحُلي بأل، فتكون نظير العسل والخل!

قلت: فما الذي تكوّن؟

قال: الآيس كريم! قلت: إيش هذا؟ العرب لا تعرف إلا ليسَ وأيسَ[٧]!

قال: لهذه الحلوى قصة، أتذكر لما قال المعتمد بن عباد لوزيره ابن عمار وقد تساقط البرد، أجزْ:

نثر الجوُّ على الأرض بردْ

فأطال ابن عمار الفكرة، فقالت فتاة على نبع الماء تسمى اعتماد:

أيُّ دُر لنحور لو جمدْ!

فتعجب المعتمد من حسن ما أتت به، فتزوجها وولدت له أولاده الملوك النجباء؟

قلت: أذكر ذلك ولا أنساه!

قال: فإن ابن عمار لما عجز أراد أن يعوّض عجزه، ويرفع مكانته في نظر المعتمد، فأمر المهرة الحذاق بجمع البرد في أكواب صغيرة كهيئة المخروط، وتحليتها بالسكر والنكهة الطيبة، ثم قدمها لمولاه فقال المعتمد: أيش يا كريم؟ قال: هي حلواء. فتناقل الناس الخبر، وظنت الجواري الإسبانيات أن اسمها أيش كريم فحرفنه فصار: آيس كريم!

قلت: لا أعرف في الثلج والبرد إلا قول جرير:

مثلوجة الريق بعد النوم واضعة
عن ذي مثان تمجُّ المسك والبانا!

قال: مثلوجة الريق لأنها أكلت البوظة وشربت بعدها القازوزة!

قلت: ما أدري والله ما تقول؟ أورد هذا في معاجم العربية؟!

قال: تسألني وقد عقد لها ابن دريد فصلا في جمهرته فقال:

«ومن أسماء الآيس كريم: البوظة وهي فارسية، والغلاس فرنسية، والجيلاتي ايطالية، والدون دورمة تركية، وليس لها في العربية اسم لأن الخليل كان يعافها».

قلت: هل هذا الآيس من رحمة البائس يقضم أم يخضم أم يبلع أم يجرع؟

قال: بل يُلحس ويلاس، ويمص ويتلمظ، وليس كالجلي، والخشاف والزلابية والكوكتيل والجاتو[٨] التي يقول آكلها: هاتوا هاتوا! وتؤكل صيف شتاء، أما البوظة فلا تؤكل في يوم بلّة عصبصب بارد هلّوف!

قلت: فالأولى إذن يا أبا إسحاق، أن نسمي البوظة أو الآيس كريم باسم «الجَميْدة»[٩] لأنها تستحب في أشهر الحر، وترطب جسم المعتر، رغم أنها لا تسمن ولا تضر!

قال: جميدة على وزن فعيلة مثل: وليمة وهريسة ووكيرة، اسم رائع يألفه الأعراب!

قلت: فأسمعني يا أبا إسحاق ما جاء في الجميدة عن الأعراب.

قال: أبشر يا حظيري: قيل لأعرابي: كيف أنت وقطعة من جميد؟ قال: آكلها وأقول هل من مزيد!

وقيل لآخر: ما اسم البوظة عندكم؟ قال: الجميدة. قال: فإذا سخنت. قال: لا ندعها تسخن!

قلت: لعل أبا نواس قد عاب على الفضل بخله بالجميدة فكنى عنها بالخبز والسمك فقال:

رأيتُ الفضل مكتئبا
يُناغي الخبز والسمكا
فقطّب حين أبصرني
ونكّس رأسهُ وبكى
فلمّا أنْ حلفتُ له
بأني صائمٌ ضحكا!

قال: هو ما تقول بإجماع النقاد العدول!

قلت: وهل يتناول أمير المرابطين شيئا من الجميدة يعينه على مواجهة الفرنجة؟

قال: لو تناولها لتناوشته رماحهم، أتظن أنه ما انتصر في الزلاقة إلا بالآيس كريم، والشوكلاته، والمرتديلا، والهامبرغر يا أبا المعالي! إن الأمة التي تروم السيادة لا يعرف أطفالها ناهيك عن رجالها التسالي والمكسرات والكراميل والمثلوجات!

قلت: الآن أدركت لم كان الخليل الفراهيدي يعافها فلم يجعل لها اسما في «العربية»! ولكني لم أذقها بعد، فهلا طيبت لساني بمصّ رضابها يا أبا إسحاق:

يا فاضلا قد تبدى
كأنه الغصن قدا

قد اشتهى البوظَ ضرسي
فأجلده بالبوظ جلدا[١٠]

قال: علام حذفت تاء البوظة؟

قلت: على الترخيم تفاؤلا بلحسها ولعقها على لغة من ينتظر!

قال: هي عند العلماء محل نظر، وإن طعمتها فسوف تستلب منك الجد والاجتهاد، والغيرة والفضيلة، وتصيبك بالربو والالتهاب، وتردّ شهادتك لدى القاضي، وتكون كالعجوز والعطّار!

قلت: وكيف كان ذلك؟

قال: عجوزٌ تمنتْ أن تكون صبية

وقد نحل الجنبان واحدودب الظهرُ

فسارت الى العطار تبغي شبابها

وهل يُصلح العطارُ ما أفسد الدهرُ!

قلت: فما قال الأطباء الفقهاء في الجميدة؟!

قال: ذكر الطبيب ابن البار[١١] أن دهن الخنزير يستعمل في تحضير البوظة والكراميل والجيلي والبيتي فور، وأجبان الفرنج وأطعمتهم، وأنه يُذهب الغيرة ويجلب السرطان!

قلت: عفوك اللهم، لا مقام لي بعد اليوم في ديار تسلب الفطنة وتمحق البركة، وإن عدت الى بغداد فسأضع رسالة يسترشد بها العِبَاد أجعل عنوانها بالخط العريض:

«تحذير السليم من الآيس كريم»!!

الهوامش:

(١) الحظيري: أبو المعالي سعد بن علي، أديب شاعر وراق، له «زينة الدهر»، ت ٥٦٨هـ - ١١٧٢م.

(٢) وقعت الزلاقة سنة ٤٧٩هـ - ١٠٨٦م وحفظت الأندلس اربعة قرون بعدها (كان سقوط غرناطة ٨٩٧هـ - ١٤٩١م).

(٣) ابن خفاجة: أبو إسحاق ابراهيم، شاعر أندلسي، لقب بصنوبري الأندلس، ولد وتوفي بجزيرة شقر ٤٥٠هـ - ٥٣٣هـ.

(٤) الأبيات لابن خفاجة.

(٥) الأبيات لابن سفر المريني.

(٦) الفالوذج: حلواء من دقيق وماء وعسل. السكباج: لحم مقطع يطبخ مع الخضراوات.

(٧) أيش: أي شيء. أيس: خلاف ليس. يقال: ائت به من حيث أيس وليس: من حيث يكون ولا يكون.

(٨) الخشاف: شراب من منقوع أو غلي الفاكهة. الزلابية: حلواء من عجين تقلى بالزيت. الكوكتيل والجاتو: معروفان.

(٩) الذي أطلق اسم الجميدة على الآيس كريم هو د. مختار هاشم من سوريا (انظر العربي عدد ١٩٨٨/٣٥٣ ص ٢٠٢).

(١٠) أصل البيت: قد اشتهى اللحم ضرسي فاجلده بالخبز جلدا.

(١١) هو الطبيب الفقيه محمد على البار عضو المجمع الفقهي الإسلامي، كما ذكر ذلك د. أحمد حسين صقر، وجمع هذه الآراء د. عبد الحليم عويس في كتابه «الرعاية الصحية في الإسلام» (كتاب الشرق الأوسط ص ١٠٠ - ١٠٩).

الحلقة المفقودة في التصنيع الخليجي ٠٠ وكيف يمكن للخليجيين إيجادها [*]

في هذا الموضوع ينبغي أن نحدد، بشكل لا لبسة فيه، أموراً في تقنية الصنع التي يهمنا الاستحواذ عليها في دول الخليج٠٠ من أجل مستقبلنا ومقدرتنا على التنافس في القرن الحادي والعشرين٠٠ القرن الذي لا يتم فيه التنافس على قدم المساواة، ولا يُنال فيه الحق، ولا تدفع فيه المخاطر، ولا تتحقق فيه الغلبة إلا لمن هو قادر عليها٠٠ قادر بوسائل لا تفهم الدنيا إلا لغتها، بكل الأسف، حسبما برهنت لنا أحداث القرن العشرين وما قبله من قرون.

فإذا ما حددنا هذه الأمور، بات لزاماً علينا أن نقترح حلا علميا ويمكن تطبيقه عمليا، في نفس الوقت، تم التوصل إليه عن طريق البحث العلمي، يكفل لنا الاستحواذ الحاسم والسريع والبنَّاء على هذه الوسائل، وخلال مدة قصيرة نسبياً لا تزيد عن عقدين من الزمن٠٠ من البدء الجدي المنظم المستمر في عملية الاستحواذ الحقيقي على تلك الوسائل.

إن أدوات الحل الذي يكفل لنا تحقيق ذلك تستعدي منا أن نناقش أموراً كثيرة، وليست هذه هي مناسبة بحثها، ولهذا فقد أحببت أن ألخصها وباختصار في ثلاثة أسس٠٠ هي:

الأساس الأول: نظام سياسي مستقر وأمنٌ مستتب. وفي دول مجلس التعاون، فهذا أمر نحمد الله عليه، ولا نشكو منه، بل وتحسدنا كثير من الدول على ما نحن فيه.

الأساس الثاني: شعور حقيقي بالخوف، تدركه جميع مستويات الأمة، على ديننا وعروبتنا ولغتنا وتراثنا ومستقبلنا بين الأمم ٠٠ شعور يحفزنا للتحدي الإيجابي، ولأن نتوجه باهتماماتنا وأفعالنا توجه المدرك لهذا الخوف، المرتب، ترتيباً صحيحاً وسليماً، لأولويات وأهمية الأشياء التي يقوم بها والتي تحفظنا بعد الله، من التآكل في هذا الكون٠٠ التآكل الذي دق ناقوس الخطر على وجوده فينا وحدوثه خروج العرب والمسلمين من الأندلس، وتمكن المستعمرين، على حقب مختلفة، من النفاذ الى البنية الثقافية والحضارية لكثير من الدول العربية والاسلامية وإفسادهم لها، والتمكن من احتلال فلسطين، ومن يدري فماذا سيأتي بعد فلسطين، وما إلى ذلك من مشاكل لا تخفى على الجميع ولا يمكن حصرها في هذه المناسبة.

الأساس الثالث: والذي نحن بصدده، هو امتلاك حاسم وسريع وبنَّاء لتقنية صنع المعدات٠٠ امتلاك يحولنا من دول مستوردة ومستعملة ومستهلكة من الدرجة الأولى للمعدات التي تنتجها القواعد الصناعية في العالم الصناعي٠٠ الى دول يمتلك أبناؤها، أكرر٠٠ يمتلك أبناؤها، القدرة التكنولوجية المتطورة لصنع أهم هذه المعدات، فيتفاعل هذا الأساس مع الأساسين سالفي الذكر لتحقيق القدرة الذاتية التي تشد صلبنا في القرن الحادي والعشرين.

بقلم : د. بهاء بن حسين عزي
رئيس مركز الدراسات الاقتصادية والصناعية - السعودية

إن الأمرين الأول والثاني ليسا من اختصاص هذه الورقة.. ولا من اختصاص معدها، ولهما رجالهما.

أما الأمر الثالث فهو الموضوع الذي أفنيت عمري فيه بحثاً ودرسا بارتكاز على خبرة طويلة في إدارة المشاريع الصناعية، ولعلي أوفق في تقديم تفاصيله لكم ملخصة في هذه الورقة.

فنحن سنبحث معاً في الحلقة المفقودة في التصنيع الخليجي، وما سببها، وما علاقة ذلك بمشكلة تطوير التقنية الخليجية. ثم نحدد مكان الحلقة المفقودة في هذا التصنيع ونبين آثار إيجادها على إمكانية التطوير التقني، وعلى استكمال التصنيع الخليجي لأهم فعالياته التطويرية التي تصل به في النهاية الى القدرة على التطوير الذاتي (Internalisation) في التصنيع.

ونقدم ملخصاً كافياً لكيفية الحل، ونترك تفاصيله لمناسبة أخرى.

ما هو المعيار الذي نقيس به التصنيع الفعّال الذاتيّ التطور؟ :

يمكن القول بأن التصنيع، في دولة ما، قد أصبح تصنيعاً فعالا وذاتي التطور (Internalised) عندما تكون هناك قدرة يمتلكها أبناء تلك الدولة ويستطيع أي منا أن يراها بوضوح وينبهر بها.. تلك القدرة التي تمكنهم من إدارة وتشغيل واختراع وصنع وإنتاج وتطوير منجزات الصناعة المتكاملة ومنتجاتها المختلفة سواء ما كان منها للاستهلاك أو من معدات الإنتاج لمختلف المنتجات كالسيارات وسفن التجارة وبوارج الحرب ومعدات الأبحاث العلمية والمعدات المفرزة للرخاء والمعدات التي تستخدم في حماية هذا الرخاء.. وكذلك القدرة على إجراء البحث العلمي العميق في شتى المجالات.. وهي أيضا القدرة على تطبيق واستغلال واستثمار نتائج هذه الأبحاث وما تتفجر به عقول العلماء والباحثين من مخترعات ومكتشفات بتحويلها من إنجاز نظري الى إنجاز ينتجونه بأنفسهم وأيديهم وملكاتهم سواء للاستخدام أو للاستثمار.

هذا هو المعيار الدقيق والصحيح الذي لا يختلف فيه اثنان.. وهو الذي يجب أن نستخدمه لقياس القدرة الصناعية لأي بلد..

فالبلد الذي يستطيع أن يفعل قدراً مهما مما يشتمل عليه هذا المعيار، هو بلد صناعي، والذي لا يستطيع أن يفعل قدراً مهما مما يشتمل عليه المعيار، هو بلد غير صناعي، وهناك من هم بين هذا وذاك.

فإذا استخدمنا هذا المعيار لقياس القدرة التصنيعية في أي بلد صناعي متقدم فإننا نجد أن أبناء ذلك البلد الصناعي إما أنهم ينجزون بالفعل كل ما اشتمل عليه المعيار، أو أنهم يمتلكون القدرة على أن يقوموا بإنجازه لو ارادوا.. وأن الذين لم يقوموا بإنجازه بشكل كامل فإنما تمنعهم من ذلك عوامل اقتصادية أو عوامل سياسية.

دول الخليج والمعيار :

أما نحن في دول الخليج فحديثو عهد بالتصنيع طبعاً، ولقد قطعنا شوطا كبيرا في إنجاز العديد من مشاريع البنية الأساسية وقطعنا شوطاً جيداً في اتجاهين صناعيين من ثلاثة اتجاهات صناعية وتنموية كنت قد تحدثت عنها في الفصل الثالث من رسالتي

للدكتوراه وأنه لابد من السير فيها جميعا وتطويرها في آن واحد.. وفيما يلي أنقل تحديدا لهذه الاتجاهات الثلاث.. كما وردت في الرسالة:

١) إتجاه يتعلق بإقامة المشاريع التي ترتكز على استغلال ما نمتلكه من ثروات طبيعية. وقد قطعت دول الخليج في هذا الاتجاه شوطا كبيرا يتمثل في بعض المشاريع البترولية والمعدنية.. كما أنه اتجاه يجري العمل على تطويره باستمرار.

ومع أنه اتجاه ضروري.. بل لابد منه لدول كدول مجلس التعاون الخليجي، لكنه لا يؤدي الى امتلاك الخليجيين لتقنية صنع المعدات بشكل سريع وحاسم.. كما يثبته الواقع المشاهد.

٢) إتجاه ثان يتعلق بإقامة المشاريع التي لها ضرورة قومية واقتصادية أو أمنية والتي لا يستطيع البلد أن يستغني عن منتجاتها في حالة الأزمات العالمية. وقد قطعنا فيه شوطا كبيرا أيضا يتمثل في المشاريع الزراعية والغذائية وبعض الأدوية وما في حكم ذلك. وهو أيضا اتجاه ضروري ولكنه لا يؤدي الى امتلاك الخليجيين لتقنية صنع المعدات بشكل سريع وحاسم.. كما يثبته الواقع المشاهد.

٣) إتجاه ثالث، وهو هنا نقطة التركيز.. فهذا الاتجاه الصناعي لا يقام لضرورته فحسب، وإنما يقام ليكون، في نفس الوقت، رأس الحربة التي تستخدم في عملية اختراق الحاجز التكنولوجي الذي يفصلنا عن غيرنا من الأمم الصناعية، وذلك بسبب إمكانية قيامه بإيجاد وتدريب المهندسين والخبراء الخليجيين التقنيين، الذين بإيجادهم سنتمكن من إنتاج ما يلزمنا من المنجزات والمعدات الصناعية التي اشتمل عليه المعيار الذي سبق لنا ذكره.

وهو الاتجاه الذي ركزتُ عليه في أبحاثي ومقالاتي ومحاضراتي ومنها كتابي الذي صدر منذ اكثر من عشر سنوات واسمه «العالم الى أين.. والعرب الى أين؟».

وفي هذا الاتجاه .. كنت توصلت، لمبررات علمية وواقعية كثيرة، الى اختيار صناعة النقل البحري الشاملة كصناعة رائدة يمكن تبنيها، في دول الخليج، لتحقيق هذا الغرض ولتكون رأس الحربة في إقامة التصنيع الخليجي الفعال والذي سيصبح بواسطتها تصنيعاً ذاتياً في تطوره المستمر ونموه المتلاحق خلال عشرين عاما من البدء في تنفيذ المشروع المتكامل الجيد الحبك والتنظيم والتنفيذ.

فإذا عدنا الى أهمية المعيار الذي نقيس به مدى التطور الصناعي في بلد ما نجد أنه يفيدنا دون لبس أو مواربة أو محاباة في تحديد الموقف الصناعي في أي بلد كان، ومنها دول الخليج، وبالتالي مدى امتلاكه لعصب القدرة الذاتية.

وإذا اضفنا الى ما للتوجه الطموح في تحقيق تكامل صناعي صحيح ومن آثار على ارتفاع معدّل الدخل ومستوى المعيشة للمواطنين وعلى أوطانهم بشكل عام وما له من آثار على تكاثر المشاريع النابعة من قيام هذا التصنيع والتابعة له.. فإنه لا يخفى الأثر الكبير لذلك كله على إفراز سليم ومتكامل لقوة اقتصادية وصناعية مستقبلية ومعنوية خليجية هائلة تقوم على عقول وسواعد وملكات أبنائنا الخليجيين وتليق بمكانتنا في هذا الكون المتصارع - كخير أمة أخرجت للناس - وتتناسب مع ما تستطيع مواردنا المادية والبشرية الضخمة أن تحققه في هذا المضمار.

وفي نفس الوقت، فإن تطبيق المعيار هو نقلة نوعية هائلة للمفهوم الذي تقوم عليه المشاريع الصناعية العربية، بصفة عامة، القائمة في كافة البلاد العربية والتي هي - وبكل الأسف - الاساس الحالي الهش حقاً للاقتصاد العربي وتصنيعه القائم اللاهث دائماً وراء ما تفرزه الأمم الأقوى في المجال التقني والصناعي.. وبالتالي للقدرة الذاتية العربية بصفة عامة.. وواقع

الحال الصناعي العربي يثبت ذلك.

أين هي الحلقة المفقودة في التصنيع الخليجي؟

١) إن التصنيع المتطور هو في الأساس، نظرية علمية، وتطبيق علمي وعملي للنظرية والنظرية مكانها - في العادة - الجامعات ومراكز البحث العلمي. والتطبيق مكانه - في العادة - المصانع المختلفة الكاملة النمو التقني.. التي يستطيع أن يقوم المواطنون، بشكل عام، بكامل أنشطتها من إدارة وتشغيل وصيانة وصنع قطع الغيار وصنع المعدات والاختراع فيها والابتكار. والقدرة على تطبيق النظرية وتحويلها من إنجاز علمي نظري الى انجاز مصنوع.. هو ما يمكن لنا أن نسميه بالقدرة التكنولوجية.

فالقدرة التكنولوجية إذاً هي القدرة على تحويل النظرية المجردة من خرائط على الورق ورسومات الى منتج ملموس أو مدرك معد للإستخدام أو الاستثمار.

وعلى هذا الأساس .. فقيام التصنيع الذاتي الفعال المتطور في بلد ما يقتضي بالضرورة قيام قاعدتين اساسيتين متضافرتين متفاعلتين.. هما:

القاعدة الأولى:

الجامعات ومراكز البحث العلمي وما الى ذلك مما يمكن أن نسميه بوسائل نقل المعرفة التقليدية. وقد سميت بالتقليدية لأن جميع دول العالم، بما فيها الدول النامية، درجت على الاعتماد عليها، في المجال التقني، دون أن تأخذ في الاعتبار المساهمات التي تختلف في إعطائها لكل نوع من الدول في هذا المجال.

القاعدة الثانية:

المصانع متكاملة النمو التقني التي يمكن أن تطبق فيها المنجزات النظرية لوسائل العلم التقليدية وتستثمر.. والتي يقوم المواطنون بكل أنشطتها من إدارة وتشغيل وصيانة وصنع قطع الغيار وصنع كامل المعدات والمحركات والأجهزة والاختراع فيها والابتكار والتطوير.

وناتج عملية هذا التضافر والتفاعل بين هاتين القاعدتين هو التصنيع الوطني الفعال الذاتي التطور بكل إنجازاته الصناعية وبكل القدرة والفعالية التقنية التي اشتمل عليها المعيار الذي سلف ذكره والتي نشاهدها في الدول الصناعية صغيرها وكبيرها.

ولابد من وجود كل من هاتين القاعدتين الأساسيتين المتضافرتين المتفاعلتين في أي بلد ليكون لدى ذلك البلد تصنيع فعال ذاتي التطور ينطبق عليه المعيار الذي أوردنا.

٢) إن مشكلتنا في البلدان العربية عموما، هي أنه بينما يتوفر لدى أكثرنا جانب مهم من مكونات القاعدة الأولى، كصروح العلم وبعض مراكز البحث العلمي.. فجميعنا يفتقر بشدة الى أهم الأجزاء التي تتكون منها القاعدة الثانية ذات الأثر الفعال القادرة على تحويل الإنجاز العلمي النظري للقاعدة الأولى الى تقنية والى إنجاز صناعي. وذلك على الرغم من وجود الكثير من المشاريع الصناعية سواء في دول الخليج العربي أو في الكثير من البلدان العربية وخاصة الغنية منها.

والسبب في هذا التباين هو خصائص المشاريع التي تختلف عن بعضها.. خصائص مشاريعنا الصناعية تختلف عن خصائص المشاريع الصناعية في الدول الصناعية المتقدمة.

والتأكد من ذلك جد بسيط.. فما علينا إلا أن ندقق النظر في خصائص المشاريع الصناعية في أي بلد من البلدان الصناعية المتقدمة وأن نقارنها بخصائص المشاريع الصناعية سواء في دول مجلس التعاون الخليجي أو في أي بلد من البلدان العربية الأخرى.

فبينما نجد أن خصائص المشاريع الصناعية في دولة صناعية متقدمة تشتمل، بشكل عام، على أنشطة

الإدارة والتشغيل، والصيانة وإجراء العمرات، وصنع قطع الغيار، والصنع الكامل للمعدات، والإختراع فيها والتطوير والابتكار، (وهذه هي المراحل الخمس التي تتكامل بعد توفرها القدرة التقنية لأي شعب من الشعوب.. وتوفرها هكذا يعني أن البلد الصناعي يستخدم ويستثمر ويستهلك معدات اخترعت وصنعت وطورت في ذات ذلك البلد الصناعي وأنه يملك القدرة على استثمار أي اختراع أو اكتشاف علمي سواء تم في ذلك البلد الصناعي نفسه أو أنه مما يمكن الحصول عليه من بلد غير صناعي نام أو أي بلد آخر)، فإن خصائص المشاريع الصناعية في البلدان العربية تقتصر، في الغالب، على إدارة وتشغيل المعدات المستوردة من الخارج.. أي أنه لا تتوفر فيها بقية الخصائص التي تتميز بها مجموعة المشاريع الصناعية في البلدان الصناعية المتقدمة. ولا يمكن إنكار الواقع المشاهد الذي يثبت ذلك.

٣) وبما أن خصائص مشاريعنا الخليجية لا تختلف عن خصائص المشاريع الصناعية في بقية الدول العربية فإن افتقارها للخصائص الهامة التي تتميز بها المشاريع الصناعية في البلدان الصناعية سيؤدي، كما أدى في البلدان العربية الأخرى، الى قيام حاجز معيق يقف في وجه تطوير وتنمية قدرات العلماء النظريين الخليجيين الذين تفرزهم القاعدة الأولى المتوفرة لدينا والتي بلغت مدى كبيرا من التقدم.

والسبب هو أن هؤلاء العلماء النظريين لا يمكنهم أن يصلوا في استثمار طاقاتهم النظرية وتطويرها الى نفس مدى التطور التقني الذي تصل اليه طاقات العلماء في الدول الصناعية وذلك لعجز القاعدة الثانية لدينا عن إيجاد المجال الفعّال الكافي والمناخ التقني الملائم لاستغلال واستثمار هذه الطاقات والقدرات لتطويرها الى طاقات وقدرات تقنية قادرة على الصنع والإنتاج والإبتكار في المعدات والمنجزات الصناعية والأنشطة التي اشتمل عليها المعيار سالف الذكر.

إن هذه المشاريع المتوفرة لدينا.. على الرغم من فوائدها الاقتصادية التنموية العظيمة التي حققتها وستحققها بإذن الله، لا تستطيع أن توفر المناخ التقني الناضج المتكامل الصحيح الذي يمكن طاقات هؤلاء العلماء كي تنمو فيه وتستثمر وتتحول من قدرات نظرية الى قدرات تقنية قادرة على الصنع والاختراع والابتكار في المعدات والاجهزة الصناعية.. في الوقت الذي توفر هذا المناخ بكل الكفاءة والكفاية القاعدة الثانية في الدول الصناعية لعلمائها ومهندسيها وفنييها سواء الذين تفرزهم القاعدة الأولى أو تفرزهم هي.

وفيما سبق ذكره.. تكمن الحلقة المفقودة في التصنيع الخليجي.. التي سوف تعيق تطويره من تصنيع يستثمر المعدات المستوردة الى تصنيع ينتج ويصنع ويخترع ويبتكر ويطور في هذه المعدات.

ولعله من المفيد أن ندرك، ونحن لازلنا في بداية المشوار الطويل البالغ الأهمية، الذي ينتظرنا، أن مشكلة كهذه كانت من أهم الأسباب التي أعاقت بلداً عربيا أو أكثر من أن تكون له قاعدة صناعية كاملة النمو التقني ومن النوع الذي ينطبق عليه معيار التصنيع الذاتي الفعال الذي أوردنا.. وذلك على الرغم من أنه توفرت لديها الصروح العلمية الحديثة العظيمة الشامخة المكونة للقاعدة الأولى منذ أوائل القرن العشرين.

وهنا تأتي نقطة أخرى، مهمة أيضاً، فعلينا أن ندرك أن الواقع الملموس يثبت أنه حيثما تتوفر وتزدهر القاعدة الأولى دون أن تتوفر المكونات المهمة في القاعدة الثانية، في أي بلد نام سواء أكان عربيا أم غير عربي.. فإن ذلك البلد ، بعد أن يكفي حاجته من الخريجين والعلماء الذين تهيئهم القاعدة الأولى ليشغلوا

بكفاءة عظيمة مراكز هامة سواء في الإدارة والتعليم والتجارة والزراعة والطب والعمارة وما الى ذلك من مهن وأنشطة هامة جدا .. هذا البلد يبدأ يعاني من هجرة أبرز الأدمغة العلمية الوطنية من أبنائه الى الدول الصناعية المتقدمة حيث تجد في انتظارها المناخ التقني الكامل الملائم الذي تستطيع أن تستثمر وتطور فيه طاقاتها وقدراتها على الإبداع والتصنيع.. وقد تكون مضطرة الى ذلك لانها لو بقيت في أوطانها لتجمدت في مستوى نظري أو شبه نظري ولا تستطيع أن تتجاوزه.. وهي أمور لا تتناسب، في العادة، مع طموح العلماء، وخاصة الأفذاذ منهم.. على الرغم مما يصمهم به البعض أحيانا بعدم الشعور بالمسؤولية وضعف الإنتماء الوطني وما الى ذلك.

إن هذه حقائق من واقع حال غيرنا ويجب ألا تفسر بأن العلماء الخليجين سيهاجرون في المستقبل إذا اصطدموا بالحاجز المعيق لتطوير واستثمار قدراتهم.. ولكن ما هو مصير الزخم الهائل من الجامعيين الذين ستفرزهم، في المستقبل، الجامعات وما في حكم الجامعات؟ إن هذا سؤال مهم ويجب أن يدرس بعناية.

المخرج من الحلقة المفرغة.. أو حلقة الخواء التكنولوجي:

١ - لعل الإيجاز الذي سبق ذكره يثبت لنا أن الاقتصار على الأساليب التقليدية في تطوير التصنيع الخليجي وتطوير قدراتنا التقنية لا يمكن له وحده أن يوصل التصنيع الخليجي والقدرة والتقنية الخليجية الى المستوى الذي تتوفر فيه خصائص التصنيع الفعال المتكامل الذاتي التطور.. ومن مستوى المعيار الذي أوردناه سابقا.

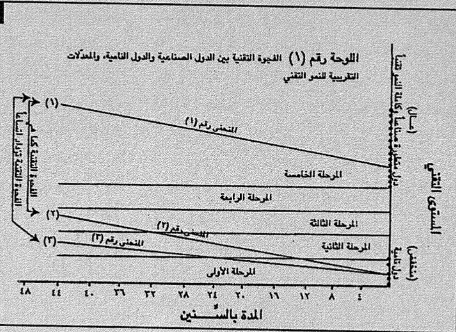
كما أن من الثابت أيضا أنه إذا كانت القدرة على تطوير القدرة التقنية تسير بمعدّل معين في الدول الصناعية المتقدمة.. فليس من الممكن علميا وليس مما يمكن إثباته عمليا أن تسير القدرة على تطوير التصنيع وتطوير القدرة التقنية في الدول الخليجية بمعدل أسرع أو حتى بمعدل مماثل.

ذلك أن تطوير التصنيع وتطوير القدرة التقنية لأبناء أي بلد، وكما ذكرنا من قبل، يعتمد على قاعدتين لابد من توافرهما جنبا الى جنب.

هاتان القاعدتان هما.. قاعدة العلم النظري، وقاعدة تطبيقه الصحيح.. وأنه بينما تتوفر هاتان القاعدتان بكامل مكوناتهما وخصائصهما في البلد الصناعي فإن القاعدة الثانية لا تتوفر بنفس الدرجة والفعالية في دول الخليج.

ولابد من التنبيه الى أنه ما لم نعمل على خلق وتوفير الحلقة المفقودة بإيجاد وتكوين وترسيخ القاعدة الثانية، وبالشكل الصحيح.. بحيث يمكنها أن توفر المناخ التقني الكامل الملائم الذي يُمكن من استثمار وتطوير قدرات وكفاءات العلماء الخليجيين، فإننا لن نتمكن من إقامة القاعدة الثانية بالخصائص والمكونات التي تجعل من الممكن لها أن تتماشى مع معيار التصنيع الفعال المتكامل.

كما أنه بغير ذلك.. فسيظل التصنيع الخليجي يدور ويدور في حلقة من الخواء التكنولوجي.. وسنظل نطور في قدراتنا التقنية ولكن لا لنكتسب أية ندية نقف بها أمام الدول الصناعية بما تستطيع أن تصنع وتنتج وتخترع وتبتكر وتجابه به المستقبل من منتجات صناعية وتقنية.. بل لنكون مستعملا ومستثمراً من الدرجة الأولى لما تنتجه تلك القواعد الصناعية في الدول الصناعية المتقدمة ومعتمدا على إنتاج هذه القواعد.. التي تتسارع في التجدد والتطور بشكل لا يعطي فرصة لمن لا يمتلك ناصية التقنية للحاق بها.



شرح منحنيات اللوحة رقم (١)

(١) المعدّل التقريبي للنمو التقني لدولة متطوّرة ومتقدمة صناعياً وتتوفر لديها القاعدتان.

(٢) أقصى معدّل للنمو التقني يمكن أن تصل إليه دولة نامية لا تستخدم إلا الوسائل التقليدية لنقل المعرفة فقط. (وهذا المعدّل غير حقيقي بسبب نقص القاعدة الثانية).

(٣) المعدّل التقريبي (المتوقع أو الحقيقي) للنمو التقني لدولة نامية تستخدم الوسائل التقليدية لنقل المعرفة فقط.

واللوحة المرفقة رقم (١) ترينا ذلك.

فالمنحنى رقم (١) من اللوحة رقم (١) يمثل معدلا مفترضا للتطور التقني في الدول الصناعية من سنة (صفر) الى سنة (٤٨) . ويلاحظ أن هذا المعدّل يرتكز في مساره الصاعد على القاعدتين المتضافرتين اللتين مررنا بذكرهما والمتوفرتين في الدول الصناعية.

والمنحنى رقم (٣) يمثل المعدل الأقرب الى الصحة للتطور التقني في الدول الخليجية.. وهو تطور تقني صاعد أيضا.. ولكنه أبطأ من معدل التطور التقني في الدول الصناعية المتقدمة.. وهو بالضرورة كذلك لأنه، في تطوره، يرتكز على قاعدة واحدة فقط.. وهي القاعدة النظرية المتوفرة ولكن بمعزل عن القاعدة الثانية التي لا تتوفر إلا في البلدان الصناعية.

وعلى ذلك، فإن التطور التقني في الدول الخليجية، لو استمر بهذا المعدل فإنه لن يتمكن من اللحاق بالتطور التقني في الدول الصناعية مهما طال الزمن.. بل سنجد أن الفجوة التقنية التي كانت موجودة في بداية المدة بيننا وبين تلك البلدان الصناعية تزداد اتساعا بعد أي سنة من السنين كما هو ظاهر من المنحنيين رقم (١) ورقم (٣).

كما أننا إذا أردنا أن نأخذ جانب التفاؤل، غير العلمي، وقلنا بأن نمونا التقني يسير بنفس المعدّل الذي يسير به في الدول الصناعية - وهو لا يمكن أن يكون أكثر من ذلك - وهو ما يمثله المنحنى رقم (٢) فإن هذا المنحنى يسير بشكل متواز مع المنحنى رقم (١). وبما أنه يسير بشكل متواز معه فإنهما لن يلتقيا. فعلى أحسن الفروض ستبقى الفجوة التقنية بيننا وبين الدول الصناعية كما هي طال الزمن أم قصر.

٢ - إن الخروج من الحلقة المفرغة وتطوير التصنيع الخليجي الى تصنيع فعال يقوم المواطنون الخليجيون فيه بكامل انشطته التي اوضحناها فيما سبق.. يتطلب أن نتبنى أسلوبا غير تقليدي.. وقد أثبت البحث العلمي جدواه في عملية امتلاك تقنية الصنع المتطورة امتلاكا حاسما وسريعا وبناء..

وهو الأسلوب الذي يمكننا من أن نسير بمعدل امتلاك التقنية والتطوير في التصنيع بقدر أعظم صعوداً مما رأينا في المنحنى رقم (٢) من اللوحة رقم (١) .. ذلك لأنه يشمل المراحل الخمسة للتطور التقني، التي سبق الإشارة اليها، ويحققها مبدئيا في مجال مركز خلال فترة زمنية محددة.. هي عشرون عاما.

وهو الأسلوب الذي، إذا قام على خلق مناخ تقني

ملائم مركز، سيحتضن العلماء النظريين ويمكنهم من تطوير قدراتهم النظرية الى قدرات تقنية متطورة توازي مثيلاتها التي يمتلكها العلماء والمهندسون والخبراء التقنيون في الدول الصناعية المتقدمة.

٣ - ولتحقيق ما ذكر أعلاه فلابد من خطوتين أو قفزتين في عملية التطوير.

الخطوة الأولى.. يتم فيها تضييق الهوة أو الفجوة التقنية. وهذه خطوة تستغرق مدة عشرين عاما على أكثر تقدير.. ويتم فيها بناء قاعدة صناعية وطنية كاملة النمو التقني مركزة في صناعة رائدة واحدة شاملة ومتكاملة في جميع أنشطتها.

الخطوة الثانية .. وفي هذه الخطوة الثانية تتضافر الخطوة الأولى ذات الصناعات الناضجة مع وسائل نقل المعرفة التقليدية، المتوفرة أصلا بشكل متفوق في الدول الخليجية، على إنشاء العديد من القواعد الصناعية المتشعبة والكاملة النمو التقني بما يجعل من الممكن أن نسير بمعدل أكثر رسوخاً وأسرع نمواً وأعظم حسماً نحو غلق الهوة التقنية غلقاً تاما في كثير من الصناعات الهامة وخلال مدة لا تزيد عن عشرة أعوام أخرى.

الصناعة الرائدة وإيجاد الحلقة المفقودة :

١) إن الأسلوب غير التقليدي، وهو الاتجاه الصناعي الثالث، الذي أشرنا اليه سابقاً، يتطلب منا إقامة صناعة رائدة تسمح لنا بأن نجمع فيها الوسيلتين اللازمتين لامتلاك التقنية.. وسيلة نقل العلم النظري ووسيلة تطبيقه. وأن يكون ذلك بشكل يحقق بينهما التفاعل والتضافر المستمرين بحيث نخلق مناخا تقنيا مماثلا لما هو موجود في الدول الصناعية.. إلا أنه سيكون في بدايته مناخاً تقنياً محدداً ومركزاً.. ولكنه يمكننا ليس من تخريج العالم الخليجي النظري بل العالم الخليجي التقني الذي لا يعلم فقط مم تصنع المعدات ولماذا تصنع.. وإنما يعلم أيضا كيف تصنع، ويستطيع الإشراف على صنعها وتطويرها والاختراع فيها والابتكار.. وهذا العلم بالكيفية تتمثل فيه الخصائص اللازم توفرها في التقنيين العلماء والمهندسين والفنيين القادرين على إقامة التصنيع الذاتي الفعال وتطويره، وهي الخصائص التي نفتقدها، بشكل ذريع، في العلماء والمهندسين والفنيين في أي دولة من دول مجلس التعاون الخليجي.

ومن يقول بخلاف ذلك فعليه أن يرينا إنتاج الصناعة المتكاملة للتقنيين العرب، في أي بلد عربي، بشكل نقول بعده أنهم استطاعوا أن يضعوا بصمتهم العربية الخالصة على منتجات ذات أهمية حقيقية من قاعدة تقنية صناعية عربية ذاتية التكامل والتطور وبالشكل الذي أشرنا اليه سابقا.

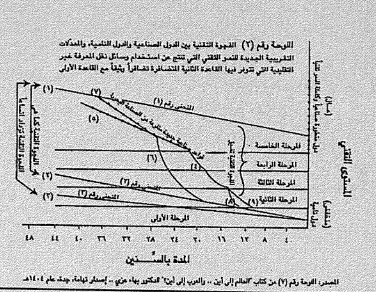
وأكثر الصناعات ملاءمة لتحقيق الإتجاه الصناعي الثالث الذي أشرت اليه هو أحد ثلاثة اتجاهات صناعية ورد ذكرها أيضا فيما سبق، هي صناعة النقل البحري الشاملة.

ويجب أن يكتمل شمول ونمو وتطوير تلك الصناعة البحرية الرائدة على مراحل خمس.. خلال عشرين عاما..

وتبدأ هذه المراحل بنواة تتكون من أسطول من الناقلات تتزايد أعدادها على مدى عشر سنين.. وأكاديمية بحرية لها أغراض تزيد على أغراض الأكاديميات البحرية التقليدية، ثم تتطور هذه النواة الى ورش وأحواض للصيانة وإجراء العمرات الأساسية وانتاج المعدات والمحركات والأجهزة وتنتهي، وليس لتبدأ، بمرحلة بناء السفن بهياكلها ومعداتها وأجهزتها.

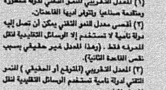
٢) إن هذه الصناعة الشاملة - إذا خطط لها تخطيطا دقيقا ونفذت تنفيذا محكما - فإنه يمكنها أن توفر الحلقة المفقودة في التصنيع الخليجي.

وإنه يمكن إكمال إنشائها في بعض الدول الخليجية خلال فترة تتراوح بين خمسة عشر سنة وعشرين سنة من البدء بها، وباكتمالها ستساعدنا على التفرع والتشعب في بناء مختلف القواعد الصناعية



اللوحة رقم (٢) الفجوة التقنية بين الدول الصناعية والدول النامية، والمعدلات التقريبية الجديدة للنمو التقني التي تنتج عن استخدام وسائل نقل المعرفة غير التقليدية التي تتوفر فيها القاعدة الثانية المتضافرة تضافراً وثيقاً مع القاعدة الأولى

المصدر: اللوحة رقم (٧) من كتاب "العالم إلى أين .. والعرب إلى أين؟" الدكتور بهاء عزي .. إصدار تهامة، جدة، عام ١٤٠٤هـ



شرح منحنيات اللوحة رقم (٢)

(١) المعدل التقريبي للنمو التقني لدولة متطورة ومتقدمة صناعيا وتتوفر لديها القاعدتان.
(٢) أقصى معدل النمو التقني يمكن أن تصل إليه دولة نامية لا تستخدم إلا الوسائل التقليدية لنقل المعرفة فقط. (وهذا المعدل غير حقيقي بسبب نقص القاعدة الثانية).
(٣) المعدل التقريبي (المتوقع أو الحقيقي) للنمو التقني لدولة نامية تستخدم الوسائل التقليدية لنقل المعرفة فقط.
(٤) معدل النمو التقني لدولة نامية لكنها تستخدم الوسائل غير التقليدية لنقل المعرفة
(٥) الاتجاه المتوقع لمنحنى معدل النمو التقني لدولة نامية تستخدم الوسائل غير التقليدية لنقل المعرفة.
(٦) الأثر الذي تحدثه الوسائل غير التقليدية على معدل ومستوى مساهمات الوسائل التقليدية نتيجه لتوفير عامل الارتباط المتزامن والمناخ التقني الملائم عند استخدام وسيله نقل المعرفة غير التقليدية.
(٧) الاتجاه المتوقع لمعدل النمو التقني بعد تحقق الأثر في رقم (٦) نتيجة لتفاعل الوسيلتين منذ السنة العشرين.
(٨) اتجاه نمو القدرة التقنية للمرحلة الأولى.
(٩) نمو تقني مزدوج يتعلق بتقنية للمرحلة الثانية ويتحقق ابتداءا من السنة الثامنة نتيجة لعمل المتخرجين في هذا المجال بعد تخرجهم سواء في الأكاديمية أو في أنشطة المرحلة الثانية.

خلاف تلك التي اشتملت عليها هذه الصناعة الرائدة بما يجعل أمر غلق الفجوة التقنية التي تفصلنا عن الدول الصناعية في كثير من أهم الصناعات.. أمراً ممكنا، خلال عشر سنوات أخرى.

وإن إقامة صناعة وطنية أم كهذه ستتيح للمتخرجين في الجامعات والباحثين في مراكز البحث العلمي أن يجدوا المناخ التقني الملائم لاستغلال كامل طاقاتهم وقدراتهم، كما يمكن من تضافر وسيلة نقل العلم التقليدية مع الوسيلة غير التقليدية على التسريع في إنشاء القواعد الصناعية الأخرى فيتسارع النمو التقني لدى المواطنين بمعدل عظيم السرعة يجعل من الممكن غلق الفجوة التقنية الموجودة بين كثير من الدول الخليجية وبين الدول المتقدمة صناعيا غلقا تاما في كثير من الصناعات المهمة كما ذكرنا.

واللوحة رقم (٢) ترينا معدلات جديدة وسريعة للنمو التقني الخليجي من الممكن الوصول اليها حال توفير أول مرحلة من مراحل الحلقة المفقودة في التصنيع الخليجي.. النقاط (٤) و(٥) و(٧) و(٨). وترينا تأثير إيجاد هذه الحلقة المفقودة على مساهمات صروح العلم التي تشتمل عليها القاعدة الأولى في التطوير التقني والصناعي.. المنحني رقم(٦).

وهذا التأثير على مساهمات صروح العلم النظرية (القاعدة الأولى) إنما يحدث بسبب توافر المناخ التقني المركز والملائم الذي أنشأناه والذي أحدثته القاعدة الصناعية المركزة الأساسية كاملة المراحل التقنية والذي يمكن أن يلتحق به المتخرجون في الوسائل التقليدية لنقل المعرفة كما هو الحال في الدول الصناعية.. وكذلك بسبب قدرة القاعدة الصناعية المركزة الأساسية على الفرز السنوي المستمر للتقنيين العلماء والمهندسين والخبراء والفنيين الوطنيين والذين يمكن بهم وبمن يتخرجون في الوسائل التقليدية أن تقام قواعد صناعية جديدة وكاملة النمو التقني وتشكل في مجموعها قدرة تقنية صناعية في اكثر المجالات الحيوية.

الخلاصة :

١ - إنه لا يسعنا في الدول الخليجية إلا أن نعمل على امتلاك التقنية امتلاكا حاسما وسريعا وبنّاءا إذا أردنا أن نبني التصنيع الخليجي الذاتي الفعّال المتطور الذي ينطبق عليه المعيار الذي أوردنا.. وأقصد بالتقنية، القدرة على تحويل المنجز النظري الى منجز مصنوع.

٢ ـ إن التصنيع الذاتي المتطور الفعال في الدول الصناعية المتقدمة يقوم على قاعدتين أساسيتين.. القاعدة الأولى هي الجامعات ومراكز البحث العلمي وما الى ذلك مما يمكن تسميته بوسائل نقل المعرفة التقليدية، والقاعدة الثانية هي المصانع كاملة النمو التقني التي يقوم بكل أنشطتها المواطنون والتي تطبق فيها المنجزات النظرية لوسائل نقل المعرفة التقليدية وتحول الى منجزات مصنوعة.. لأنها توفر المناخ التقني الكامل الناضج والصحيح.

٣ ـ إنه تتوافر في الدول الخليجية أهم مكونات ومقومات القاعدة الأولى وبشكل جيد ومتميز في كثير من الأوجه.. ولا تتوافر القاعدة الثانية، وهناك حلقة مفقودة في هيكل التصنيع الخليجي لابد من توفيرها لتكتمل حلقات هذه القاعدة الثانية ويصبح في امكانها توفير المناخ التقني وبالتالي زيادة السرعة في معدل التطوير التقني ونموه.

٤ ـ إن الاقتصار على استعمال الأساليب التقليدية، وحدها، التي نتبناها في الدول الخليجية ـ كما هو الحال في الوقت الراهن ـ لا يكفي لامتلاك التقنية امتلاكا حاسما وسريعاً ولا لإقامة التصنيع الذاتي المتطور الفعال وبالتالي فلا يمكن اللحاق في هذا المجال بالدول الصناعية المتقدمة تقنيا والفجوة التقنية ستزداد اتساعاً مع مرور الوقت.

٥ ـ إنه إذا أردنا امتلاك التقنية وإقامة التصنيع الخليجي الذاتي المتطور الفعال فلابد من اللجوء الى أسلوب غير تقليدي لامتلاك تقنية الصنع بشكل حاسم وسريع وبناء.. ويتمثل هذا الأسلوب غير التقليدي، (بالإضافة الى صناعات الإتجاهين الأول والثاني اللذين ورد ذكرهما اعلاه)، في التركيز على صناعة رائدة (أو أكثر إن أمكن) شريطة أن تسمح هذه الصناعة بجمع وسيلة نقل العلم ووسيلة التطبيق وإقامة المناخ التقني الذي يتمكن فيه النظريون من تطوير وتحويل قدراتهم النظرية على الفور الى قدرات تقنية، وبشكل أكثر سهولة من غيرها.

٦ ـ في حالة الدول الخليجية فإن صناعة النقل البحري الشاملة هي اقدر صناعة على القيام بهذا الدور، ويمكن شرح الكيفية التي تقوم بها صناعة النقل البحري الشاملة لتحقيق هذا الدور.

٧ ـ إنه على الرغم من ضخامة تكاليف إقامتها فإنها تتميز من وسائل نقل المعرفة التقليدية في أنها تستطيع أن تغطي جُلَّ هذه التكاليف وقد تستطيع أن تزيد عليها حسب أوضاع السوق.. وذلك بالإضافة الى المردودين التقني والتصنيعي اللذين تحققهما واللذين لا يقدران بأي ثمن بالنسبة لأي دولة من الدول.

٨ ـ إن إقامة هذه الصناعة في الدول الخليجية لا تعرضها للكساد.. أكرر.. لا تعرضها للكساد، كما قد يحدث، في بعض السنين، في بعض الدول التي تقوم فيها هذه الصناعة.. وذلك لأنها ستكون صناعة متكاملة يلبي كل فرع فيها متطلبات الفرع الآخر.. وكمية هذه المتطلبات هي بالقدر الإقتصادي الذي يبرر قيام كل فرع فيها.. شريطة أن نؤمن لأسطولها قدراً كافيا من المواد الخام لينقلها.

ومن تكرار القول أن نذكر بأن احدى الركائز الأولى في نجاحها هي توفير حمولة السفن التي تشتمل عليها بشكل يضمن تشغيلها على مدار السنة.. وهذه الحمولة هي مقدار لا يتجاوز مائة وخمسين الف برميل من البترول أو المشتقات يوميا على مدار السنة الأولى، ثم يزداد هذا المقدار سنويا الى أن يصل بعد عشر سنين الى حد أعلاه مليون وخمسمائة الف برميل يوميا على مدار السنة.. هذا هو المطلوب الرئيس المهم في هذه الصناعة البحرية الشاملة المتكاملة، فإذا أمكن تأمينه فإنها ستحقق أغراضها وإن بقية مراحلها ستنمو وتنجح.

(*) هذه الدراسة هي نص المحاضرة التى ألقاها الدكتور بها بن حسين عزي في الرواق الثقافي لعوشه بنت حسين في دبي ـ الإمارات العربية المتحدة ـ

الفرق بين الكمال والتمام

يعجب الإنسان: حينما يقرأ كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كيف أن كل كلمة في مكانها وكل عبارة في محلها، بحيث لا يمكن أن تقوم كلمة مقام أخرى، ولا عبارة مقام صاحبتها، {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا}[١] ولذلك لو قرأ الإمام في المسجد، فبدل كلمة بأخرى، لما سكت عنه المصلون، ولفتحوا عليه: أي صححوا له خطأه، فلو قرأ بدل {ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل}[٢] ألم تنظر كيف فعل ربك بأهل الفيل، لما سكت عنه المصلون، وإن كانت كلمة نظر بمعنى رأى، وكلمة اصحاب بمعنى كلمة أهل، لكن لكل واحدة منها موقعها في الكلام، لا يقوم بعضها مقام بعض، وكذلك لو قرأ الإمام، وأكملوا الحج والعمرة لله، بدل {وأتموا الحج والعمرة لله}[٣] لرد عليه المصلون ولم يسكتوا، لأن هناك فرقاً بين الكمال والتمام، ومن هنا لابد لمن يريد أن يفسر القرآن الكريم أن يكون على دراية بالفروق اللغوية، وإلا وقع في الخطأ، فما هو الفرق بين الكمال والتمام؟ الفرق بينهما: **أن الكمال يقال للشيء الذي جاءت جميع أجزائه جملة واحدة**، أما التمام فيقال للشيء **إذا جاءت أجزاؤه متتالية**: بعضها يعقب بعضاً، فإذا قلت لإنسان: هل عندك مائة دينار؟ فقال: نعم، وأخرج المائة دينار، فنقول: فلان عنده كمال المائة دينار، وإذا قلنا لإنسان: هل عندك مائة دينار؟ فقال: عندي تسعون وآخذ من فلان عشرة، فنقول: فلان عنده تمام المائة؛ لأن ما عنده ينقص عن المائة، لكن سيأتي بما يتممها، قال أبو هلال العسكري: الكمال: اسم لاجتماع أبعاض الموصوف، ولهذا قال المتكلمون (العقل كمال علوم الضروريات يميز بها القبيح من الحسن) يريدون اجتماع علوم الضروريات، ولا يقال تمام علوم؛ **لأن التمام اسم للجزء الذي يتم به الموصوف**..

يقال: هذا تمام حقك، للبعض الذي يتم به الحق، ولا يقال هذا كمال حقك اهـ[٤] قلت: معنى هذا: أنه لو كان لرجل على آخر ألف دينار، فأعطاه تسعمائة، ثم جاءه بعد مدة بمائة دينار، فيقال حينئذ هذا تمام حقك، لأن حقه ألف، أخذ بعضه ثم أخذ البعض الباقي الذي يتمم له حقه، ولا يقال عن المائة الأخيرة التي سلمها للدائن: هذا كمال حقك، لأن كمال حقه ألف دينار، لا مائة دينار، لكن لو جاءه بالألف مرة واحدة، جاز له أن يقول: هذا كمال حقك.

وقد اجتمع الأمران: الكمال والتمام في قوله جل جلاله {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي}[٥]، فالدين المراد به القرآن هنا، جاء كاملا من الله تعالى لأنه أنزل مرتين: المرة الأولى نزل دفعة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا، ثم نزل مرة أخرى من السماء الدنيا الى الأرض منجماً مقسطاً في ثلاث وعشرين سنة[٦].

قال الله جل جلاله {إنا أنزلناه في ليلة القدر}[٧]، فبها نزل القرآن كله مرة واحدة، وكذا قوله جل جلاله {إنا أنزلناه في ليلة مباركة}[٨]، كل هذا الإنزال كان من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا، ثم نزل منها مقسطاً منجماً، ففهمنا من هذا أن الكمال يكون إذا الشيء كله جاء مرة واحدة.

وأما قوله جل جلاله {وأتممت عليكم نعمتي} فهذا على القاعدة: وهي أن التمام يكون بمجيء النعمة شيئا فشيئاً، لأن الإنسان يرزق بطعام الغداء الآن، ثم يرزق طعام العشاء بعد مدة، ثم نعمة النوم، ونعمة الزوجة

بقلم : **د. ياسين بن ناصر الخطيب** - جامعة أم القرى - مكة المكرمة

والأولاد، وهكذا تتوالى النعم على الإنسان الى أن يموت، وأجلُّ هذه النعم التوفيقُ لطاعة الله جل جلاله.

وكذلك اجتمعت الكلمتان في قوله جل جلاله {والوالداتُ يُرْضِعْنَ أولادهُنّ حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة}[٩]، فالحولان يكونان كاملين بمجرد الأمر، وهو كلام، كما في نزول القرآن الكريم، وكما في قوله جل جلاله: {فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان منكم مريضا أو على سفر فَعِدّةٌ من أيام أُخَر يريد اللهُ بكمُ اليُسْرَ ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة}[١٠]، فأيام الصوم تتم يوما بعد يوم، ولا يقال تكمل وإنما هي تتم، ولكن لما كان المأمور به في أول الآية هو صوم الشهر، قال ولتكملوا يعني الشهر المأمور به، ومثل ذلك قوله جل جلاله {تلك عشرة كاملة}[١١] فالعشرة هي: ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع الحاج الى أهله[١٢] لكن لما كان الأمر بها مرة واحدة، حسن أن يقال عنها عشرة كاملة، والأوزار التي يعملها الإنسان في حياته، تستغرق كل عمره، لكنه يوم القيامة يأتي ويحملها مرة واحدة، فقال الله جل جلاله: {ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة}[١٣]، فعرفنا أن **الحولين كاملين** لأن الأمر جاء بهما دفعة واحدة، لكن لما جاء الى الرضاعة، قال {لمن أراد أن يتم الرضاعة} فالرضاعة لا تتأتى في آن واحد، ولكنها رضعة بعد رضعة على مدى سنتين أو حسب الحاجة، فحسن أن يقول: {تتم الرضاعة}، ولنمثل للتمام ونذلل على أنه لا يكون إلا شيئا بعد شيء، وذلك كقول شعيب لموسى عليهما السلام {إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك}[١٤]، فهنا الأمر واضح جدا: حيث بين أن السنتين هما تمام العشرة وهما فضل من موسى علي نبينا وعليه الصلاة والسلام، لأن الاتفاق كان على ثماني سنين فقط {على أن تأجرني ثماني حجج} ومن الواضح أيضا قوله جل جلاله: {وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة}[١٥]، فهنا قال الله جل جلاله: فتم ميقات ربه أربعين ليلة ، ولم يقل فكمل ميقات؛ لأن الأمر كان من البداية ثلاثين، كما نصت الآية الكريمة، ثم زاد الله جل جلاله عليها العشرة تتمة، فتمت أربعين ليلة.

ورغم أن الكلام واضح في مثل هذه الأمور، إلا أنني لم أجد من ذكر الفرق بين الكمال والتمام من المفسرين الذين اطلعت على كتبهم[١٦].

الهوامش:

(١) النساء/ ٨٢.

(٢) أول سورة الفيل.

(٣) البقرة/ ١٩٦.

(٤) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ١٢٨، وانظر التعريفات للجرجاني ص ١٨٧، والمصباح المنير للفيومي ١/٨٥ و٢/٢٠٢ ـ ٢٠٣ لم يفرق بين الكلمتين.

(٥) المائدة/ ٠٣.

(٦) تفسير ابن كثير ٤/٥٢٩.

(٧) أول سورة القدر.

(٨) الدخان/ ٠٣.

(٩) البقرة/ ٢٣٣.

(١٠) البقرة/ ١٨٥.

(١١) البقرة/ ١٩٦.

(١٢) المغني لابن قدامة ٥/٣٥٠ ـ ٣٥١.

(١٣) النحل/ ٢٥.

(١٤) القصص/ ٢٧.

(١٥)الأعراف/ ١٤٢.

(١٦) تفسير ابن كثير، تفسير البغوي، تفسير المزي، وكلها عند قوله تعالى {اليوم أكملت لكم دينكم} الآية.

محمد علي ناصر آل توفيق - القطيف

أغنيـــــة للقلـــــب

كـــــيف لي يا قلب أن ... حـــينمـــا تزدحمُ الآمـــالُ

أحيـا وأحـلامي كسيره؟ ... فـــــالنَّفْسُ أمـــيـــــره

كـــيف للآمـــــال تنمُـــوْ ... وفُـــــؤادُ الصَّبِّ يزهُـوْ

بيْن آهـات مـــــريره؟ ... ضــاحكاً يُبْــديْ سُـرُورهْ

أيُّ حُلْم يتـــــســـــامى ... إنَّ ســــرَّ النَّفْس لُغْـــزٌ

والأسى يمحُــــوْ سُطُورهْ ... فـــهي للهْــو مُــثـــيــرهْ

أيُّهـــــا القلْبُ حنانيْك ... وهـي إنْ شـئت مـــلاكـــاً

جُـراحــاتي كـثـيْــرهْ ... يـأمـنُ المرءُ شُــــرُورهْ

بعـــثـــرتني الآهُ والآلامُ ... حلَّقَتْ فيْ الأفْق نهـــراً

والرُّوْحُ الكبــيـــرهْ ... خـــالداً ينثُــوْ عُطُورهْ

فلمـــاذا تعْـبثُ الأحــزانُ ... تعْـزفُ اللَّحْنَ ابتـهـاجـاً

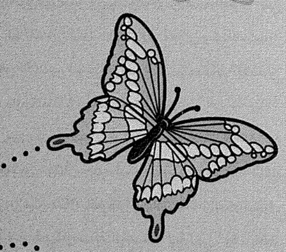
فيْ نفـسيْ الأســيــره؟ ... ثُمَّ تهـفُـوْ للمـســيـــرهْ

أيُّهـــــا القلْبُ تراجعْ ... يَتَــجَلَّى الحُبُّ فــجْــراً

فـــأمـــانيك عـــســيــرهْ ... ســــاطعـــاً يُرْسلُ نُورهْ

حمى النيل الغربي والإيبولا

جوته والإسلام



لك

مجلة شهرية
ذات أداء متخصص
تخاطب عقل المرأة
ووجدانها



١٣٠



جوته والإسلام

كم أضاء القرآن من قلوب مظلمة.. وكم هدى من أناس كانوا يتخبطون كالحيارى في الطريق بلا مرشد أو دليل، ولا يزال القرآن يعمل في النفوس فيأسر الألباب ويأخذ بمجامع القلوب على مرّ الأزمان والدهور، فيجعل المرء يخبت صاغرا لله الذى أبدع هذه الكلمات المعجزة وألقى بها على قلب مصطفاه {صلى الله عليه وسلم} لتسعد بها البشرية وتنال بها كل خير ومقصود. ومن هذه القلوب التي أراد لها الله أن تقف على جلال القرآن وكماله شاعر الألمان الأكبر جوته الذي اتصل بعالم الشرق والإسلام اتصالا روحيا قويا.

ولد يوهان فولفغانغ جوته عام ١٧٤٩ في فرانكفورت وكان والده جامعيا مثقفا محبا للعلم والفنون متمسكا بالقيم والأخلاق، أما والدته فيقال إنه أخذ عنها رحابة الخيال الإبداعي. وقد لفت انتباه أهله ورفاقه ومعلميه في طفولته بذكائه وقدرته الفريدة على الاستيعاب حفظا وإدراكا، ولموهبته المبكرة في الشعر والنثر وسائر الفنون. وحين بلغ الخامسة والعشرين من عمره كتب روايته الشهرة «آلام فرتر» ونالت شهرة عالمية جعلته في صدارة الأعلام. ثم تتابعت مؤلفاته فكتب «فاوست» ومسرحية «ستيلا» وسيرته «من حياتي: شعر وحقيقة» كما نظم قصيدة مديح سماها «نشيد محمد» تضمنت ثناء ومديحا عظيمين لم يسبق لأي شاعر ألماني في أي عصر من العصور أن قدمها للنبي {صلى الله عليه وسلم}. وقد عبّرت عن مدى الولاء الذى يكنه الشاعر لشخصية النبي {صلى الله عليه وسلم}. كما قام بعدد من الرحلات إلى ايطاليا وسويسرا ورحلات متفرقة في ألمانيا.

وفي الثلث الأول من القرن التاسع عشر شهدت حياته تحولات كبيرة على المستوى الاجتماعي وحركات أدبية وفنية وفكرية ناشطة على المستوى الإبداعي. فقد عرف الكلاسيكية والرومانسية وتابع الحركة الواقعية واستفاد منها جميعا، حتى يمكن القول إنه وسم العصر بحضوره، إذ لا يمكن حصره بكونه شاعرا وكاتبا فحسب لأنه كان شديد الولع بجميع جوانب المعرفة واسع الأفق، درس عددا من اللغات القديمة والحديثة، منها العبرية التي بدأ بتعلمها وهو في الثانية عشرة من عمره والعربية التي حاول أن يتعلمها. بالإضافة الى بعض اللغات الأوروبية. كما تابع ثقافات بلدان العالم مؤمنا بأن الأدب العالمي نهر كبير تصب فيه روافد من كل صوب، لأن الآداب العالمية تصور العوامل الإنسانية المشتركة بين الأمم والشعوب سواء أكانت طبيعية أم مكتسبة، كما تهتم بالعلاقات الانسانية المشتركة في مجالات المعرفة المختلفة كالفلسفة والتاريخ والعلوم



ابتهال محمد البار - جدة

الاجتماعية والنفسية وغير ذلك. وتكمن أهمية الأدب العالمي في اخراج الآداب من محليتها ومساعدتها علي التحرر من القيود القومية التي توضع حول الأدب ومن ثم يوسع دائرة التعارف الإنساني كما يقوي روح التقارب بين البشرية مما يؤدي الى تفاهم أفضل. لذا لم ينحصر اهتمامه بالغرب بل طالع مختارات مترجمة من الأدب العربي والفارسي وقرأ الترجمتين الألمانية واللاتينية لمعاني القرآن الكريم وصهرها جميعا في قلمه وآلف بين الشرق والغرب في ديوانه «الديوان الشرقي الغربي» ١٩١٨، كما قام بترجمة بعض المعلقات وكتب عنها يقول: «وعند العرب الذين يسكنون في بقعة أقرب إلى الشرق نجد كنوزا رائعة في المعلقات، وهي قصائد.. نظمت في العصر السابق على مجيء محمد {صلى الله عليه وسلم} وكتبت بحروف من ذهب وعلقت على أبواب بيت الله في مكة، وتعطي فكرة عن شعب بدوي محارب يمتهن الرعي، تمزقه من الداخل المنازعات بين القبائل.. وتعبّر عن.. الشعور بالشرف والرغبة العارمة في الثأر مع حزن في العشق وكرم وإخلاص.. وهذه القصائد تزودنا بفكرة وافية عن علوّ الثقافة التي تميزت بها قبيلة قريش، التي منها محمد، {صلى الله عليه وسلم} ولكنه أضفى عليها غلالة جادة من الدين، وعرف كيف ينتزع منها كل مطمع في تقدم مادي خالص..» وفي ختام هذا التقييم للمعلقات يعرب عن أمله في أن يكون بهذه الكلمات قد أثار لدى قرائه الرغبة في قراءة هذه القصائد.

أما عن سبب اهتمامه بالثقافة العربية فقد كان لفيلسوف التاريخ هردر أثر كبير في ذلك، فهو الذي وجهه لدراسة القرآن الكريم كما يعود إليه الفضل في توجيه أنظاره صوب الشعر العربي. وقد كتب هردر عن العرب قائلا: «ألا ما أروع أشعار العرب إنها حقا مرآة لطريقتهم في التفكير وفي الحياة. انهم يتنفسون الحرية والإباء. وتملأ صدورهم روح المغامرة والشرف والطموح، والفروسية والشجاعة التي طالما استفزها الأخذ بالثأر من الأعداء، وفاء منهم للأصدقاء وحفاظا على عهد الحلفاء». ويواصل إشادته بالعرب ويسبغ عليهم أنفس الإطراء فيقول: «ولا يوجد شعب شجع الشعر وارتقى به الى تلك المنزلة التى ارتقى اليها العرب في عصورهم الزاهية».

ومن المواقف الغريبة التي صنعتها إرادة الله لتكون سببا في إقباله على الشرق، أن تاجرا كان يعاني من مشاكل مادية اتصل به راجيا منه التوسط لدى مكتبة دوقية فايمار لكي تشتري منه مجموعة كبيرة من المخطوطات الشرقية، ولم ينتظر جوته طويلا إذ سرعان ما طلب منه إحضارها. وتبين عند فحصها أنها تحتوي على عدد من المصاحف مع

شروح وتفاسير بالإضافة الى مخطوطات نفيسة اشتملت على ألوان من الأدب العربي والفارسي والتركي وبحوث ودراسات وشروح في النحو وما شابه ذلك. ولما كان جوته يتولى الإشراف على مكتبة الدوقية، فقد كان اقتناء مثل هذه الكتب يتوقف الى حد كبير على قراره. وبالفعل أوصى باقتنائها. وكانت حصيلة هذه المواقف أن توجه صوب الشرق وقام بدراسات واسعة فطالع كتبا في السيرة النبوية واطلع على ديوان الشاعر الفارسي حافظ الشيرازي وتأثر به كثيرا، واستلهم منه بعض القصائد. وقرأ مختارات أدبية مترجمة وكتبا في النحو، وتشهد مذكراته اليومية على مساعيه المتكررة لتعلم قواعد اللغة العربية. وبعد هذه المطالعات الواسعة كوّن رأيه في الأمة العربية إذ يقول: «هؤلاء الشعراء تحضرهم كل الأشياء ويربطون بسهولة بين أشد الأشياء بعدا وتباينا، ولهذا فإنهم يقتربون مما نسميه بالذكاء أو الروح أو الدعابة.. ومع ذلك فإن هذه المزايا ليست مقصورة على الشعراء وحدهم، فالأمة كلها تتميز بالفطنة والدعابة، كما يستنتج من الحكايات والنوادر التي لا حصر لها».

هذا عن إعجابه واهتمامه بالأمة الشرقية أما عن اهتمامه بالإسلام، فلعل السبب في إعجابه الشديد به هو تطابق بعض أفكاره الرئيسية مع معتقداته الشخصية مما أيقظ في نفسه التعاطف العميق معه. فقد دوَّن عددا من الآيات تكشف عن جوانب من العقيدة الإسلامية كان مهتما بها كقوله تعالى: {بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون} فلم يكن من قبيل المصادفة أن يدون ترجمة لهذه الآية التي تؤكد أن التقوى والإيمان الحق لا يظهر من خلال الاعتقاد فحسب، بل لابد أن يثبت وجوده عن طريق أعمال البر والإحسان للآخرين. ومن المواضيع التي استرعت انتباهه موضوع تبليغ الرسالة الإلهية عن طريق العديد من الرسل إلى مختلف الأمم، إذ لم يكن مستعدا لأن يعترف بالمسيح عليه السلام فقط، وكان كثير الجدل والنقاش مع أصدقائه حول هذا الموضوع. ومن ذلك أيضا ما رآه في هذا الدين من فكرة التسليم إذ يقول: «إن التفويض والتسليم هما القاعدتان الحقيقيتان لكل دين، وكذا الخضوع لإرادة عليا تسيطر على مجرى الأمور، ولا نستطيع إدراكها».. كما أعجبه ما رآه في هذا الدين من جانب إيجابي يميل الى توكيد الفعل وتوكيد الحياة عن طريق الفعل ورفض الانهزامية والسلبية.

ولهذا نراه في كتاب «الخلد» من «الديوان الشرقي» لا يعنيه من بين الذين دخلوا الجنة من المسلمين غير الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، ويفصل القول في وصف جنة الشهداء وصفا دقيقا كالوصف الذي ورد في سورتي (الرحمن) و(الواقعة) على وجه التخصيص، وقد كان اهتمامه بالإسلام في بادىء الأمر جزءا من تطلع الشباب المثقف لاتخاذ مواقف تتسم بسعة الأفق وعدم التحيز وتنطوي على تسامح ديني. وانطلاقا من هذه المواقف أخذ يعارض وجهة النظر المسيحية المتشددة التي لم يكن لديها الاستعداد للاعتراف إلا بدين واحد. أما عن دراسته العميقة للقرآن الكريم فقد كانت نابعة من



ظمئه الشديد للتعرف على الدين الصحيح، إذ تشهد سيرة حياته على أنه منذ صباه كان يفتش عن ديانة تناسبه. ولا ريب في أن أحد الأسباب الأساسية لإكبار جوته للقرآن، كان يكمن في إحساسه بقيمته اللغوية المتميزة، ويعبر عن رأيه في أسلوب القرآن بقوله: «إن أسلوب القرآن.. محكم، سام، مثير للدهشة.

ومن العجيب أنه يصف القرآن بهذا الإطراء وهو لم يقرأه إلا بالألمانية واللاتينية؟ فماذا كان سيقول لو قرأه بالعربية.

وأخيرا نسوق نماذج من أعماله التي استلهم فيها بعض المعاني الإسلامية:

يقول في قصيدة (هجرة) التي أشار من خلالها إلى رغبته في أن يهاجر كما هاجر محمد {صلى الله عليه وسلم} من مكة الى المدينة، ففي المقطع الأول من القصيدة يهاجر الشاعر الى الشرق الصافي وتعني هذه الهجرة الروحية إلى أماكن بعيدة مرحلة جديدة في حياة الشاعر:

«إلى هناك حيث الطهر والحق والصفاء
أود أن أقود الأجناس البشرية
وأنفذ بها في أعماق الأصل السحيق
حين كانت تتلقى من لدن الرب
وحي السماء بلغة الأرض»

وفي كتاب «الحكم» من ديوانه يربط بين موضوع التسليم بمشيئة الله والتسامح فيقول:

« من حماقة الإنسان في دنياه
أن يتعصب كل منا لما يراه
وإذا كان الإسلام معناه أن لله التسليم
فعلى الإسلام، نحيا ونموت نحن أجمعين»

ويقول:

«إذا امتحنك القدر، فهو يعلم جيدا لماذا
إنه يريد منك القناعة. فأطع دونما اعتراض»

وبعد هذه المحاولات الجهيدة لوصل الشرق بالغرب حاول جوته أن يتعرف على تأثير الفكر العربي في وجدان الجمهور الغربي، فاغتنم كل فرصة أتاحتها له رحلاته للتحدث مع بعض الأصدقاء والعلماء عن المؤلفات الشرقية وإلقاء نصوص شعرية مترجمة عن العربية والفارسية، كما قرأ على عدد كبير من السيدات المثقفات ترجمة لبعض سور القرآن، وكان منهن أرملة الشاعر «شلر».

ونختم هذا المقال بقصيدة «طابت ليلتكم» التي يودع فيها الشاعر الألماني قومه ومعاصريه، ويعلن فيها عن اعتزاله للحياة الأرضية، وتعبر الأبيات عن الصورة التي يود أن تتذكره بها الأجيال المقبلة:

«نامي الآن، أيتها القصائد العزيزة
على صدر شعبي
ولينشر جبريل بفضله
سحابة مسك
فوق الجسد المكدود
حتى يمضي الشاعر، وهو معافي
فيشق الصخر
ويجوب سعيدا
مع أبطال كل العصور
جنات الخلد الواسعة»

حمى النيل الغربي والإيبولا

تصنف حمى النيل الغربي الفيروسية وفقاً لانتمائها الى عائلة ما كان يسمى سابقا بالآربوفيروس Arbovirus والتي تم إعادة تصنيفها اعتمادا على الشكل، التكوين، والوظيفة؛ حيث تم ضمها الى المجموعات الفيروسية الأخرى أحادية الحامض الريبي كالتوكا، والفلافي، والبونيا، والريو، وغيرها.

والآربوفيروس اختصارٌ لـ/ الفيروسات المنتقلة عبر الحشرات المفصلية كالبعوض والقراد والعناكب. وتضم هذه المجموعة اكثر من ٢٥٠ فيروسا؛ ٨٠ نوعاً منها يصيب الإنسان. أما الطيور فهي المصدر الذي يقوم البعوض بالنقل منه الى الخيل إضافة الى الحيوانات المنزلية الأخرى والإنسان الذي يعتبر نهاية حلقة العدوى أي انه غير مناسب لتكاثر الفيروس وانتقاله الى حيوانات أو حشرات أخرى وهذا ينطبق على معظم أفراد هذا الصنف الفيروسي باستثناء القليل التي يعتبر فيها الإنسان جزءا من حلقة العدوي والوصل المرضي كالإيبولا. وهناك أنواع متعددة من فيروس حمى النيل الغربي؛ فهناك نوع من أفريقيا، أوربا، الاتحاد السوفيتي السابق، الشرق الأوسط، الهند وإندونيسيا.

يعود فيروس حمى النيل الغربي الى مجموعة فيروسات الحمى الدموية hemorrhagic fever التى يتسبب بعض منها بنسبة وفاة عالية جدا تصل الى ٧٠٪.

وتقسم الأمراض التي تسببها عائلة الآربوفيروس الى:

١ ـ التهاب السحايا/ التهاب المخ.

٢ ـ الحمى النزفية.

٣ ـ التهاب وتورم المفاصل.

٤ ـ أنواع مرضية أخرى غير مصنفة.

٥ ـ إصابة غير ظاهرة (بدون أعراض) asymptomatic.

الصنف الوبائي للفيروس:

يتواجد فيروس حمى النيل الغربي في أفريقيا، الشرق الأوسط، أوروبا، الاتحاد السوفيتي السابق، الهند، إندونيسيا، وتكون الحمى بسيطة عادة في المناطق التى يتوطن فيها الفيروس endemic الى الدرجة التى تجعله كأي رشح وأنفلونزا عادية لا تلفت النظر وبذلك يكتسب الناس مناعة تعمل كحاجز ضد حدوث وباء على نطاق واسع epidemic.

فعلى سبيل المثال نجد أن ٦٪ من الأطفال (في سن المدرسة) في دلتا وادي النيل في مصر تحوي دماؤهم على مضادات ضد المرض، هذه النسبة تزيد لتصل الى ٤٠٪ في البالغين. وربما كان تصرف هذا الفيروس مشابهاً لتصرف جرثومة السل tu-berculosis التي تصيب الكثير من الناس دون التسبب بأية أعراض مرضية، وتبقى هذه الجرثومة خاملة بشكل كامن في الجسم لحين يتم تنشيطها وذلك عند حدوث انحدار وتدنٍ في مناعة الجسم لأي



بقلم : د. فرح فلاح الخواجة - الاردن

سبب كان مما يوفر بيئة مناسبة لتكاثر الجرثومة. وهذا بالضبط ما يحدث في حمى النيل الغربي.

ولو رجعنا قليلا بالزمن لوجدنا أن عام ١٩٧٤ كان مثالا لموجة وبائية من حمى النيل الغربي في جنوب أفريقيا حيث تفشى المرض وأصاب ٥٥٪ من الناس. وقد كانت معظم الحالات بسيطة ومسيطراً عليها self limited.

أما حالات الإصابة الدماغية التي كانت نتيجتها وفاة المريض فقد دونت من الهند، فرنسا، مصر. وقد حصلت حالات متفرقة sporadic لالتهاب الكبد الشديد نتيجة للفيروس في أفريقيا الوسطى.

ينتقل الفيروس عن طريق البعوض، والطيور البرية كالخفاش والتي تعتبر حاملات للمرض فقط. حيث لا يصيب الخفاش، مثلا، أي ضرر جراء نقله للفيروس. أما المضيفات التي تظهر عليها أعراض مرضية كالإنسان والخيل والكلاب فلا تلعب هذه المضيفات دورا مباشرا في انتقال المرض. وتنتقل هذه الفيروسات في الأيام الحارة عادة وخاصة في المناطق التي يزدحم فيها السكان.

نشوء المرض وأعراضه :

تأخذ مدة الحضانة ما بين ١٦ يوما. يتواجد الفيروس في الدم في المرحلة الحادة acute. ويكون المرض بسيطاً في العادة؛ فهو يبدأ كحرارة وألم في الرأس والظهر والجسم بصورة عامة ، مع فقدان في الشهية، وتستمر هذه المرحلة حوالي ٣٦ يوما. إضافة الى التهاب في اللوزتين، غثيان، تقيؤ وإسهال.

كما أن ٥٠٪ من الحالات يصاحبها طفح جلدي يظهر عادة في المرحلة النهائية للمرض ويكون هذا الطفح في العادة غير مسبب لحكة أو ألم ويصيب منطقة الصدر والظهر واليدين ويستمر حوالي ٧ أيام ويتلاشى بدون تقشر. إضافة الى تضخم في غدد الجسم اللمفاوية والتهاب العضل والعصب العيني ومخارج الأعصاب في النخاع الشوكي. وتحدث التهابات السحايا والأعصاب في كبار السن عادة أو الأشخاص الذين يعانون من مشاكل في الجهاز المناعي.

كما أن البعض قد يصاب بالتهاب في العضلة القلبية والبنكرياس والتهاب الكبد الذي قد يكون شديدا جداً ومميتاً.

التشخيص :

١ - تناقص الكريات البيضاء في الدم leu-copenia.

٢ - زيادة في نسبة الكريات البيضاء والبروتينات في السائل الشوكي.

٣ - والاهم من هذا هو تواجد حالات أخرى وحصول المرض بصورة وبائية في المنطقة المعنية وذلك لان الكثير من الأمراض والجراثيم تسبب أمراضاً ذات أعراض سريرية ونتائج مخبرية مشابهة لما يحدث في حمى النيل الغربي. لذا وجب التفكير بالفيروس كسبب للمرض في أي شخص سبق وإن تواجد في المناطق الموبوءة.

٤ - يمكن عزل فيروس حمى النيل الغربي من الدم في المراحل الأولية للمرض وذلك باستعمال

المزارع المخبرية أو الإحداث المتعمد للإصابة (التطعيم) في فئران المختبر.

٥ ـ التشخيص المصلي عن طريق عزل الأجسام المضادة للفيروس في الجسم. علما بأن الأنواع الأخرى من الفيروسات المشابهة لفيروس حمى النيل الغربي قد تتسبب برفع نسبة هذه الأجسام المضادة في الدم مما يقلل من أهمية هذا الفحص التشخيصي.

فيروس إيبولا :

تم عزل فيروس ايبولا في عام ١٩٧٦ بعد أن تسبب بوباء مدمر في القرى الصغيرة في شمال زائير وجنوب السودان. ويصيب فيروس إيبولا الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين سن اليوم الواحد وحتى السنة كما أن نسبة الإصابة تكثر في الأشخاص بين سن ١٥ و٥٠ سنة.

ولم يحظ فيروس إيبولا ببحث موسع الى يومنا هذا، فقد واجه البحث صعوبات جمة من أهمها سرعة انتقال الفيروس مما يشكل خطراً على أفراد البحث ويتطلب تجهيزات معقدة من وسائل الوقاية والتي لا تتواجد عادة في معظم المختبرات. كما أن طبيعة الفيروس القاتلة تزيد الأمور تعقيداً.

أما العلامات المرضية لهذا الفيروس فتتلخص بما يلي:

بعد مدة حضانة تتراوح بين ٢ ـ ٢١ يوماً تبدأ الأعراض المرضية وهي حرارة مفاجئة، صداع، ألم في الحلق، ضعف عام، ألم في العضلات، تقيؤ وإسهال، طفح جلدي، تغير في وظائف الكلية والكبد، نزف دموي شديد داخلي وخارجي. وتحدث الوفاة عادة بين اليوم السابع والسادس عشر من الإصابة بالمرض.

أما طريقة انتقال المرض فهي غير معروفة بشكل دقيق الى يومنا هذا ولكنه قد ينتقل عن طريق سوائل الجسم المتعددة؛ فقد وجد أن الفيروس ينتقل بواسطة الجنس حتى بعد شفاء المريض إذ أنه قد ينقل الفيروس الى شخص سليم بعد شفائه من المرض بسبعة أسابيع.

وقد ظهر أول وباء لفيروس إيبولا في عام ١٩٧٦ في زائير وتبعه وباء آخر في نفس السنة في جنوب السودان وتسبب الوباءان بوفاة ٣٤٠ شخصاً من أصل ٥٥٠ مصاباً.

وكان الوباء الثالث في عام ١٩٧٩ من نصيب السودان أيضاً وتسبب بوفاة ٢٢ شخصاً من أصل ٣٤ مصاباً أي أن نسبة الوفاة كانت حوالي ٦٠٪.

وحصلت الموجة الوبائية الرابعة في ١٩٩٥ في زائير.

وقد وصل فيروس إيبولا الى الولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٨٩ حيث انتقل مع مجموعة من القرود التي تم إحضارها الى فرجينيا/ رستون من الفلبين وأطلق عليه اسم ايبولا رستون ولكنه لم يتسبب بأية إصابة بشرية حتى بين الأشخاص الذين تعاملوا مع هذه القرود.

وحصل وباء آخر في تشرين الثاني من عام ١٩٩٥ في شمبانزي غابة تاي Tai والذي تسبب بإصابة باحثة سويسرية بالمرض وقد تمت معالجتها في إحدى المستشفيات في سويسرا وشفيت تماماً. أما الوباء الآخر فقد كان في غرب أفريقيا عام ١٩٩٦م. كما أن الكل قد سمع عن الوباء الأخير في زائير.



وفيما يلي جدول يبين الأمراض التي تسببها فيروسات الأربو والأرينو :

الأعراض المرضية	الصنف الفيروسي	الفصيلة	الناقل	المنطقة
ارتفاع الحرارة، صداع وآلام في الجسم	حمى القُراد في كولا رادو	فيروس الأوربي	قراد	غرب أميركا وكندا
	حمى الفليبوتومس	فيروس الفليبو	بَرغشة	شاطئ البحر المتوسط، البلقان، الشرق الأوسط، الباكستان والهند، الصين، شرق أفريقيا، بنما، البرازيل
	التهاب فينزويلا الدماغي	فيروس الألفا	بعوض	الأرجنتين، البرازيل، بنما، أميركا، المكسيك
	حمى الوادي المتصدع	فيروس الفليبو	بعوض	جنوب وشرق أفريقيا، مصر
حرارة، خمول، صداع، آلام في الجسم، تضخم الغدد اللمفاوية وطفح جلدي	حمى الضنك (دينكو)	فيروس الفلافي	بعوض	جنوب شرق آسيا، أفريقيا، جزر المحيط الهادي، استراليا، أميركا الجنوبية، المكسيك، البحر الكاريبي
	حمى النيل الغربي	فيروس الفلافي	بعوض	أفريقيا، الشرق الأوسط، جنوب فرنسا، الاتحاد السوفيتي السابق، الهند، إندونيسيا
حرارة، خمول، صداع، آلام في الجسم والمفاصل، طفح جلدي	تشكانكوانا	فيروس الألفا	بعوض	أفريقيا، الهند، الكوان، جنوب شرق آسيا، غينيا الجديدة
	فيروس مايارو	فيروس الألفا	بعوض	البرازيل، بوليفيا
	فيروس بحر روس	فيروس الألفا	بعوض	استراليا، غينيا الجديدة، جزر سليمان، جزر ساموا، جزر كوك
	فيروس غابة برما	فيروس الألفا	بعوض	استراليا
	مرض فيروس سندبس (حمى كاريليان)	فيروس الألفا	بعوض	أفريقيا، استراليا، الاتحاد السوفيتي السابق، فنلندا، السويد

حرارة وإصابة في الجهاز العصبي المركزي	التهاب الدماغ الشرقي	فيروس الألفا	بعوض	سواحل أميركا، البحر الكاريبي، نيويورك، غرب ميشيغان
	التهاب الدماغ الغربي.	فيروس ألفا	بعوض	أميركا، كندا، أميركا الجنوبية والوسطى.
	التهاب القديس لويس الدماغي	فيروس الفلافي	بعوض	أميركا، البحر الكاريبي
	التهاب فينزويلا الدماغي	فيروس الفلافي	بعوض	الأرجنتين، البرازيل، أميركا الجنوبية، المكسيك، بنما، فلوريدا
	حمى التهاب الدماغ اليابانية	فيروس الفلافي	بعوض	اليابان، كوريا، الصين،الهند، الفلبين، جنوب شرق آسيا، الاتحاد السوفيتي السابق
	فيروس مجموعة كاليفورنيا	فيروس البونيا	بعوض	الولايات الأميركية الشمالية الوسطى، نيويورك
	فيروس باواسان	فيروس الفلافي	قراد	كندا، نيويورك
	التهاب وادي موراي الدماغي	فيروس الفلافي	بعوض	أستراليا، غينيا الجديدة
	مرض غابة كاياسانولر	فيروس الأرينا	قراد	الهند
	فيروس الالتهاب الدماغي القرادي	فيروس الفلافي	قراد	أوروبا، البلقان، الاتحاد السوفيتي السابق
	التهاب السحايا المشيمي اللمفاوي	فيروس الفلافي	قوارض	أميركا، الأرجنتين، ألمانيا، البلقان
حرارة، خمول، صداع، آلام في الجسم، أعراض وعلامات نزفية	الحمى الصفراء	فيروس الفلافي	بعوض	أميركا الجنوبية والوسطى، أفريقيا
	حمى الضنك (دينكو) النزفية	فيروس الفلافي	بعوض	جنوب شرق آسيا، جزر المحيط الهادي، البحر الكاريبي
	مرض غابة كاياسانور	فيروس الفلافي	بعوض	الهند
	حمى اومسك النزفية	فيروس الفلافي	قراد	الاتحاد السوفيتي السابق
	حمى القرم/ الكونغو النزفية	فيرس النايرو	قراد	أفريقيا، أوروبا الشرقية، الشرق الأوسط، الاتحاد السوفيتي السابق
	فيروس الهانتان	فيروس الهانتا	قوارض	كوريا، اليابان، الصين، جنوب شرق آسيا، أوروبا
	فيروس سيئول	فيروس الهانتا	قوارض	كوريا، اليابان



	فيروس بومالا	فيروس الهانتا	قوارض	الدول الاسكندنافية، الاتحاد السوفيتي السابق
	فيروس ماتشبو	فيروس الأرينا	قوارض	بوليفيا
	فيروس جينين	فيروس الأرينا	قوارض	الأرجنتين
	فيروس كواناريتو	فيروس الأرينا	قوارض	فينزويلا
	حمى لاسا	فيروس الأرينا	قوارض، إنسان إلى إنسان	أفريقيا الغربية
	حمى ماربرغ	فيروس الفيلو	مجهول/ إنسان إلى إنسان	زمبابوي، كينيا، أوغندا
	الإيبولا	فيروس الفيلو	مجهول/ إنسان إلى إنسان	السودان، زائير
حرارة، خمول، صداع، آلام في الجسم وعجز رئوي	فيروس الهانتا	فيروس الهانتا	قوارض	أميركا (غرب بحر الميسسبي)، كندا، البرازيل، بوليفيا، باراغواي، الأرجنتين

العلاج :

كحال معظم الأمراض الفيروسية لا يوجد إلى يومنا هذا علاج غير العلاج المدعم supportive الذي يساعد في القضاء على المضاعفات المرضية فقط. كما انه لا يوجد مطعوم vaccine للمرض. وافضل طريقة للعلاج هي تجنب المرض، الوقاية خير من العلاج، وذلك بتجنب التعرض للبعوض بواسطة استعمال الملابس الواقية والمواد المنفرة، إضافة الى محاولة تجنب المناطق الموبوءة.

وليس هناك من وسيلة تمكن من معرفة ما إذا كان هناك فائدة من إعطاء مطعوم الحمى الصفراء أو حمى التهاب الدماغ اليابانية في منع حدوث حمى النيل الغربي.

الخواتم ونقوشها في التراث اللغوي

لا أذكر بدقة لِمَ سجلت في مفكرتي الخاصة إحالات إلى بعض المصادر التي تتحدث عن الخواتم ونقوشها، والذي أستذكره أني قرأت في كتاب من كتب المعارف العامة أن أبا العلاء المعري - وهو من الشعراء الشطاحين - كان نقش خاتمه «ألا لعنة الله على العالمين» قرأها على خاتمه من غسَّله بعد موته. فلعل هذه العبارة المغيظة الحادة الدالة على يأسه وعبوسه وقنوطه - والعياذ بالله - ونسأل الله لنا وله المغفرة - دفعتني الى التقاط ما يمرُّ بي مما يتصل بالخواتم ونقوشها.

ولا ريب أن هذه النقوش لا تخلو من طرافة وظرافة إضافة الى كونها تكشف أبعاد شخصية ناقشها كما تكشف أيضا صورة العصر الذي كتبت فيه لا سيما إذا كانت من اختيار الخلفاء والملوك لأن الخاتم يعد من شعار الخلافة، وقد بينت لنا المعجمات العربية المعاني اللغوية المتعددة لمادة ختم فنصت على أن المعنى الرئيسي لها هو بلوغ آخر شيء، يقال: ختمت العمل، وختم القارىء القرآن الكريم، وختم الله له بالخير، ويقال: ختمت الرسالة أي طبعتها - ومعنى الطبع هنا مهرها وختمها حتى يظهر أثر نقش الخاتم عليها - والطبع على الشيء لا يكون إلا بعد بلوغ آخره، فإذا طبع على آخر شيء فكأن هذا الشيء صار موثقاً لا يدخله شيء بعد ذلك. ومن أسماء الرسول {صلى الله عليه وسلم} أنه خاتم الأنبياء أي آخرهم[١].

والفعل ختم مضارعه يختم من باب ضرب يضرب والمصدر منه ختماً وختاماً. واسم الفاعل منه هو الخاتم بكسر التاء أما الخاتم بفتحها فهو اسم لما يختم به - وهو حلقة ذات فص تلبس في الإصبع[٢] للختم بها.

ولكن هل استعمل العرب هذا الخاتم - ابتداء - للطبع به أم استعملوه حلية للتزين ؟ يبدو من كلام ابن منظور أنهم استعملوه حلية ابتداء ثم طبعوا به .. قال بعد أن عدد لغاته هو «من الحلْي كأنه أول وهلة ختم به، فدخل بذلك في باب الطابع ثم كثر استعماله لذلك، وإن أعدَّ الخاتم لغير الطبع»[٣] ويبدو أيضا أن العرب - مجازاً - صارت تطلق الخاتم في ألفاظها لكثرة استعمالهم لها فذكروا عشر لغات نظمها الزين العراقي الحافظ، فقال:

خذ عَدَّ نظم لغات الخاتم انتظمت

ثمانياً ما حواها قبل نظامٌ

بقلم : أ.د. رياض بن حسن الخوام - مكة المكرمة

خاتامٌ، خاتَمٌ ختمٌ خاتمٌ وختا
مٌ خاتيامٌ وخيتومٌ وخيتامُ
وهمزُ مفتوح تاء تاسعٌ وإذا
سانح القياسُ أتمَّ العشر خاتامُ[٤]

ثم جمعوا الخاتم على خواتم وخواتيم[٥] ولأن الرجل الخاتم بالختم، بحاجة الى مادة يختم بها الشيء، قالوا: إن الختام - بكسر الخاء هو الطين أو الشمع الذي يختم به على الشيء[٦]. وقد قيل: إن أول من اتخذ الطين لختم الكتب هو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٧]. أما الختم - بسكون التاء - فهو أثر نقش الخاتم [٨].

ومن هذا كله نتبين أن الخاتم هو حلية استعملت للختم بها، فأفرزت العربية عناصر لهذا الختم، فهناك صاحب الخاتم الذي يقوم بالختم، فيستعمل الخاتم - بفتح التاء وكسرها - والكسر اكثر - ليختم به ثم لابد له من مادة الختم، وهو الختام، فيظهر الختم وهو الأثر الحاصل من نقش الخاتم، فتكاملت أجزاء الصورة وعناصرها.

ولم يقتصر اللغويون على بيان معنى الخاتم واشتقاقه ولغاته بل حددوا المراد منه بدقة فقالوا إن «الخاتم حلقة ذات فص من غيرها، فإن لم يكن لها فصٌ فهي فتحة على وزن قصبة»[٩].

وأشارت المصادر الى أن أول من ختم الكتاب من قريش، وأهل الحجاز هو الرسول {صلى الله عليه وسلم}، وذلك حين أراد مكاتبة كسرى وقيصر والنجاشي فقيل له: إنهم لا يقبلون كتاباً إلا بختم، فصاغ خاتماً من ذهب، فجعله في يمينه، وجعل فصَّه مما يلي باطن كفه، فاتخذ الناس خواتيم الذهب فصعد {صلى الله عليه وسلم} المنبر وألقاه، ونهى عن التختم بالذهب، واتخذ خاتماً من ورق (أي من فضة) وجعل فصه حبشياً، ونقش عليه «محمد رسول الله» في ثلاثة أسطر، محمد سطر، ورسول سطر والله سطر، وكان خازنه على خاتمه معيقيب ابن أبي فاطمة، وقال بعضهم إن نقشه كان «صدق الله» ثم ألحق الخلفاء بعد «صدق الله» «محمد رسول الله»[١٠].

وَقُبِضَ رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والخاتم في يمينه[١١]، وفي رواية أنه {صلى الله عليه وسلم} لبسه أيضاً في خنصره بيده اليسرى[١٢]. وانتقل هذا الخاتم من يده الشريفة

بعد موته الى أبي بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم وبقي في يد عثمان ست سنوات، فلما كثرت عليه الكتب، دفعه الى رجل من الأنصار ليختم عنه به، فأتى قليباً لعثمان - قيل هو بئر أريس وقيل هو بئر ذي أروان[١٣] - فسقط الخاتم فيه، فالتمسوه فلم يجدوه، فاتخذ سيدنا عثمان - رضي الله عنه - خاتماً آخر من ورق (أي فضة) أيضاً، ونقش عليه مثل النقش الأول[١٤]، أما خاتم سيدنا علي رضي الله عنه فكان من فضة منقوشاً عليه (نعم القادر الله)[١٥].

وذكر القلقشندي أن اتخاذ الخاتم يعد من شعار الخلافة فقد اتخذ الخلفاء بعد الرسول {صلى الله عليه وسلم} خواتم منقوشة، وبقي الأمر على ذلك الى انقراض الخلافة من بغداد[١٦].

واتسع أمر ختم المكاتبات بهذه الخواتم، فأنشأ معاوية ابن أبي سفيان - رضي الله عنه - ديواناً أطلق عليه ديوان الخاتم، والذي دعاه الى ذلك ان تزويراً حصل لإحدى مكاتباته فقد كتب لرجل بمائة ألف درهم، ففك الكتاب فأصلحها مائتين[١٧].

هذا وقد تفنن المتختمون بعد ذلك من الخلفاء وغيرهم في اختيار العبارات التي ارادوا نقشها على خواتمهم، ويمكن تصنيفها على النحو الآتي:

١ - أن بعضهم اختار العبارة التي كانت منقوشة على خاتم الرسول {صلى الله عليه وسلم} وهي (محمد رسول الله) وممن نقشها على خاتمه من الخلفاء العباسيين الراضي والمتقي والمستكفي[١٨].

٢ - اهتم بعضهم بتسجيل اسمه على خاتمه تبعاً لنقش خاتم الرسول {صلى الله عليه وسلم}، فقد كان نقش أبي العباس السفاح من العباسيين (الله ثقة عبد الله، وبه يؤمن)[١٩] ونقش خاتم المكتفي (بالله - علي بن أحمد - يثق) ونقش خاتم الأمين (محمد واثق بالله) ونقش أحد خاتمي الواثق بن هارون الرشيد (الواثق بالله)[٢٠] ونقش أحد خاتمي الشاعر أبي نواس (الحسن، يشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً)[٢١]، وحافظ بعض الخلفاء العباسيين على عبارة أخيه أو أبيه مع وضع اسمه بدلا من اسم أخيه أو أبيه، فقد اتخذ المنصور (عبد الله) نقش خاتم أخيه أبي العباس السفاح فكان نقش خاتمه هو (الله ثقة عبد الله وبه يؤمن) وكذلك اتخذ المهدي (محمد) نقش خاتم أبيه المنصور فجعل نقش خاتمه (الله ثقة محمد - وبه يؤمن)[٢٢]. ويتضح من نقوش أكثر الخلفاء العباسيين أنهم أضافوا الى اسمائهم ما يفيد الثقة بالله، ولعلهم يرومون من ورائها أيضاً أنهم بختمهم على الشيء يكونون قد استوثقوه فلم يعد يقبل زيادة أو نقصاً، وأن حامله ثقة لا تحدثه نفسه بتغيير، ما فيه أو تبديله، وبالجملة هم - يهتمون بالثقة وأبعادها.

٣ ـ اختار بعضهم عبارات تدعو إلى التأمل في معناها والتفكير في مغزاها، لأن ظاهرها حكمة مفيدة ـ أو حكم ـ لكن وراءها مضامين دلالية متعددة يستشعرها كل إنسان حسب نظرته إليها، فهي مشبعة بالايحاءات الدلالية، مما يدل أن اختيارها كان نتيجة تؤدة وروية.. فقد كان نقش خاتم طاهر (وضع الخدِّ للحقِّ عزٌّ)[٢٣]، وكان نقش خاتم المستعين بالله من العباسيين (في الاعتبار غنى عن الاختيار) ونقش خاتم المهتدى (من تعدَّى الحقَّ ضاق مذهبه) ونقش خاتم المعتضد (الاضطرار يزيل الاختيار) ونقش خاتم المعتمد (السعيد من كُفي بغيره)[٢٤].

٤ ـ وبخلاف ما سبق فإن بعضهم اختار عبارات ذات معان واضحة مباشرة، فقد روي أن عمر بن عبد العزيز أمر ابنه بأن يستعمل خاتماً وينقش عليه (رحم الله امرءاً عرف نفسه) وكان نقش خاتم علي بن الحسين بن علي (علمت فاعمل) ونقش صالح بن عبيد الله بن علي (تبارك، فخزي بأني له عبد) ونقش خاتم شريح (الخاتم خير من الظن)[٢٥]، ونقش هارون الرشيد على أحد خاتميه (لا إله إلا الله) ونقش الهادي على خاتمه (الله ربي) والمتوكل (على إلهي اتكالي) والمأمون (سل الله يعطك) والمعتز (الحمد لله رب كل شيء وخالق كل شيء)[٢٦].

٤ ـ وقد تمادى بعض المختتمين من الشعراء فسجل آية قرآنية على خاتمه ـ مع أن القرآن الكريم يجب أن يصان عن مثل ذلك ـ من ذلك ما رواه ابن عبد البر من شعر لمجهول يذم فيه الاختلاط بالناس، جاء فيه:

ما في اختلاط الناس خير ولا
نو الجهل بالأشياء كالعالم
يا عاذلي في تركهم جاهلا
عذري منقوش على خاتمي

ثم قال ابن عبد البر وكان في خاتمه منقوشاً(وما وجدنا لأكثرهم من عهد)[٢٧] وقد نقش المقتدر على خاتمه (الحمد لله الذي ليس كمثله شيء[٢٨]، وهو على كل شيء قدير).

لم يكتف بعض الخلفاء وبعض المختتمين بخاتم واحد، فجعلوا لأنفسهم أكثر من خاتم، واختاروا لكل خاتم نقشاً فقد كان لهارون الرشيد خاتمان نقش أحدهما (لا إله إلا الله) والآخر (كن من الله على حذر) وكان للواثق أيضاً خاتمان، نقش أحدهما (محمد رسول الله) والآخر (الواثق بالله) ومثله فعل المنتصر (أبو جعفر) فكان نقش أحد خواتمه (يؤتى الحذر من مأمنه) والآخر (أنا من آل محمد، الله ولي ومحمد)[٢٩]، ومن طريف ما يروى في ذلك «أن أبا نواس ـ الحسن بن هانىء ـ كان له خاتمان أيضا،

أحدهما عقيق مربع، وعليه:

تعاظمني ذنبي فلما عدلته

بعفوك ربي كان عفوك أعظما

والآخر: حديد صيني مكتوب عليه (الحسن، يشهد أن لا إله إلا الله، مخلصاً) فأوصى عند موته أن يقلع الفصُّ ويُغسل ويجعل في فمه»[٣٠] ولا ندري أحققوا له هذه الوصية أم لا؟.

وهكذا تنوعت العبارات ، وأبانت عما يختلج في نفوس أصحابها، فكل عبارة وراءها مطلب، قد تدل على أن مختارها كان متأثراً بالحالة السياسية أو الاجتماعية التي استعملت فيه نقشاً على خاتمه، أو استعملها آخرون تأثروا أيضاً بأحداث عصرهم، ولا ريب أن القرائح تتباين، والأفكار تختلف في التعبير عن أحداث العصر، لذا فإن هذه العبارات قد تساعد على الكشف عن حالة العصر التي استعملت فيه كما تظهر شخصية المرء الذي اختارها واستعملها، وكل ذلك لا يخلو من فائدة ومتعة.

أما موضع لبس هذا الخاتم المنقوش، فقد رأينا أن الرسول [صلى الله عليه وسلم] قد لبسه في يده اليسرى، وقُبِضَ والخاتم في يمينه أيضاً، وقد سار الخلفاء رضي الله عنهم على منهجه في وضعهم الخاتم بيدهم اليمنى، ثم نقله معاوية رضي الله عنه الى يده اليسرى وأخذ الأمويون بذلك ثم نقله السفاح - من العباسيين الى اليد اليمنى - ولعله أراد بذلك مخالفة الأمويين - وبقي الأمر على ذلك إلى أيام هارون الرشيد رضي الله عنه فنقله الى اليد اليسرى وأخذ الناس بذلك[٣١].

وتفاءل بعضهم بنوع معين من الخواتم - فروي عن جعفر بن محمد قوله: ما افتقرت يد تختمت بخاتم فيروز وقيل: الخواتم أربعة: الياقوت للعطس، والفيروز للمال، والعقيق للسنة، والحديد الصيني للحرز وقيل للخوف[٣٢].

ومجمل ما سبق:

١ - أن الخاتم - بفتح التاء وكسرها - والكسر أكثر - هو حلية استعملت للختم والتوقيع.

٢ - أن منقوشات الخواتم تفاوتت بين القصر والطول، وبعضها ظاهر المعنى قريب المأخذ، وبعضها الآخر يحتمل دلالات متعددة تؤدي الغرض المنشود من اختيارها.

٣ - أن بعض المختتمين اقتبس لنقشه من القرآن الكريم، وبعضهم جعل نقشه شعراً أو مثلا من أمثال العرب.

٤ - أن بعض الخلفاء والشعراء اتخذ لنفسه أكثر من خاتم.

٥ - أن هذه النقوش تعكس حال صاحبها وهي

بمجملها تعطي صورة مصغرة عن العصر الذي استخدمت فيه نقشاً على خاتم.

وبعد: فما قدمناه هو نتف من تاريخ طويل مرَّ به الخاتم المنقوش ونسأل الله أن يجعل خير أعمالنا خواتيمها.

الهوامش:

(١) مقاييس اللغة، واللسان، والقاموس وتاج العروس والمصباح المنير والمعجم الوجيز، مادة ختم.

(٢) المعجم الوجيز، ختم.

(٣) اللسان، ختم.

(٤) تاج العروس، ختم.

(٥) الكتاب ٤/٢٤٩ ـ ٢٥١ واللسان، والقاموس، وتاج العروس والمصباح ختم.

(٦) تاج العروس، والمعجم الوجيز، ختم.

(٧) صبح الأعشى ١/٤٢٣.

(٨) اللسان والقاموس والمعجم الوجيز، ختم.

(٩) المصباح، ختم.

(١٠) عيون الأخبار لابن قتيبه ١/٣٠٢ وكتاب الأوائل للعسكري١ ,١٥٧ والعقد الفريد، ٥/٧ وصبح الأعشى ٣/٢٢٩ والأنوار المحمدية، للنبهاني ٢٥٥.

(١١) المستظرف للأبشيهي ٢/٥٥.

(١٢) الأنوار المحمدية ٢٥٥.

(١٣) العقد الفريد ٥/١٧.

(١٤) الأوائل ١/١٥٧ والعقد الفريد ٥/٧.

(١٥) عيون الأخبار ١/٣٠٢ وفي العقد الفريد ٥/٨ ـ ١٧ أن هذه العبارة كانت منقوشة على خاتم أبي بكر الصديق.

(١٦) صبح الأعشى ٣/٢٦٩.

(١٧) صبح الأعشى ١/٤٢٣.

(١٨) العقد الفريد ٥/٢٥١ ـ ٢٥٢.

(١٩) العقد الفريد ٥/٣٣٦ ـ ومثله نقش خاتم المنصور والمهدي، انظر العقد ٥/٣٣٧ ـ ٣٣٨.

(٢٠) العقد الفريد ٥/٣٤١ ـ ٣٤٤ ـ ٣٤٩ .

(٢١) عيون الأخبار ١/٣٠٣ والمستظرف ٢/٥٥.

(٢٢) العقد الفريد ٥/٣٣٦ ـ ٣٣٨.

(٢٣) عيون الأخبار ١/٣٠٣.

(٢٤) العقد الفريد ٥/٣٤٥ ـ ٣٤٧ ـ ٣٤٨.

(٢٥) عيون الأخبار ١/٣٠٣.

(٢٦) العقد الفريد ٥/٣٣٩ ـ ٣٤٠ ـ ٣٤١ ـ ٣٤٦.

(٢٧) نزهة المجالس ١/٦٧٦ وتتمتها: وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين (الأعراف/١٠٢).

(٢٨) العقد الفريد ٥/٣٤٩ وقوله تعالى [ليس كمثله شيء] (الشورى/١١) وقوله [وهو على كل شيء قدير] (المائدة/١٢٠).

(٢٩) العقد الفريد ٥/٣٤٠ ـ ٣٤٤ ـ ٣٤٥

(٣٠) عيون الأخبار ١/٣٠٣ والمستظرف ٢/٥٥.

(٣١) المستظرف ٢/٥٥.

(٣٢) المستظرف ٢/٥٥.

د . أبو حسام - المنصورة -

شوارد أدبية

٤٨٠ ـ مقدمة :

تقع بين المدرسين في المدارس، والأساتذة في الكليات طرائف يُستظرف تسجيلها، وقد يكون بها بعض المرارة التى توجب المؤاخذه، ولكن الناس هم الناس فمنهم الزهر والشوك، والحديث عن المثال الصالح موضع عبرة كالحديث عن المثال السيء تماما، فالأول يُقْتَدَى به ويُحْتَذَى، والثاني يُجْتَنَبُ ويُحْذَرُ، فإذا كتبنا عن بعض هذه النوادر فقد نجد ترويحا للنفس، وأبدأ بهذه النادرة الفكاهية، وهى تمت إلى النحو والإعراب.



٤٨١ ـ همزة إنّ :

دارسو النحو يعرفون المواضع التى تفتح فيها همزه أنّ. والمواضع التى تكسر فيها هذه الهمزة، وليست بالشيء الصعب العسير تحصيله، فإن طلاب المعاهد في القسم الابتدائي يحصلونها جيدا دون إجهاد.

وكتابُ قواعد اللغة العربية الذى كان مقررا على المدارس الثانوية في الأربعينيات قد تحدث عن هذه المواضع بإفاضة، وأفرد لكل باب صفحتين شفعهما بالأمثلة والتمرينات، وليته يعود ثانية للطلاب فقد كان البديل موضع نظر.

وحين كان هذا الكتاب من المقررات في درس اللغة العربية، كان الطالب (م.س) يتعثر دائما في الامتحان النهائي. ووقف عند شهادة الثقافة، وهي حينئذ كانت تؤخذ قبل الثانوية بعام، وظل سنوات. وهو يتعثر في درس اللغة العربية، ويعيد العام من أجلها، حتى ضج والده، وكان أحد كبار الأساتذة بكلية اللغة العربية، وقد أجهد نفسه في إعطاء ولده الدروس الخصوصية في كل مادة ومن بينها مادة اللغة العربية، إذ كان لا يجد نشاطا في التدريس لولده، ويفضل أن يقوم بذلك مدرس آخر، وكان الرجل محدود الثراء لا يملك غير مرتبه الذى يقوم بضرورياته دون الكماليات، ولكنه كان يقتصد ويجور على الأسرة من أجل هذه الدروس، التى كانت نزيفاً شهريا لا طاقة له به.

وقبل الامتحان بأسبوع، أراد أن يختبر ولده فيما حصّل؟ ولكن فيم يختبر؟ إنه لا يجيد غير دروس

اللغة العربية. فلتكن المقياس لما حصّل من الدروس، ونادى الطالب، وأمره أن يحضر كتاب القواعد ليكون موضع الاختبار، وسارع الولد بإحضاره، فأخذ الأستاذ يراجع فهرس الكتاب، حتى اهتدى الى موضوع الكسر وموضوع الفتح، وهما كما قلت يستغرقان أربع صفحات، كل موضوع له صفحتان، فاستوعب في لحظات المقرر الدراسى بهذه المادة، ثم قال لولده أجب عما يأتي:

متى تفتح همزة أن، ومتى تكسر؟ فقال الابن بلهجة الاستخفاف: أهذا سؤال؟ كل شخص يعرف الإجابة فاطمأن الوالد، وأشرق وجهه بالارتياح وقال: ولكنى أريد أن أسمعها منك، فقال الابن مستخفا: الموضوع بسيط، تكسر همزة إن إذا وضعت الكسرة تحت الألف، وتفتح الهمزة إذا وضعت الفتحة فوقها!!

لا أدرى لماذا لم يتحمل الأستاذ جهل ولده، فسقط على الأرض، وكان متكئا على المنضدة، وظهر أنه أغمى عليه، فلما عولج وعاد الى صوابه، عاتبه بعض الزملاء على شدة انفعاله فقال: كيف لا يغمى عليّ؟ وقد علمت أن جميع المواد ستكون من هذا الطراز لدى هذا الجهول، عوضي على الله!.

٤٨٢ـ ذكاء حصيف :

كان ناظر المدرسة الثانوية يشغل نظارة أرقى مدرسة في القاهرة، وقد جاء إليه مذيع إحدى القنوات الاذاعية طالباً منه أن يعدّ كلمة تُلقى في الإذاعة بمناسبة ابتداء العام الدراسي، حيث يوجهها للطلاب بعامة في مصر، وهو ناظر أكبر مدرسة! والناظر في أصله مدرس رياضيات، ولم يكن الأدب إحدى هواياته كما يتعلل، فماذا يصنع؟

لقد أحضر ثلاثة أساتذة من مدرسي اللغة العربية عُرفوا بالقدرة على الكتابة، فهم خطباء المدرسة ومحررو صفحات المجلة، ومقدمو الأحاديث الصباحية، وطلب من كل واحد منهم على انفراد أن يكتب كلمة في الموضوع المقترح عليه، وأن يتقدم بها صباح الغد، لضرورتها الملزمة وسرعان ما استجاب الأساتذة، ووقع في يده ما أراد.

فبعث الى مدرس يعرفه من مدرسة أخرى، وقدم له الكلمات الثلاثة، على أن يختار منها جميعها كلمة مناسبة بحيث لا يهمل واحدة منها، وقد قال إنه كتب الموضوعات جميعها، ثم بدا له أن يختصر فعزّ عليه أن يهمل شيئا، ويذكر شيئا، على أن يعيد النص المختار مشكولا، واضح النقاط والفواصل، فاستجاب المدرس، وفي الموعد المحدد ذهب الناظر لإلقاء الكلمة، وقد حازت القبول فاختيرت للنشر في مجلة الإذاعة بعد إلقائها، وجاءت المجلة الى المدرسة فقرأها المدرسون الثلاثة وظن كل واحد أن الناظر قد استعان بجزء يسير من موضوعه، واذن فقد أضفى الجديد من لدن نفسه!

قلت لصاحبى حين حدثنى هذا الحديث، ولا أدرى كيف وقف على سرّه: ماذا يصنع الناظر اذا اجتمع الأساتذة الثلاثة، وحدد كل أستاذ ما أخذ منه، ولم يبق له شيء ما، فقال مبتسما: هذا غير

متوقع، وهو ما فهمه الناظر بذكائه الحصيف.

٤٨٣ـ عمامة بيضاء :

كان محمد نيازى باشا مديراً للدقهلية في الثلاثينيات، أيام كان المدير يحمل الباشوية، وله سلطة الوزير في إقليمه فلا معقب لحكمه، فتقدم إليه ذات صباح إنسان بشكوى عادلة، وكان حسن المظهر، نظيف الحلة، يؤخذ من منظره أنه يحتل وظيفة مرموقه، فسأله عن وظيفته في اهتمام، فعلم أنه مدرس بالمرحلة الابتدائية أول مراحل التعليم، وكانت المدارس حينئذ تتبع مجلس المديرية الذى يرأسه المدير، وهو صاحب الكلمة النافذة فيه، فلم يُخف انفعاله الغاضب، وأخذ يصيح: كيف يكون هذا المدرس بهذه الأبهة! ماذا أبقى لكبار الموظفين، وراتبه أربع جنيهات؟ ثم أصدر أمرا بأن يلبس مدرسو المرحلة الأولى في جميع مدارس الدقهلية العمامة والكاكولة، وانتشر الخبر في القطر المصرى وعارضه الدكتور طه حسين بمقال ناري في صحيفة الوادى، ولكن مجلس المديرية قد وافق على القرار، وأصبح ملزما مهما كانت المعارضة!.

وفي يوم من الأيام ذهب المدير المتكبر الى زيارة بعض القرى، ومن عادته في مثل هذه الزيارات أن يجد العمدة وشيخ البلد وأعيانها في استقباله، وهم في العادة لا يزيدون عن عشرة أشخاص، ولكنه حين ترك سيارته وصافح المستقبلين، لحظ جمعاً حاشداً على البعد، فظن أن البلدة قد خرجت لاستقباله، ولكن الناس تهيبوا لقاءه. فوقفوا على بعد، فقال للعمدة، لماذا لا يقترب هؤلاء، وقد جاءوا لاستقبالى، أنا أحب ملاقاة الشعب!

فقال العمدة: ياباشا، أتلمح صاحب العمامة هناك، إنه فضيلة الواعظ، وكان بالمسجد اليوم وألقى الدرس بعد صلاة الظهر، ومن عادة الناس أن يستقبلوه فرحين، وأن يودعوه عند سفره وها هم أولاء قد خرجوا من المسجد خلفه، ولن يرجعوا حتى تأتى السيارة، ويركبها مسافرا بسلامة الله!!

قال الباشا: وهل علموا بمقدمى؟ فقال العمدة وكان ساذجا لا يعرف المداراة، هم لا يعرفونك يا باشا ولا يهتمون إلا بأهل العلم.

احمر وجه الباشا، وأمر السائق بالرجوع ثانية غاضباً على القرية!! وخيالُ عمامة الواعظ لا يبرح عينه! وكأنها في رأيه لا تستحق الاستقبال والتوديع! ثم اشتدت الحملة على موقفه من ارتداء العمامة للمدرسين، فأمر بأن يلبس كل مدرس ما يشاء، وقال له أحد أعضاء المجلس! بهذه السرعة ياباشا! قال: ظننت العمامة أقل من الطربوش فإذا هي في القرية كل شيء!!

٤٨٤ـ (موقف محرج) :

كان أحد الشعراء مدرسا بإحدى المدارس الثانوية للبنات، وكانت صلته طيبة بالزميلات ومن

بينهن مدرسة فاضلة ذات مظهر حسن، وجمال يلفت النظر، وهى على درجة عالية من الخلق المتواضع، والسلوك النظيف، فحازت تقدير الزملاء والزميلات معا! وفي إحدى الاجازات الصيفية كان الشاعر يصطاف بالاسكندرية، فقرأ في الصحف نعي هذه المدرسة الممتازة، وعلم أنها تعرضت لأزمة صحية عقب الوضع، فصعدت روحها على غير انتظار، فتأثر تأثرا شديدا، ونظم في وداعها رثاء صادقا أسمعه بعض زملائه ممن كانوا يصطافون معه! وبه وصف لمحاسنها الأسرة.

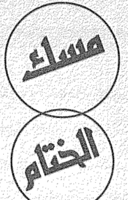
وانتهت الإجازة وعاد الى المدرسة، وقد نسى الرثاء تماما ولم يعد يفكر في إذاعته، ولكن زوج الفقيدة جاء الى ناظرة المدرسة ذات صباح، وكانت من الفضليات المثاليات، فأعلمها أنه سمع بالأمس من فلان (الزميل الذى استمع الى القصيدة من قبل) وكان يجلس معه على المقهى، أن الأستاذ فلان قد رثى زوجته، وأنه أطنب في ذكر محاسن تسيء إليها، ويريد الآن أن يطلع على الرثاء، إذ لا يجب أن تكون الراحلة موضع القيل والقال.

فوجئت الناظرة بالموضوع، وكانت لا تعلم عنه شيئا، وهى ذات فضل وكياسة، فقالت في لهجة قوية للزوج، إنها سمعت الرثاء، ولم تجد به إلا كل وفاء وإخلاص، وان الشاعر قد تخلّف اليوم عن الحضور إذ أخذ أجازة عارضة، وعليك أن تحضر في الصباح لتلقاه.

وما خرج الزوج، حتى استدعت الشاعر، وطلبت أن تسمع القصيدة، فقرأها عليها، فقالت: عليك الآن أن تنظم قصيدة جديدة لا تصف فيها محاسن الفقيدة أو جمالها الذى تحدثت عنه، بل تتحدث فقط عن سلوكها التربوى مع الطالبات، وتعهدها لفريق المكتبة بالتوجيه، واجتهادها في النشاط المدرسي، وتأتى بالقصيدة الجديدة معك في الصباح، وحين أدعوك تظهر انك لا تعرف شيئا عن موضوع الدعوة، ثم تذهب لتحضر القصيدة وتقرؤها في غير اهتمام، فالمسألة حساسة جدا.

وجاء الصباح، وقد سهر الشاعر في إعداد قصيدة تشمل العناصر المتفق عليها وحدها، ثم حضر الزوج، فاستدعت الشاعر، وقامت بوساطة التعريف بينه وبين الزائر، وقالت إنه جاء يشكرك على اهتمامك برثاء الراحلة العزيزة، ويريد أن يسمع القصيدة، فقال إنها في مكتبه، وسيخرج لإحضارها، وسرعان ما قدم وقرأ، فنهض الزوج شاكرا، وقبل الشاعر في وجنته، وقال للناظرة، ماذا أصنع برفاق السوء؟ وقد أوغروا صدرى، وقذفوا بى الى متاهات الظنون، وسأنتقم الآن ممن افترى! فابتسمت الناظرة، وقالت للزوج كالناصحة المجربة، إطْو الموضوع ولا تفكر فيه اطلاقا، لأن الناس بمجرد حديثك عنه سيختلقون ويزيفون، وها قد رأيت!

موقف كريم لا ينسى من مربية أصيلة ذات خلق رصين.



أيام في طيبة

بقلم:
د. طاهر تونسي
- جدة -

ما أجمل أن يستريح الإنسان بعد النصب والتعب.

ما أجمل أن يلقي همومه الدنيوية ويتنسم عبير الندى من عالم الروح وعالم المعاني الروحية السامية.

ما أجمل أن يذكر ويذكّر غيره بكثير من القيم السامية والأخلاق السمحة التي استطاعت المدنية الحديثة وهمومها وأدرانها أن تنسينا كثيرا منها ولو بشكل مؤقت.

كل هذه الخواطر الإيمانية سرت في نفسي بعد أن قضيت بضعة أيام في مدينة الرسول [صلى الله عليه وسلم]. هذه المدينة التي شهدت ميلاد دولة الإسلام الأولى العظيمة. هذه المدينة البسيطة في مساحتها واستطاعت ان تقضي على سلطان كسرى وطغيان قيصر واستطاع جنودها الأبرار أن يفتحوا كثيراً من أراضي قارة أوروبة في البرتغال وأسبانية وجنوب فرنسة وجنوب إيطالية ودول البلقان.

إن كثرة الأسماء عند العرب تدل على عظمة وجلال المسمى. وقد تميزت مدينة رسول الله [صلى الله عليه وسلم] بكثرة الأسماء التي دلت على شرف وجمال المسمى. فمن أسمائها «المدينة» وقد ورد تسميتها بهذا الاسم في القرآن الكريم أربع مرات من ذلك قول الله تعالى: [يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ ولله العزةُ ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون] (المنافقون/٨).

ومن أسمائها «الدار» وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة الحشر قال الله تعالى: [والذين تبوَّءُو الدار والإيمان من قبلهم]. ومن أسمائها «مأرز الإيمان» لقول رسول الله [صلى الله عليه وسلم] «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها» ومن أسمائها طيبة وطابة. وبها قبر رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ومسجده. وقد تنافس المؤلفون في التصنيف عن المدينة المنورة وخططها. ولسنا بسبيل رصد بيبليوجرافي عما ألف عنها ونكتفي أن نلمح الى أحد المؤلفات عنها وهو كتاب السيد علي حافظ رحمه الله. واسم كتابه «فصول.. من تاريخ المدينة المنورة..» وفصول الكتاب جعلها مؤلفها السيد علي حافظ رحمه الله على النحو التالي: المدينة المنورة عبر التاريخ، المسجد النبوي خلال ١٤ قرنا، بيت النبي [صلى الله عليه وسلم]، المساجد المأثورة، بقيع الغرقد، العلم والتعليم في المدينة المنورة، والمدينة المنورة في العصر الحديث.

أما أول من سكن المدينة فقد روى أن أول من سكنها بعد الطوفان قائنة بن مهلابيل وينتهي نسبه الى نوح عليه السلام. وروى أيضا أن أول من عمر الدور وزرع فيها العماليق بنو عملاق بن أرفخشف وكان منهم في يثرب بنوهف وبنو مطرويل. وتقع المدينة في واحة خصبة وفي الشمال الغربي منها جبل سلع ويحتضنها جبلان وواديان فمن الجنوب جبل عيران ووادى العقيق ومن الشمال جبل أحد ووادى قناة ويخترق المدينة ماراً بوسطها وادى بطحان بعد أن ينضم إليه وادى رانوناء في قباء. ويحدها من الجنوب جبل عير ومن الشمال جبل ثور ومن الشرق اللابة «الحرة الشرقية» ومن الغرب اللابة .. الحرة الغربية. ويبعد جبل ثور عن المسجد النبوي بنحو ٨ كيلومترات ويبعد جبل عير عن المسجد النبوي بنحو ٨ كيلومترات أيضا.

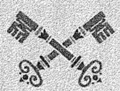
وقد تحدث السيد علي حافظ عن أمور عديدة من تاريخ المدينة في الماضي والحاضر ونقتطف للقارئ منها ما كتبه عن بقيع الغرقد يقول السيد علي حافظ: «ذكر المؤرخون أن كثيرا من الصحابة وأهل البيت ممن توفوا في حياة رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وبعد وفاته، دفنوا في بقيع الغرقد من أصحاب رسول الله [صلى الله عليه وسلم] من الأنصار أسعد بن زراره الأنصاري وأول من دفن فيه من المهاجرين عثمان بن مظعون. وليس في البقيع قبور معروفة بالتأكيد، وقد نقل بعض المؤرخين وشاع عند الناس تعريف بعض القبور. فعلى بعد نحو ٤٠ مترا من الباب الغربي الجنوبي تجد قبور عقيل بن أبي طالب وسفيان بن الحارث (خطأ طباعي وصوابه أبي سفيان بن الحارث) وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعلى بعد نحو خمسة أمتار من قبر عقيل بن أبي طالب تجد قبور زوجات رسول الله [صلى الله عليه وسلم] وهن عائشة بنت أبي بكر وسودة بنت زمعة وحفصه بنت عمر وزينب بنت خزيمة وأم سلمة وجويرية ورملة وصفية».

وقد تحدث السيد علي حافظ عن توسعة الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ للمسجد النبوي وعن تأسيس الجامعة الاسلامية. ولي بعض الملاحظات أهديها للسيد محمد بن علي حافظ وهي ضرورة إصدار طبعة جديدة من الكتاب خالية من الأخطاء الطباعية ومحتوية على كثير من الصور القديمة للمدينة المنورة والتي أصبحت متوفرة في كثير من المطبوعات. وأقترح إضافة فصلين الأول عن الأدب في المدينة المنورة فقد غفل السيد علي حافظ عن ذلك مع أهميته.. والفصل الثاني عن التوسعة العظمى التي قام بها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ حفظه الله.

وتظل مدينة الرسول [صلى الله عليه وسلم] مدارا لإلهام المبدعين والمؤرخين والكتاب.



مجلة العرب الادبية



تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣